مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٤٩ ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٥ —

حرف الشين

شاطر : قال ابو عبيدة : الشاطر الذي شاطر الى الشر اي عدل اليه بوجهه ، وفي اللسان : الشاطر من اعيا اهله خبثاً وأراه مولداً . هو سرياني ܫܳܛܽܘܪܳܐ و ܫܰܛܽܘܪܳܐ shotouro , shatouro ومدلوله : جاهل ، غبيّ ، ضالّ والفعل ܫܛܰܪ shtar زاغ ، جهل ، ذهب عبثاً . وفي انجيل لوقا (١ ص ١٥) ورد مثل الابن الشاطر . وفي الحوادث الجامعة لابن الفوطي ص ٤٠٣ « ظهر ببغداد صبيان من الشطّار » .

شاطئ : الساحل من النهر والبحر وقال الاسكافي ص ١٩ « الشطّ والشاطئ والشُّفْر : فم النهر » وهو بالسريانية ܫܰܛܳܐ shato ولعله من توافق اللغتين .

شانئ : مبغض ، عدوّ وبالسريانيــة ܣܳܢܳܝܳܐ ، ܣܳܢܳܐ sanoio , sono والفعل ܣܢܳܐ sno شنأ ، ابغض . والاسم ܣܢܶܝܬܳܐ ، ܣܶܢܬܳܐ sénétho ,

sénoutho شنأة ، بغضة ، ومثله بالعربية ، ومنه في سفر اللاويين ١٩ : ٧ « لا تشنأ رفيقك » وفي سفر الأمثال ١٤ : ١٧ « وذو المكايد يُشنأ »[١] .

شَبُّوط : قال الجواليقي ص ٢٠٧ « شَبّوط اسم اعجمي وهو ضرب من السمك . قال الليث : والشُّبُّوط (بضم الشين) لغة فيه وهو دقيق الذنب عريض الوسط ، ليّن الملمس ، صغير الرأس » قال الخالدي في بعض اشعاره في دير مار ميخائيل الواقع على ميل من الموصل :

يجرّ صيادُه الشَّبوطَ مضطرباً حيّا وقاصدُه اليعفورَ مذبوحاً[٢]

هو سرياني ܫܝܒܘܛܐ ، ܫܒܘܛܐ shibouto , shabouto .

شَبين ، واشبين : ويقال له أيضاً عرّاب الطفل المعتمد اي كفيله ، كلمة مسيحية سريانية ܫܘܫܒܝܢܐ shaweshbino ، والمرأة شبينة واشبينة ܫܘܫܒܝܢܬܐ shaweshbinto والاسم ܫܘܫܒܝܢܘܬܐ shaweshbinoutho وجمع الاشبين اشابين واشابنة . عمّ استعمالها الروم والقبط فوردت في كتاب الناموس بلفظها السرياني بحذافيره قال : « يحرم عليهم أيضاً ان يتزوجوا شَشابين آبائهم وأمهاتهم من المعمودية » وكذا في كتاب الجوهرة لابن السباع القبطي .

شَتَل : غرس ، نصب ܫܬܠ shtal ومنها ܫܬܠܐ shetlo : غرس و ܫܬܠܬܐ shétltho غرسة و بيث ܫܬܠܬܐ Beth shetlotho : مغرسة (مشتلة) فالمادة سريانية وتداولها عامة اهل العراق والجزيرة والشام . وفي معجم الشهابي ص ٤٨٤ مشتل ، من اصل سرياني و ص ٥٠٣ وشتلة ، سريانية —

(١) الشاوي في عرف اهل الشام ، هو الذي يتعهد توزيع الماء على المزارعين وتنقيته ، وهو حرف سرياني ܫܘܝ shawi ومعناه : سوّى وساوى وعادلَ وطرح .

والشبشث او الشبش : غصن الكرم الدقيق الذي يُكسَح في كل سنة ، اورده ابن بهلول في معجمه عمود ١٩٣٣ و ١٩٣٤ وهو حرف سرياني ܫܒܫܬܐ shbeshto وقيل في جمعه ܫܒܫܬܐ shebshotho لفائف قضبان الكرم وهي لفظة يتداولها عامة أهل الجزيرة .

(٢) مسالك الأبصار ص ٢٩٨ .

وصح استعماله فصيحاً اذ قالوا : المشتل الزراعي — وفي الفصيح والمولد للأستاذ كرد علي مج ١٩ : ٧ والشتلة آرامية عربيتها غرسة ، ومنها المشتلة اي المغرسة .

شَحِيثا : قال الفيروزابادي ٢ : ١٦٨ « شَحِيثا كلمة سريانية تنفتح بها الاغاليق بلا مفاتيح » واعترض عليه مؤلف الجاسوس بقوله ص ٣٠٩ « وهو باطل من وجهين ، الأول ان صيغة هذه الكلمة لا توافق صيغ اللغة السريانية واذا يوجد فيها شحتو بالتاء ܫܚܘܬܐ shhôtho اي الوسخ وشحّد بالدال ܫܚܕ shhadh وهو البرطيل « صوابه رشا ، برطل » . واظن هذا هو الذي يفتح الاغاليق بلا مفاتيح . الثاني كيف يكون عند السريان هذه الكلمة وهم لا يعرفونها ولا يستعملونها فتكون الدنيا كلها مسخَّرة لهم ! قال المحشي : بعد ذكر هذه الكلمة : اي مناسبة بين هذا وبين كلام العرب ولغاتهم ... انه لغو من الكلام الباطل ... ولا ينبغي ذكره من المصنف لو كان صحيحاً ولا يليق اهـ . فان قيل إن الأزهري نقل أيضاً هذه الخرافة ، قلت قد نقلها عن الليث وقال في اولها الليث بلغنا انها كلمة سريانية الخ ولا يخفى ان قوله بلغنا يصرف النقل عن التحقيق بخلاف رواية المصنف » اهـ .

قلنا ، ويشمل هذا النقد صاحب اقرب الموارد الذي نقل في ص ٥٧٣ عبارة القاموس بنصها . وكله خطأ صوابه في ما نرى ان اللفظة المبحوث عنها هي بالسريانية ܫܘܥܝܬܐ shouiitho ومعناها قصة وخُرافة او ܫܘܬܐ shoôtho ومدلولها لعب ، باطل هذيان . وتوسع اهل الباطل فيها فزعموا ما زعموا . واما ܫܚܝܛܐ shhitbo فمعناتها : كامخ وقضيب وغصن .

شِرْش : عِرْق : سريانية ܫܶܪܫܳܐ shersho : اصل كل شيء ، اساس ، والفعل ܫܰܪܶܫ sharèshe اصّل ، اسّس . استعملها (وفا) الشاعر الارامي الذي كان قبل العصر المسيحي بدهر طويل في ما نقله الراهب انطون التكريتي الفصيح[1]

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ١٧٠ .

وصرّح صاحب معجم الألفاظ الزراعية بسريانيتها ص ٥٣٠ وفي الفصيح للاستاذ كرد علي ١٩ : ٧ شرّشت الشجرة ضربت عروقها في الأرض ومنها الشرش للجذر ·

شُرعوف : في القاموس ٣ : ١٥٧ « الشُرعوف كعصفور نبت او ثمر نبت ، والشرعاف بالكسر والضم قشر طلعة الفحّال من النخل » وفي السريانية ܣܘܪܥܘܦܐ و ܣܪܥܦܬܐ souroofo , sarèfto وفيهـا لغتان اخريان : شُعبة سُعفة ، غصن فرع ، والفعل ܣܪܥܦ نبت ، تفرّع sarèef ·

شَشقَل : ܫܩܠ ܒܬܩܠܐ skal - bteqlo استوفى حقه من الفضة موزونة بالمثقال (المزهر ١ : ١٦٤) « قال في الجمهرة قيل ليونس بم تعرف الشعر الجيد فقال بالششقلة ، قال والششقلة ان تزن الدينار بازاء الدينار تنظر أيهما اثقل ، ولا احسبه عربياً محضاً ، وششقل الدينار عيّره » · وكذا الصغاني نبه على ان لفظة ششقل ليست بعربية محضة[1] قلنا هي سريانية مركبة مدلولها الحرفي اخذ بالوزن ·

شَطَح : ورد في معجم الأدباء ١٣ : ٥٨ ثم شطح في الكلام · وعلق عليها الناشر « اي توسع وتبسط ولم اجد شطح فجعلتها سطح بمعنى بسط ··· ويقال ان هؤلاء لهم شطحات » قلنا الكلمة سريانية ܫܛܚ shtah ومعناها : سطح ، بسط ، مدّ ، و ܫܛܚ ܡܠܬܐ ܥܠ shtah meltho ʿal : أسهب الكلام · ولا (شطح) في الفصحى ولكنها من كلام العامة ، ومنها ܡܫܛܚܐ Mashtoho : لما ينشر من عنب ونحوه وجمعه مشاطيح[2] ·

شُفنين : الشفنين بالضم اليمام او الورَشان (ابن بهلول) وفي صبح الأعشى ٣ : ٧٤ الشفنين بالضم اليمامة · وفي كتاب المرشد للتكريتي (الباب ٥١) « ومن القربان ··· فراخ الشفنين والعصافير » · لفظة سريانية ܫܘܦܢܝܢܐ

---

(١) الجاسوس على القاموس ص ١٣٣ ·

(٢) شطف ، غسل : سريانية ܫܛܦ shtaf ومنها التشطيف في كتاب ابن السباع وهي عامية ؛ واما في العربية فمعنى شطف : ذهب وتباعد ·

shoufnino . والجمع شفانين قال الجاحظ في كتاب الحيوان ١ : ٢٨٨ « واصناف الشفانين والوَراشين » .

الإشفى : المِثقب والسراد يُخرَز به ، وعن ابن السكيت : الإشفى ما خُرز به الأساقي ج اسقية وهي جمع سقاء ، والمزاود واشباهها . والمِخصَف للنعال ج الاشافي . وقال ابن فارس في مقاييس اللغة ص ١٠٧ « آشفَ : الهمزة والشين والفاء كلمة ليست بالأصلية فلذلك لم نذكرها ، والذي سُمع فيه : الإشفى ، قلنا هي سريانية ܫܦܝܐ shfoio و ܡܫܦܝܬܐ Mashfitho ومعناهما ، مِنخس ، مهماز ، مسلّة . وحقها ان تذكر في حرف الالف .

الشاقول : وزّان البنائين والمهندسين : ܬܩܘܠܐ Tokoulo .

شِقِرّاق : جنس طيور من الجواثم (المعجم ٥٥٠) وبالسريانية ܫܪܩܪܩܐ shraqroqo وقالوا فيه شرَقرق .

شُقفة : قال ياقوت في معجم الأدباء ٥ : ٤٢٧ طبع مرجليوث « واتفق ان الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي ويقال لها قملة النسر أيضاً فمات منها » قال الكرملي (مجلة مج ١٦ : ١١٧) انه مشتق من الارامية من فعل « ܫܩܦ shkaf » ومعنى الكلمة الرضّة والشدخة والصدعة بمعنى اختها (التراقي) ويجب ان تضبط وزّان الغرفة . اه ܫܘܩܦܬܐ shoukftho : لطمة ، صدمة ، صفعة ، و ܫܩܦ : شقف ، لطم ، صدم ، رضّ .

شَلّ : في شفاء الغليل ص ١١٨ « شللت الثوب ، خطته خياطة خفيفة ، كذا في المصباح » ܫܠ shal : شلّ ، خاط .

شَليل : غلالة تلبس تحت الدرع ، ومسح من صوف او شعر يجعل على عجز البعير من وراء الرحل ، ܫܠܐ shélo [1] .

(١ شالح فلانا عراه ، سوادية أوردها احمد عيسي في المحكم . وجاء في اقرب الموارد « وفي حديث علي ، خرجوا لصوصاً مشلّحين » هي سريانية ܫܠܚ shalah : ومعناها سلب ، قطع الطريق ، ومثلها ܐܫܠܚ ashlah .

شَليف : سلف ، جوالق . قال الاسكافي ص ٨٨ : الشليف قطعة من خيش تُلبَس السِقاء والقِرَب لتكنّها من الشمس ، يقال إداوة مُشَلَّفة ، وفي السريانية ܫܠܝܦܐ ، ܫܠܝܦܐ shalifo , shlifo . وهذه الألفاظ الثلاث اما سريانية الأصل واما من توافق اللغتين .

شمّاس : خادم دبني وهو دون القسيس ومعاونه في اثناء القيام بالخِدَم الكهنوتية وجمعه شمامسة وجمعه البيروني : شماسين (الآثار الباقية ص ٢٩٢) ومصنف ديارات الحيرة : شماميس (مسالك الأبصار ص ٢١٢) وفيه أيضاً ص ٣٤٢ قال مؤلفه ابن فضل الله العمري في دير الدواكيس شرقي القدس :

دير ُالدواكيس ام ريشُ الطواويس ام الشموسُ سنا تلك الشماميسِ

وقال ص ٣١٢ في دير الاسكون : راكب للنجف فيه قلالي وهيا كل ورهبان يقيمون الضيافة لمن ورد عليهم ، فاذا كان يوم الشعانين اتوه من كل ناحية مع شماميسهم بصُلُبهم وأعلامهم . وجمعه البحتري : شمامس قال : بين شمامس وقسوسِ (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) وقال عبد الله بن العباس الربعي (الأغاني ١٧ : ١٦٩) :

رُبَّ صهباء من شراب المجوسِ قهوة بابليّة خندريسِ

قد تجلّيتها بنأي وعودٍ قبل ضرب الشماس بالناقوسِ

قال ابن سيدة ١٣ : ١٠١ (الشماس من رؤس النصارى يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة ، وليس هو بعربي صحيح ، وكذلك قال صاحب التاج وزاد : وهذا عمل عدولهم وثقاتهم ، قاله الليث ، وقال ابن دريد : فاما شماس النصارى فليس بعربي محض ، وفي المحكم ، ليس بعربي صحيح ، والصواب ما قلناه في أعلاه ، وليس الشماس رأساً للنصاري ، وكان قديماً يلزم البيعة اما اليوم فلا . والكلمة سريانية من الألفاظ المسيحية ܫܡܫܐ shamosho وܡܫܡܫܢܐ Mshamshono والاسم الشماسية ، والشموسية غلط . قال القس ابو البركات ابن كبر في كتابه

« مصباح الظلمة » ص ٤٩ « من كان موسوماً بسمة الشماسية مرسوماً للخدمة الكنائسية » والفعل : شمَّس ܫܰܡܶܫ shamèshe خدم ، وفي المجدل لعمرو الطيرهاني ص ١٣ « رأى الملائكة يشمّسون اعني يصلّون »[1] .

شُمْرَة : رازيانج ، وفي معجم الزراعة ص ٢٧٠ « شمار ، رازيانج وله اشباه في الآرامية والعبرية والاثورية » وبالسريانية ܫܰܡܪܳܐ ، ܫܽܘܡܪܳܐ shamro shoumro[2] .

شَمَّل : حرف سرياني ܫܰܡܶܠ samèl ومعناه انحلّ بالتقشف والنُسك ورثاثة الثياب و ܐܶܫܬܰܡܰܠ Estamal : تزهد ، تنسك . والاسم ܫܽܘܡܳܠܳܐ soumôlo : نسك ، زهد . واسم الموصوف ܡܫܰܡܠܳܢܳܐ Msamèelo الناسك ، الزاهد . قال مُدرك الشيباني (تزيين الأسواق ص ٣٣٠) :

بحقّ قومٍ حلقوا الرؤوسا وعالجوا طول الحياة بؤسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا مُشمّلينَ يعبدون عيسى

وقال جحظة يصف دير العذارى (ياقوت ٢) :

وقد نطق الناقوسُ بعد سكونه وشمّلَ قسيسٌ ولاحَ فتيلُ

وقال ربيعة بن مقروم في وصفه راهباً « الأغاني ١٩ : ١٢ » :

جَئّارُ ساعاتِ النيامِ لربه حتى تخدّد لحمُهُ متشمّلِ

وقال : المتشمل : المتغني في تلاوة الزبور .

الشّهر اي القمر : ܣܗܪܐ sahro وورد في الاتقان ص ١٤٠ في شهر قال الجواليقي ص ٢٠٧ فاما الشهر ، فقال بعض اهل اللغة : اصله بالسريانية (سَهْر)

---

(١) شمس : قال حنين بن اسحق في كتاب القوانين بالسريانية « سميت الشمس بالسريانية ܫܶܡܫܳܐ شمشا shémsho لخدمتها البشر بنورها » يريد اشتقاقها من فعل ܫܰܡܶܫ ومدلوله خدم .

(٢) يستدرك على صاحب التاج قوله : ٥ : ٣٩٦ « شمعون الصفا اخو يوسف الصديق » فشمعون هامة رسل السيد المسيح استشهد عام ٦٧ م ويوسف الصديق بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل . وُجد في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فانظر المدة التي بينهما ومبلغ هذا التخليط !

فعرّب . وقال ثعلب : سمي شهراً لشُهرته وبيانه ، لأن الناس يشهرون دخوله وخروجه . وقال غيره : سمي شهراً ، باسم الهلال لأنه اذا أهلّ يسمى شهراً قال ذو الرُمّة : يرى الشهرَ قبل الناسِ وهو نحيلُ

وقال صاحب اللسان : والشهر القمر سمي بذلك لشهرته وظهوره . وفي المصباح : الشهر قيل معرب وقيل عربي وقيل الشهر الهلال سمي به لشهرته ووضوحه ثم سميت به الأيام .

اسماء الشهور : وقال صاحب اللسان « وآب من الشهور العجمي معرّب » وأخطأ بنسبة الشهور الى الرومية بقوله : « والكانونان شهران في قلب الشتاء رومية » ووهم مثله صاحب القاموس بقوله : وحزيران اسم شهر بالرومية وكذلك نيسان وتشرين وآذار . وزاد الشرتوني تمحلاً بقوله ٢ : ١١٠٨ « الكانونان كانون الأول وكانون الثاني شهران في قلب الشتاء ، قيل هو عربي مأخوذ من معنى الثقل لشدّة برده ،وصعوبة المتسبّب والحركة فيه ، وقيل دخيل » اهـ .

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٩ و ٣١٨ « المجوس وقد يسمون الشهور بالأسماء السريانية ، اما النصارى بالشام والعراق وخراسان فقد مزجوا بين شهور الروم وشهور اليهود ... وسموها باسماء سريانية وافقوا في بعضها اليهود وباينوهم في بعضها » وذكر شهور السريانيين ص ٧٠ .

وقال ابن العبري في كتابه الفلكي السرياني الموسوم بالصعود العقلي مج ٢ ص ١٩٠ « فمن الأمم من عدّت بعض شهورها ثلاثين يوماً ومنها اكثر من ثلاثين ، وبعضها اقلّ منه كالرومان واليونان والرهاويين السريان ، واما الرهاويون لما اقتبسوا اسماء الشهور من العبرانيين لم يوافقوهم في تقسيم كمية ايامها لكنهم وافقوا في ذلك اليونان والرومان » اهـ .

وفي قول هذا العلاّمة نظر ، فان اربعة اسماء من شهور العبرانيين لا توافق اسماء شهور السريانيين وهي : مرحشوان وكسليو وطيبث وسيوَن ، والثلاثة

الأولى توافق تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني . واورد الأب دُورم في كتابه «البلاد الواردة في الكتاب المقدس ص ٤٢ و ٤٣ و ٤٦ ان طيبث Tebet وسيوَن Siwan اسمان بابليان ، اذاً لا تثبت نسبتها الى العبرية . وذكر أيضاً في كتابه المنوّه به وكتابه الموسوم بالديانة الاثورية البابلية ان اسماء شهور آذار ونيسان وايار وتموز وآب وايلول (ويسمونه Ululu اولولو) وتشرين ويذكرونه مرخّماً (تشري) كما هو عند العبرانيين والسريانيين أيضاً Tésrit هي بابلية الأصل «راجع في الكتاب الأول ص ١٠ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ وفي الثاني ص ٦٧ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٧ ، ١٤٩» ومن البابلية اخذها العبران والسريان فقال العبرانيون : نيس واوب (مثل السريان) وتمّز وايلل وشغط . وأما حزيران وكانون الأول والثاني فأسماء سريانية ܚܙܝܪܢ ، ܟܢܘܢ ، ܩܕܡܝܐ ، ܟܢܘܢ ، ܬܪܝܢܐ ، Konoun , Hziron Traïno , Konoun , Kadhmoïo . ولما كان كتبة العصور الوسطى العرب يجهلون ما ورد في اللغة البابلية وخالطوا السريانيين ، اثبتوا ان الشهور المذكورة كلها سريانية لاستعمال السريان اياها . وكأنّ البيروني أراد بالجوس البابليين .

شواصرا : اقحوان او شويلاء ، حشيشة لونها بين خضرة وصفرة لها رائحة طيبة وزهرة صفراء ܫܘܥܨܪܐ shouoçro [1] .

شَوبَق : قضيب ، عصا دقيقة تستعمل لبسط الرغيف حتى يرقّ . قال الاسكافي ص ٦٤ ويقال للذي تُسوّى به الرغفان وترقّق : المِرقاق ، والمِحوَر ، والكَريب والصُوبَج . وفي شرح درة الغواص للخفاجي ص ١٦٩ «صوبج على فوعل وهو ما يبسط الخبّاز عليه الرقاق والعامة تقول له شوبق» وفي لغة الموصل وغوطة دمشق العامة : الشوبك ، بالكاف . ويسمى أيضاً المِطلَمة وهي آلة تسوّى بها الطلمة ، والمِسطح . وبالسريانية ܫܒܘܩܐ shabouqo .

(١) يسميها أهل أرياف حمص : صويصرا .

- شوّشَ : اختلف اللغويون في هذا الحرف · فجاء في المزهر ١ : ١٧٩ «قال عبد اللطيف البغدادي في ذيل الفصيح : أجمع أهل اللغة على ان التشويش لا أصل له في العربية وانه مولّد وخطّأوا الليث فيه» وقال الخفاجي في شرح درة الغواص ص ٦٢ «التشويش وقع في كلام الزمخشري واهل المعاني كقولهم : لفّ ونشر مشوش ، وفي شعر الطغرائي :

وان قدرتِ على تشويش طرّته فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

وما أنكره الحريري أثبته الجوهري فقال التشويش ، التخليط · وقد تشوش عليه الأمر ، وكذلك قال الليث ، وقال صاحب القاموس انه وهم · وقال ابن بري انه من كلام المولدين ، ولا أصل له في العربية الا ان الليث أثبتها وهو ثقة» وقال في الشفاء ص ١١٥ والجوهري والليث ثقتان · وقال السيد محمود آلوسي في كتابه : كشف الطرة عن الغرة ص ٢٩٣ «ولا عبرة بانكار صاحب القاموس وغيره بعد رواية الثقة ذلك» قلنا وممن استعمله البيروني قال ص ٣٣٢ «فانها (القوانين) اذا قرّت على حالها لم تخلُ عن تشاويش وتخاليط وقد أنبأنا عن اكثرها» والحرف سرياني ܫܘܫ shawèshe ومعناه شوّش ، بلبل ، والاسم ܫܘܫܐ و ܫܘܫܘܬܐ shawshoutho , shawsho · فهو اذا معرّب من السريانية [١] ·

شِيد : ما طلي به الحائط كالجصّ ونحوه ، وبالسريانية ܣܝܕܐ sido ·

شَيلَم ، شَوْلم ، شالم : نبت بين الزؤان والشعير حبّة مرّ ، قيل انه فارسي ، وقالوا فيه : الزؤان يكون بين الحنطة ، وفي معجم البلدان ٥ : ٣٢٨ «الشيلم بلغة السواد الزؤان الذي يكون في الطعام» كذا · وهو بالسريانية ܫܝܠܡܐ و ܫܠܘܡܐ shiloumo , shaïlmo ·

---

(١) شياف : الشِيف نوع من الأدوية يستعمل للعين وغيرها: قال ابن ابي اصيبعة ١ : ٢٣٨ «ثم بدأ يداوي عينه بالأشياف» وهو بالسريانية ܫܝܦܐ shiofo ·

والشِيح : نبات انواعه كثيرة منه طيب الرائحة ، ومنه ينبت في بلاد العرب ترعاه المواشي وهو بالسريانية ܫܝܚܐ shiho . وهذان الحرفان لم نتحقق أصلها اللغوي.

حرف الصاد

صامَ : فعل سرياني بحت : ܨܳܡ som والمصدر ، صوم وصيام ܨܰܘܡܳܐ sawmo وفي نبوة اشعيا ٥٨ وهل تسمي هذا صوما » وقال النمر بن تولب :

صدّت كما صدّ عمّا لا يحلّ له ساقي نصارى قبيل الفِصح صوّامُ

(كتاب سيبويه طبعة بولاق ٢ : ٢٩) .

صحناء ، صحناة : سمك صغير مملّح ، وفي اللسان : الصحناء ادام يُتخذ من السمك ، والأصح من السمك الصغار ، وفي عيون الأخبار لابن قتيبة الدنيوري ١ : ٢٢١ « اما الجائع فيأكل خبز الأرز والصحناء » وفي معجم الأدباء ١٣ : ٢٥٩ تعليق من عبد الخالق على الصحناة قال « وكأنه ما نسميه السردين » سريانية ܨܰܚܢܺܝܬܳܐ sahnitho .

صَدَقة : عطية يُراد بها المثوبة ܙܶܕܩܬܳܐ Zedktho والفعل ܐܶܙܕܰܕܰܩ Ezdaqaq تصدّق وفي انجيل لوقا ١٢ : ٣٣ « بيعوا ما لكم واعطوا صدقة » وفي الحديث (جس ٣٧) (ان الصدقة تقع في يد الله) .

صِدّيق : بكسر الصاد وتشديد الدال ، قال القاموس : الصِدّيق : الكثير الصدق . واضبط منه : هو البار قولاً وفعلاً ، وفي سفر التثنية ٣٢ : ٤ « لا جورَ فيه صدّيق وعادل » وقال جبرائيل الملاك ليوسف : أتعرفني ايها الصدّيق . حرف سرياني ܙܰܕܺܝܩܳܐ Zadiqo ومنه :

صِدّيقية : ܙܰܕܺܝܩܽܘܬܳܐ Zadiqoutho : برارة : قال الشرتوني نقلاً عن التعريفات : « الصدّيقية درجة أعلى من درجات الولاية وادنى من درجات النبوة ، فمن جازها وقع في النبوة » وفي عيون الأخبار » لابن قتيبة ٢ : ٢٧١ « وقرأت في الانجيل « ... فالتمسوا ملكوت الله وصدّيقيّته فانكم سوف تُكفَون »

صُراحيّة : قلة ، جرة اناء للخمر : جاء في شفاء الغليل ص ١٢٦ « صراحية يستعملها الفرس والروم لزجاجة معروفة يوضع فيها الشراب ، وهي لغة عربية

صحيحة اهملها القاموس ، وفي شرح ابنية سيبويه : الصُراحيه الخمر التي لم تُشب بمزاج » اهـ . قال بعضهم ان وضعها الأصلي الدلالة على الخمر ثم استعملت مجازاً لآنية الخمر . وفي التاج : الصراحية بالضم وتشديد المثناة التحتية ، آنية للخمر ، قال ابن دريد ولا أدري ما صحته » . قلنا هي سريانية معربة من ܨܠܘܚܝܬܐ sloubitho ومعناها صراحية ويقال أيضاً صلاحية ، قلة ، جرة .

صُرصُور ، والصُرصُر : حيوان فيه شبه من الجراد قفّاز يصيح صياحاً رقيقاً وقيل هو الجُدجُد (الشرتوني : ١ : ٦٤٣) وفي سفر التثنيه ٢٨ : ٤٢ «يتولاّه الصرصر» . ووقع في شعر نرسي من شعراء المشارقة المتوفى سنة ٥٠٧ م ܨܨܪܐ ، ܨܪܨܘܪܐ sarsouro , sesro .

صرّهُنّ : قال السيوطي في كتاب الاتقان : اخرج ابن جرير عن ابن عبّاس في قوله « فصرّهن » قال هي نبطية : فشققتهن . واخرج مثله عن الضحاك ، وأخرج ابن المنذر عن وهب ابن منية قال : ما من اللغة شيء الا في القرآن شيء منه ، قيل وما فيه من الرومية ؟ قال فصرّهن . بقول قطّعهن اهـ . قلنا لاحاجة لهذا التكلف فاللفظة سريانية من فعل ܨܪܐ sro ومعناه: قطع ، شقّ ، خرق .

صَفْصاف : جنس شجر حرجي مائي (الشهابي ص ٥٦٦) وفي المعاجم الصفصاف الخلاف او صنف منه . وفي التاج : انها لغة شامية : ܨܦܨܦܐ safsofo سريانية ورد في سفر ايوب : ٤٠ : ٢٢ « يحيط به صفصاف » .

الصّليب : ܨܠܝܒܐ slibo حرف سرياني لم يرد في المعاجم وبمعناه المسيحي وهو الخشبة التي عليها صُلب السيد المسيح . وليس معرّب جليبا بالجين كما زعم صاحب التاج في هامش صفحة ٥٥ اذ لا (جين) بالسريانيه لكن معرب صليبا السريانية . وجمعه صُلبان وصُلُب ، كما نقله مصنف ديارات الحيرة في مسالك الأبصار ص ٣١٢ . ومنه :

الصّلبوت : بالمعنى نفسه خاصّ بالصليب المقدس ܨܠܝܒܘܬܐ slibouthо

وفي مختصر الدول ص ٣٨٦ « واعادة صليب الصلبوت » وقال البيروني ص ٣١١ « الجمعة التي صُلب فيها المسيح وهي الصَّلَبوت » وقال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ في يوم الجمعة « ويسمى جمعة الصلبوت » .

صلّى : الرجل ، دعا وأقام الصلاة مبتهلاً الى ربه ، فعل سرياني بحت ܨܠܝ sali[(1)] ، والاسم : الصلوة ܨܠܘ ، ܨܠܘܬܐ slou , sloutho . وبالواو لا بالألف كُتبت في أقدم نسخ القرآن . ورد في المزمور ٤ : ١ « اسمع صلاتي » وفي الحديث « الصلاة مفتاح كل خير » (المناوي ١٩٣) وقال منظور الاسدي

كأنَّ مَهْواه على الكَلْكلِ موقعُ كفَّي راهبٍ يُصلّي

وبيت الصلاة : ܒܝܬ ܨܠܘܬܐ Beth sloutho : المصلّى ، المعبد .
قال الفرزدق يمدح جبيرة بنت ابي بذّال :

تهادى الى بيت الصلاة كأنها على الوعْث ذو ساقٍ مهيضٍ كسورُها
والوَعْث العظم المكسور .

ويجتزأ عن بيت الصلاة باللفظة الثانية « الصلاة » للمعنى نفسه كما اعتاد مسيحيو أهل حمص وشرقي الأردن تسمية البيعة بالصلاة فيقول احدهم : هل فتحتَ الصلاة ؟ يريد البيعة . ومن السريان أخذ العبريون اللفظة فسموا كنيستهم « صَلوتا » والجمع صلوات على ما ورد في القرآن في سورة الحج ٤٠ ونصه « ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضُهم ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسم اللهِ كثيراً »[(2)] .

وبما أن اللفظة سريانية النجار والاشتقاق وهي دخيلة في العبرية التي لا تعرف سوى فعل « صلح Sâlâh » بمعنى « شوى » كما ورد في العربية « صليت اللحم

(١) وتوافق اللغة الاكّدية السريانية بهذه اللفظة Sullu : صلّى (الديانة الأثورية البابلية لدورم ص ٢٤٨) .

(٢) نقل الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ انهم فسروها بقولهم : الصلوات لليهود والبيع للنصارى والصوامع للصابئين ، وانما قُدّمت على المساجد لأن الهدم اهانة .

اصليهُ من باب رمى : شويتهُ » (المصباح المنير ١ : ٥٢٩) وكذلك العربية اخذت الكلمة من السريانية بمعنى الدعاء والاستغفار والبركة وما الى هذا ، وليست الصلاة في ما وهم ابن فارس من صليت العود بالنار اذا لينته لأن المصلي يلين بالخشوع (المصباح ١ : ٥٣٠) ولا من قول بعضهم ان أصلها من الصَّلاء ومعنى صلّى الرجل أي انه ازال عن نفسه بهذه العبادة الصَّلاء الذي هو نار الله الموقَدة (المفردات للراغب الاصفهاني ص ٢٨٧) .

فقد غلط الجواليقي في المعرّب ص ٢١١ والسيوطي الذي نقل عنه في الانقان ١ : ١٤٠ ، والخفّاجي في شفاء الغليل ص ١٢٣ ـ ١٢٤ والفيروزابادي ٤ : ٣٥٣ والشرتوني الذي نقل عنه ١ : ٦٦٠ وغيرهم بقولهم ان « صلوات » عبرية الأصل .

صَمصام : سيف لا ينثني وورد في السريانية ܨܡܡܐ ، ܨܡܨܡܐ Smomo Samsomo أورده ابن بهلول ع ١٦٧١ وفي هامش ١٦٧٢ وصاحب كنز اللسان السرياني مج ٢ ص ٣٨١ ومؤلف اللباب ٢ : ٣٧٥ وأثبته دوفال في الألفاظ السريانية مج ٣ : ١٦٨ .

مَصنَفة : وزان مفعلة بفتح الميم او كسرها : عصابة كالمنديل يغطي بها الاسقف السرياني رأسه في أثناء اقامته القدّاس وسائر الخدم الحبرية ، وتكون من قماش حرير مزركش ، ويقال فيها أيضاً : تاج او منديل شبيه بالبَيرون ، نصيف ، صِماد ، عمامة ومقنعة للرأس ولها شرُفات كالتاج . وقال فيها ابن بهلول ع ١١٤١ « عمامة ، عصابة ، نصيف ، مقنعة أو هي قبع له شرفات من الأمام وتشبه التاج الذي يُلبَس في الرأس تحيط برأس رئيس الكهنة كالاكليل وتشبه بالتفافها النصيف الذي تلفه النساء الروميات على رؤوسهن » ذُكرت في التوراة السريانية البسيطة احدى عشرة مرة في سفر الخروج ٢٨ : ٤ و ٣٧ و ٣٩ ـ و ٢٩ : ٦ و ٣٩ : ٢٨ و ٣١ . وفي سفر اللاويين ٨ : ٩ و ١٦ : ٤ . ܡܨܢܦܬܐ Masnaftho « ܘܡܨܢܦܬܐ » خروج ٢٨ : ٤ » « ܘܣܝܡ ܡܨܢܦܬܐ ܒܪܫܗ :

لاويين ٨ : ٩ » . وترجمتها النقول العربية ب : تاج ، برنس ، عِمامة ، قلنسوة . ماعدا النقل القديم الذي ترجمها بلفظة مصنفة في ثلاثة مواطن قال « واصنع مصنفة من كتان » - خروج ٢٨ : ٣٩ « واجعل المصنفة على رأسه واكليل القدس على المصنفة » - خروج ٢٩ : ٦ ، وفي سائر المواضع وافق النقول . وأما المعاجم فانفرد منها دليل الراغبين بايرادها بلفظها ص ٦٤٣ . واللفظة من فعل ܨܢܦ snaf : لفّ صمد رأسه ، و ܨܢܸܦ sanef : عصب ، لفّ ، صمد رأسه بصماد وهو المأنوس ، والاسم ܨܢܸܦܬܐ senefthо : صَنِفة ، حاشية الثوب ، طرفه . وورد أيضاً ܢܨܝܼܦܐ nsifo : نصيف ، جُنَّة ، عمامة (دليل الراغبين ص ٤٦٢)

وكذلك هي باللغة العبرية מצנפת Misnêfêt (معجم برون : ٥٤٩) و sanif : عِمامة والفعل sanaf : طوى ، دوَّر ، أدار .

وأما في العربية فقد جاء في القاموس ٣ : ١٦٣ « صَنِفة الثوب كفرِحة ، وصِنفُهُ وصِنفته بكسرها : حاشيته أيّ جانب كان ، أو جانبه الذي لا هُدْب له او الذي فيه الهُدب » وفي الفائق للزمخشري ص ٣٩٣ « الصَنِفة ، حاشية الازار التي تلي جسد (الرجل) ، ونصف الجارية خمَّرها وتنصفت الجارية اختمرت ، والنصيف كأمير : الخمار والعمامة وكل ما غطى الرأس ، ومن البُرْد ماله لونان (القاموس ٣ : ٢٠٠) .

فاللفظة سريانية وعبرية لثبوت الفعل فيهما . ولا بدّ من ادخالها المعاجم واستعمالها دفعاً للالتباس بينها وبين تعريف التاج والعمامة والنصيف والبرنس كما هو واضح (١) .

صَنَم : وثن ، تمثال : جاء في التاج « يقال انه معرّب شمن ولا أدري في أي لسان فانه في الفارسية بتّ ، وقال الدكتور الجلبي : شمن فارسية ومعناها عابد صنم ، ورجح أصل اللفظة السرياني بدليل مشتقاتها فيه (الآثار ٦١)

(١) ارتأى الأب اوغسطين مرمرجي في كتابه « هل العربية منطقية ص ٦٤ - ٦٥ » ان صنيف أو مصنفة دخلت مقلوبة الى العربية عن العبرية رأسا ؟

قلنا هي معربة من السريانية : ܨܠܡܐ Salmo والفعل ܨܠܡ Salèm : صوّر : وفي سفر التكوين ٣١ : ١٩ «فسرقت راحيل أصنام ابيها» وفي نبوة اشعيا «وسبك صنماً لغير نفع» ٤٤ : ١٠ [١] .

صِير : في مبادي اللغة : ٣٩ «والخرق في الباب يسمى الصِّير وهو الشقّ» وفي الحديث : من نظر في صير بابٍ ففُقئت عينه فهو هَدَر» وعن ابن سيدة قال ابن دريد : احسبه سريانياً معرباً لأن أهل الشام يتكلمون به . قلنا هو كذلك : ܨܪܝܐ ، ܨܪܝܐ Sroio , Serio . أما ان الصير نوع من السمك وهو سرياني معرب كما زعم الجواليقي والخفاجي (ص ١٢٤) او انه إدام من سمك كما ذهب غيرهما فلا صحة له [٢] .

حرف الطاء

طاغوت : كل رأس ضلال ، وفي ذيل اقرب الموارد عن التاج ص ٢٧٧ «الطاغوت ، الصارف عن طريق الخير ، والطواغيت والطواغي : بيوت الأصنام» وفي القرآن «اجتنبوا الطاغوت» وفي مفردات الراغب ص ٢٠٧ «والطاغوت عبارة عن كل متعدٍ وكل معبود من دون الله . . ولما تقدم سمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ووزنه فيما قيل فَعَلوت نحو جبروت وملكوت» اه فاللفظة بصيغتها هذه سريانية الأصل ܛܥܝܘܬܐ Toôioutho ومعناه : ضلال ، غلط ، غش ، من فعل ܛܥܐ Too : ضلّ ، طغى ، غلط ، اغوى ، والدليل وزنه نحو جبروت وملكوت وهما وزنان

---

(١) وكذلك بالعبرية (بروك ص ٥٤٥) .

(٢) صلاّم ، شجر صَلب وهو بالسريانية ܨܠܘܡܐ ܨܠܡܘܢܐ ܨܠܡܐ Salomo , Salmouno , Salmo (دليل الراغبين ٦٣٨ وابن بهلول ع ١٦٦٩ وقال فيه : شجرة صلم) ولم نعثر عليه في دواوين اللغة .

الصَّيق : قال الجواليقي ص ٢١١ عن ابن قتيبة «الصيق الريح وأصله نبطي» (زيقا) وقال الليث : الصّيق ، الغُبار الجائل في الهواء ، وعلق الشارح عن اللسان نقلاً عن بعضهم ان الكلمة عبرانية بقوله : لا دليل لمن زعم عجمتها .

يوافقان الصيغة السريانية ، وليس فارسية الأصل كما وهم الثعالبي (فقه اللغة : ٣١٦)

طِبْطاب : جاء في التاج : قال ابن دريد، الطِبطاب الذي يُلعَب به ليس بعربي . قلنا هو سرياني ܛܦܛܘܦܐ Taftofo : طبطابة خشبة يُلعب بها بالكرة[1]

طلا ، طَلو ، طُليّ : وفي الجمهرة الطُلَيّ تصغير طلا (ص ٤٤) الطّلا والطّلو ، ولد الظبي ساعة وُلد ، والصغير من كل شيء ، وهو بالسريانية ܛܠܐ ، ܛܠܝܐ Tàlio , Tlé : طلو ، طلا ، حدث صغير ، والفعل ܛܠܝ و ܛܠܐ Tlo , Tli : صغر ، ولا فعل منه بالعربية فترجح سريانيته بدليل فعله .

طَنَز به : سخر ، قال الجوهري ١ : ١٧٨ الطنز أظنه مولّداً أو معرّباً ومعناه السُخْرية » وفي الجاسوس ص ٣٥٨ « الطنز غير عربي نبّه عليه الجوهري . قلنا هو سرياني ܛܢܙ Tnaz .

طُوبى : جاء في التاج ٣ : ٧٥ طوبى لهم وحسن مآب اي الحسنى لهم وطوبى ، اسم الجنة بالهندية (كذا) معرب عن توبى . وعن سعيد بن جبير ان طوبى اسم الجنة بالحبشية . وفي المزمور ١ : ١ «طوبى للرجل» وفي الحديث «طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرَني» المناوي ٨٨ .

قلنا طوبى سريانية ܛܘܒܐ Toubo ومدلولها الغبطة والسعادة والحسنى ، ويقال طوبى لك وطوباك ، والأولى أفصح . وليست من جمع الطيبة من نوادر الجموع كما زعموا ، ولا هي شجرة في الجنة ، وليست الجنة بالهندية والحبشية ، وأنى لهم ان يعرفوا اسم شجرة في الجنة فقالوا فيها طيبى ، وأين ورد هذا وما سنده ؟

(١) من الألفاظ التي أخذها السريانيون من اليونانية ثم وردت في العربية :

طِرّيخ : وهو سمك صغارتمالج بالملح وتقول فيه العامة ترّيس : ܛܪܝܟܐ Torikho

وُطغمة : جوقة ، كتيبة ، جماعة تُطلق على الناس والملائكة ܛܓܡܐ Tèghmo

وَطَقس : نظام ، رتبة ، صفّ ، ويعنون بها خصوصاً : مجموعة أدعية ، وحفلات دينية ܛܟܣܐ Teqso وأصلها Taksoes وصاغوا منها فعل ܛܟܣ Takes : رتّب ، هذّب وغير ذلك .

وقال البيروني في الآثار الباقية ص ٣٣٣ « شوال اول يوم منه عيد الفطر ... وزعموا ان فيه خلق الله الجنة ولم يذكر في قولهم معا فيه ويلزمه حتى الحقوا به التشبيه الفظيع من قولهم : ان فيه غرس شجرة طوبى بيده ، ولم يأوّلوا ذلك بل اعتقدوه جهلاً كما هو » اه . ومن هذا الحرف طوباوي ܛܘܒܢܐ Toubono ومؤنثه ܛܘܒܢܝܬܐ طوباوية Toubonitho .

طُور : الطور ، الجبل ، وفي التاج ٣ : ٣٦٩ والطور جبل قرب أيلة وهو بالسريانية طورى ، والطور الجبل بالسريانية (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٦٣ والجواليقي ٢٢١) وفي الاتقان : اخرج الفريابي عن مجاهد قال : الطور الجبل بالسريانية ، وأخرج ابن أبي حاتم الضحاك انه بالنبطية . قلنا هو ܛܘܪܐ Touro ومنه (طورزيتا) لفظتان سريانيتان معناهما : جبل الزيتون . وفي معجم البلدان ٦ : ٦٨ و ٦٩ « طور زيتا جبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور على رأسه شجر زيتون عذي يسقيه المطر . ولذلك سمي طور زيتا . وفي فضائل البيت المقدس وفيه (طور زيتا) وهو مشرف على المسجد ومنه رفع عيسى بن مريم » (١) واللفظة توافقت فيها السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ص ١٨٤) .

الطُوري والطُوراني : الوحشي من الطير والناس (اقرب الموارد ١ : ٧٢١) ولعلها ܛܘܪܝܐ Touroio بمعنى ناسك ، متوحد ساكن الجبال ، وقد وقعت في بعض أشعار الامام القديس افرام السرياني .

الطَّوف : الرَّمث ، الكَلَك : وفي ذيل أقرب الموارد عن اللسان : الاطواف الارماث التي يركب عليها فوق الماء ، الواحد طوف وهو مذكور في الكتاب : قلنا وفي سفر الملوك الأول ٥ : ٩ « وأنا أصيِّرها أطوافاً في البحر » (في الترجمة الموصلية عن النسخة السريانية البسيطة) وهو حرف سرياني ܛܘܦܐ Tawfo .

(١) طور عبدين ܛܘܪܥܒܕܝܢ Tourabdine من أعمال نصيبين ، وليس هو بليدة كما قال ياقوت لكنه جبل فسيح المدى يشتمل على قرى كثيرة .

طُوفان : سيل عرمرم ܛܘܦܢܐ Tawfono وفي سفر التكوين « فها أنا جالب طوفان الماء على الأرض ٦ : ١٧ » ان دوفال أحصى هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية ٣ : ١١٧ . أما نحن فاذا اعتبرنا فعل طاف في السريانية والعربية فلا نمالئ دوفال في رأيه ونرجح اشتراك اللغتين فيها[1] .

طَيْجَن ، طاجن : مقلاة ، طابق . وفي كتاب العنوان للمنبجي ص ١٣٤ «وطرحوه في طيجن» قال الخفاجي في شفاء الغليل ١٣٨ «طاجن وطيجن بمعنى مقلي : فارسي معرب تكلموا به قديماً» وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٩٤ و ١٥٩ و ١٦٦ «في الجمهرة الطيجن ، لغة شامية وأحسبها لغة سريانية او رومية» . وعدّه برون في معجمه ص ١٨٠ والأستاذ بندلي جوزي في مجلة مجمع اللغة ٣ : ٣٤٣ من الالفاظ اليونانية Teègan - on ورجح المطران ادّى شير يونانيته . اما المستشرق روبنس دوفال فاحصاه في عداد الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية فهو بالسريانية ܛܓܢܐ Tegno و ܛܝܓܢܐ Tigno والفعل ܛܓܢ Taguène : طجّن ونحن الى رأيه أميل بدليل وقوعه في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة « ܘܐܢ ܩܘܪܒܢܟ ܥܠ ܛܓܢܐ : لاويين ٢ : ٥ ومثله في النقل اليسوعي «وان كان قربانك تقدمة على طاجن» والشدياقي « وان كان قربانك هدية في طاجن» .

---

(١) الطيبوث : لفظة سريانية ܛܝܒܘܬܐ Taïbautho يراد بها ، تَجِلّة من زيت مقدّس وماء وزميم بعض القديسين ، قال الخالدي « في دير القيّارة بين الموصل والحديثة على جانب دجلة الغربي تحته حمّة عظيمة ، وسبيل من قصدها أن يظلّ نهاره في مائها ويأوي ليلهُ هيكل ديرها ، ويدهنه رهبانه بالطيبوث فيشفى باذن الله » وقال الكندي المنبجي حين مرّ بدير مار ماعوث « وصوابه باعوث » :

ولقد سلكت مع النصارى كل ما سلكوه غير القول بالثالوث
بتناول القربان والتكفير للصلبان والتمسيح بالطيبوث

معجم البلدان ٤ : ١٧٦ .

حرف الظاء

ظَبي : الظبي الغزال جنس حيوانات مجترات من ذوات الأظلاف المجوّفات القرون (معجم الشهابي ٥٣ و ٢٩٩) ورد في سفر التثنية ١٢ : ١٥ «كالظبيّ والايّل» وهو بالسريانية ܛܒܝܐ Tabio مما توافقت فيه اللغات الثلاث (برون : ١٨٠)

مِظَـلَّة : سقيفة ، عرزال ، لفظة متقادمة العهد وردت في سفر التكوين ٣٣ : ١٧ «وصنع لمواشيه مظلاّت» وفي سفر ايوب ١٧ : ١٨ «وكمظلة صنعها الناطور» ومنها عيد المظالّ ، قال ابو الفداء في تاريخه ١ : ٨٩ «ومن اعيادهم (اعياد اليهود) المظالا وهي سبعة أيام يستظلون فيها بالخلاّف والقصب وغير ذلك» ܡܛܠܬܐ Mtaltho ܡܛܠܠܬܐ، ܡܛܠܐ Matlo والفعل ܛܠ Tal : دام ظِلّه ، ظلّل ، وهي مما توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية (معجم برون ١٨٧) .

ومما يلحق بها وفاتنا ذكره : «بَرْطُلَّة» قال الجواليقي ص ٦٨ «والبرطُلّة كلمة نبطية وليست من كلام العرب . قال ابو حاتم ، قال الاصمعي «بر» [ܒܪ Bar] ابن ، والنبط يجعلون الظاء طاء وكأنهم أرادوا «ابن الظلّ» ألا تراهم يقولون الناطور وانما هو الناظور» ؟ كذا . وعلق الشارح عليه بقوله «عن الليث ان البرطلة هي المظلة الضيقة» وتبعه فيه صاحب القاموس ٣ : ٣٣٤ اهـ . وفي ذيل أقرب الموارد ص ١٣٤ عن اللسان : البرطلّة المظلة الصيفية ، نبطية استعملت في لفظ العربيـة . وعبارة اللسان نقلها التاج عن التكملة والتهذيب وقال «هو الصواب» قلنا ويتضح هذا بشهادة الجاحظ في البيان والتبيين ٣ : ٥١ قال «ولا بد للجاثليق من قناع ومن مِظَلة وبُرطلة ومن عكازة وعصا» ووردت اللفظة أيضاً في ترجمة مرقس الضرير ابن القنبر القبطي الذي كان سنة ١١٨٥ م

« قال ـــ ومدّ البطريرك يده الى رأسه (رأس مرقس) وطرح البرطلة وبقي مكشوف الرأس ، وان أحد تلاميذ البطريرك أعاد البرطلة الى رأسه » (الجزء الثاني من كتاب الشيخ المؤتمن أبي المكارم سعد الله بن مسعود المنسوب الى أبي صلح الأرمني ، في الصفحة الثانية من ورقة ٣٦ من النسخة المصونة في خزانة باريس) فيظهر من هذا ان البرطلة يومئذ كانت صنفاً من العمامات الكبيرة التي يغشاها ما يشبه المظلة أو تمتد أطرافها الى ما يشبه ذلك ·

أما ܒܪܛܠܐ Bartélo فلم ترد في دواوين اللغة السريانية ولا عثرنا عليها في تاريخ الجثالقة ولكن القياس لا يأباها ، فهي اذاً كلمة سريانية مركبة (لا نبطية) · وارتأى مجمع اللغة الملكي أن يطلقها على (مظلات النساء) (مجلة اللغة العربية ١ : ٤٥) وكان عليه أن ينوّه بأصلها السرياني وتوافق اللغات الثلاث فيها ، ويعرّفها بالصيغة ، لا الضيقة التي وردت مصحفة ·

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

كنوز الأجداد

- ١١ -

ابن خلكان

شمس الدين احمد الاربلي

(٦٨١)

قاضي القضاة الكملة ، شيخ المؤرخين ، علم المحققين ، المتفنن في العلوم ، البارع في تصنيفه ، العظيم في تفكيره ، المجيد في شعره ونثره ، ينم ما كتب على ذوق عال في الأدب وعلى اطلاعه الواسع في جميع فروعه ، ماهر بالمناسبات والمقارنات ، صاحب اليد الباسطة في النقد وليس ممن يقنعه النقل المجرد ، يجمع بين معرفة نفسية الناس ومعرفة التاريخ ومعرفة الشريعة ومعرفة السياسة ومعرفة الأدب ، والنفوذ أبداً الى الحقائق والعلوم المنوعة التي أعانته على التجويد في تأليفه .

ولد سنة ثمان وستمائة في مدينة اربل بمدرسة سلطانها مظفر الدين بن زين الدين وكان والده يتولى التدريس فيها . وقيل في نسبه انه ينسب الى البرامكة فهو احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان بن باول بن عبد الله بن شاكل ابن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك . قال ابن العديم انه من بيت معروف بالفقه والمناصب الدينية وقال غيره كان إماماً عالماً فقيهاً أديباً شاعراً مفتناً مجموع فضائل معدوم النظير في علوم شتى ، حجة فيما ينقله ، محققاً لما يورده ، متفرداً في علم الأدب والتاريخ وكان ولي قضاء دمشق مرتين ثم عزل وقدم القاهرة وأفتى ودرس ودام بها نحو سبع سنين ثم أعيد الى قضاء

دمشق وسر الناس بعوده ومدحته الشعراء بعدة قصائد من ذلك ما قاله رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ ـر وعندي ان الكرامَ جناس
ولكل سبع شداد وبعـد السـ ـبع عام فيـه يغاث النـاس

وقال سعد الدين الفارقي :

أذقت الشام سبع سنين جدباً غداة هجرته هجراً جميـلا
فلما زرته من أرض مصر مددت عليه من كفيك نيلا

وكانت مدة مقامه بدمشق عشر سنين كوامل لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً وعاد الى القاهرة فصادف فيها كتباً كان يؤثر الوقوف عليها فطالعها وأخذ منها حاجته . «وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالأحكام بعد ما كانوا يكونون من نوابه» وأثرت هذه المأثرة للظاهر بيبرس وكان بينه وبينه صلات ود وشغل . والظاهر هو الذي جعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة قاضياً يقضي بينهم .

ذكر في مقدمة كتابه أن ما دعاه الى جمع تاريخه أنه كان مولعاً بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم كل عصر فوقع له منه شيء حمله على الاستزادة وكثرة التتبع فعمد الى مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن وأخذ من أقوال الأئمـة المتقنين له ما لم يجده في كتاب فرتبه على حروف المعجم ولم يذكر أحداً من الصحابة ولا من التابعين الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء فانه لم يذكر أحداً منهم وذكر جماعة من الأفاضل الذين شاهدهم ونقل عنهم أو كانوا في زمنه ولم يرهم ولم يقصر مختصره على طائفـة مخصوصة من العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس وقيد من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيحه وذكر من محاسن كل شخص ما يليق به من

مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ليتفكه به متأمله ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله والدواعي انما تنبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفننًا واسماه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » مما ثبت بالنقل أو السماع وأثبته البيان .

وطلب في مقدمة الكتاب وخاتمته ممن وقف عليه من أهل الدراسة بهذا الشأن ورأى فيه خللاً فهو المثاب في اصلاحه بعد التثبت فيه . وطلب في آخر كتابه ممن وقف عليه من أهل العلم ورأى فيه شيئًا من الخلل فلا يعجل بالمؤاخذة فيه فاني توخيت فيه الصحة حسبما ظهر لي مع أنه كما يقال : أبى الله أن يصح إلا كتابه . أي أنه بذل الجهد في التدقيق فان ظهر ما فيه خلل بعد ذلك فانه أجاز العالم المطلع عليه أن يصلحه ، وأي أمانة للعلم أعظم من هذه الأمانة .

أعجب علماء المشرقيات بكتاب الوفيات وقالوا انه ليس في لغاتهم من كتب التراجم ما يماثله في التحقيق وما أعجبوا به إلا لأنه نشره لما حقق كل ما فيه وتمثله وهضمه فهو كتاب في التحقيق معجب لا يحتاج مطالعه عند تلاوة ترجمة من الترجمات الى مزيد إذا انتهى من الترجمة شرح ما يخشى أن يعسر فهمه على القارئ من ألفاظ لغوية غامضة وكلمات قد تكون مبهمة على القارئ في الجغرافيا والتاريخ والنسب .

وعندي ان هذا هو الكتاب المحرر وهكذا يجب أن تكون الكتب يتعب المؤلف أعوامًا طويلة في تأليفه ليخرجه كسبيكة الذهب فيستريح من يتناوله بعده للاستفادة ، ولو كانت كل كتبنا على هذا المثال في التحقيق لسقط قسم كبير من المؤلفات وبقي السليم المفيد والزبدة الخالصة .

قالوا كان فيه سكون الطائر المعهود في القضاة وعدم التسرع بما يعرض له بادئ الرأي لا يبت في فصل القضايا إذا رأى في حسمها ضرراً وكذلك فعل بتأليفه فما أخرجه للملاء إلا بعد مضغه وهضمه وتذوقه وحققه وهي مزية امتاز بها بعض المؤلفين الذين كتب الخلود لمؤلفاتهم . وحسنة أخرى كانت تبدو في

كتابه وهي أنه استخدم كل ما حواه صدره من المعارف وما بلغه من عظيم التجارب في القضاء في تأليف كتابه الممتع فقد يكون المؤرخ عند نفسه انه تام الأدوات بما أحكمه من فنه فيكبو في فنون كانت تلزمه للتحقيق يدرك هذا النقص كبار المحققين ·

وعلى استغراق أوقات ابن خلكان في «فصل القضايا الشرعية والأحكام الدينية» وجد وقتاً لمطالعة القدر الممكن من الأمهات يزين بنصوصها كتابه ووجد وقتاً للتدريس في عدة مدارس بدمشق لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر الوقت سوى الامينية وبيد ابنه كمال الدين موسى سوى التجيبية · ولعل لاستئثاره بعدة مدارس على ما لم يجتمع لغيره دخلاً في امالة بعض الوجوه عنه ففتح المجال لحساده ان يزنّ بأمور هو منها بريء · ذلك ان مشايخ المدارس أنكروا ولا شك هذا الطمع من قاضي القضاة وربما كان باكتفائه بمدرسة واحدة أكبر داع الى تجويد التدريس والاتقان في العمل ، وارضاء بعض المدرسين بتوزيع هذه التداريس عليهم خير من ضمها في يد واحدة ·

وترجم له ابن الكتبي في فوات الوفيات الذي جعله ذيلاً على كتاب ابن خلكان ترجمة من يفرح بالمساوئ ويغضي عن المحاسن واتهمه بحب المرد ، وأورد له بيتين يقال انه قالها في ابن صاحب حماة وربما كان بقصد النكتة ، وسكت عن محاسنه ولم يذكر كتاب وفيات الأعيان وأين الأصل من الفرع الوفيات كله تحقيق والفوات جله تلفيق ·

وروى الكتبي ان ابن خلكان كان في المدرسة العادلية وبات ليلة يدور حول بركتها ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان هما :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

ونقل له أبياتاً كلها من الغراميات منها :

وسرب ظباء في غدير تخالهم بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي امالك عن هذي الصبابة مذهب

وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

ومن شعره :

يا رب ان العبد يخفي عيبه فاستر بحلمك ما بدا من غيبه
ولقد أتاك وماله من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

ومن شعره :

تمثلتم لي والبلاد بعيدة فخيل لي ان البلاد لكم مغنى
وناجاكم قلبي على البعد والنوى فآنستمو لفظاً وأوحشتمو معنى

ابن أبي أُصيبعة

موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس

السعدي الخزرجي

(٦٦٨)

هو من الخزرج من ولد سعد بن عبادة . ولد بدمشق وقرأ مبادئ الطب على والده ثم اتصل بعلماء اجلاء أخذ عنهم التاريخ والأدب والطب وممن تلقى عنهم الطب مهذب الدين الدخوار الذي انتهت اليه رياسة صناعة الطب في عصره . ولما أقام الدخوار بدمشق شرع في تدريس صناعته فاجتمع اليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه وأقام موفق الدين بدمشق لأجل القراءة عليه، وكان يشتغل عليه في المعسكر لما كان ابوه والحكيم الدخوار في خدمة السلطان . قرأ على الدخوار كتب جالينوس ولازمه في وقت معالجته للمرضى فتدرب معه وباشر عندئذ أعمال صناعة الطب وكان مع شيخه لمداواة المرضى في البيمارستان النوري الحكيم عمران من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج ، فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها ومما كان يصفانه للمرضى .

فالدخوار هو الذي تخرج به المؤلف في الطب واقتبس في المعالجة فوائده وفوائد الحكيم عمران . أما شيوخه في الأدب والتاريخ وغيرهما فلم نعرفهم . وكان مبرزاً في الأدب بنثر وينظم اشتهر بنظمه من مدحه صدور صناعته وكان يقول الشعر على البديهة ويجتمع الى الشعراء ومن أصدقائه فتيان الشاغوري أكبر شعراء دمشق في عصره ومن شعره قصيدة يتشوّق فيها الى دمشق ويمدح موفق الدين عبد السلام . قال فيها :

لعل زماناً قد تقضي بجلق ... يعود وتدنو الدار بعد التفرق
وان تسمح الأيام من بعد جورها ... بعدل واني بالأحبة نلتقي
فكم لي الى أطلالها من تشوف ... وكم لي الى سكانها من تشوق
ترنحني الذكرى اليها تشوقاً ... كما رنحت صرف المدام المعتق
ومن عجب نار اشتياقي بأضلعي ... لها لهب من دمعي المترقرق
لقد طال عهدي بالديار وأهلها ... وكم من صروف البين قلبي قد لقي
ولو كان للمرء اختيار وقدرة ... لقد كان من كل الحوادث يتقي
ولكنها الأقدار تحكم في الورى ... وتقضي بأمر كنهه لم يحقق

ومن قصيدة له في الوزير الصاحب امين الدولة ابي الحسن بن غزال وهو الذي أهدى اليه كتاب الطبقات :

فؤادي في محبتهم أسير ... واني سار ركبهم يسير
يحنُّ الى العُذَيْبِ وساكنيه ... حنيناً قد تضمنه سعير
ويهوى نسمة هبت سحيراً ... بها من طيب نشرهم عبير
واني قانع بعد التداني ... بطيف من خيالهم يزور
ومعسول اللّمى من التجني ... يجور على المحب ولا يجير
تصدى للصدود ففي فؤادي ... بوافر هجره أبداً هجير
وقد وصلت جفوني فيه سهدي ... فما هذي القطيعة والنفور . . .

وهبط موفق الدين مصر وأكمل صناعته في المستشفى الناصري ثم انتقل الى صرخد في جبل حوران وكان مالكها عز الدين ايبك ، وفي صرخد هلك ودفن . والى صرخد كتب اليه شرف الدين الرحبي يحثه على العودة الى دمشق ويكره اليه البلد الذي نزل به قال :

موفق الدين ماذا السهو منك على ... ما نلت من رتبة في العلم والأدب
أتعبت نفسك بالنزر الحقير لقد ... أرخصتها بعد طول الجد والدأب
أقمت في بلد يزري بساكنه ... لا يرتضيه لبيب من ذوي الفطن
ناء عن الخير ذي جدب فليس به ... سوى صخور وحَرّ منه ملتهب
مضيعاً فيه عمراً ماله عوض ... اذا تصرم وقت منه لم يؤب
أتحسب العمر مردوداً تصرمه ... هيهات أن يرجع الماضي من الحقب
أم تحسب العمر ما ولت لذاذته ... ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
اذا تولى شباب المرء في نغص ... فما له في بقايا العمر من ارب
لو كان ما أنت فيه مكسباً لغنى ... لما وفى بذهاب العمر في نصب
فكيف مع قلة الجاري وخسته ... والبعد عن كل ذي فضل وذي أدب
فعد الى جنة الدنيا فقد برزت ... لمجتلي الحسن في أثوابها القشب
ولا تقم في سواها مع حصول غنى ... فالعمر فيما سواها غير محتسب
واقطع زمانك طيباً في محاسنها ... وعد الى اللهو واللذات والطرب

الى آخر القصيدة فجاوبه ابن أبي أصيبعة بقصيدة مدحه بها ومن أبياتها :

واني بعد ماجد الفراق بنا ... والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به ... هذا الزمان الى قوم من الحطب
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم ... وليس ذلك في الجهال بالعجب
أتيت من ضاع فضلي في فِنائه وهل ... غباوة العجم تدري فطنة العرب

الى آخر ما استدللنا به على انه لم يكن في صرخد على فراش من الورد وان الحاجة أو الشيخوخة دفعته الى الرضا بالاستخدام عند صاحبها الأعجمي في بلد يغلب الجهل على أهله ٠

***

هذا ما كان من نشأته وتمحضه لصناعة الطب وكان من أمره بالبراعة في التأليف انه ألف كتابه النفيس «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» واسطة عقد تآليفه والدرة الثمينه التي خلد فيها على الأيام ذكره وذلك في سنة ٦٤٣ وهو في سن الكهولة وبقي خمساً وعشرين سنة يمحو ويثبت كما فعل ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ترجم فيه للموافق والمخالف وأنصف جميع من ترجم لهم كأنهم أبناء مذهبه، وكأنهم كلهم أبناء مذهب واحد وهو مذهب العلم ٠ وأودعه نكتاً وعيوناً في مراتب المتميزين من الأطباء القدماء والمحدثين ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم وأوقاتهم وأودعه نبذة من أقوالهم وحكاياتهم ونوادرهم ومحاوراتهم وشيئاً من أسماء كتبهم ليستدل بذلك على ما خصهم الله تعالى به من العلم قال فان كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم وتفاوتت أوقاتهم فان لهم علينا من النعم فيما صنعوه، والمنن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة، ما هو تفضل المعلم على تلميذه، والمحسن الى من أحسن اليه ٠

قسم كتابه الى خمسة عشر باباً الباب الأول في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها ٠ الثاني في طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها وهم ثلاثة ٠ الثالث في الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقيلبيوس وهم ستة ٠ الرابع في الأطباء اليونانيين الذين أذاع ابقراط فيهم صناعة الطب وهم تسعة ٠ الخامس في الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه ٠ السادس في الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الأطباء النصارى وغيرهم ٠ السابع الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام من أطباء العرب وغيرهم وهم عشرة ٠ الثامن في الأطباء السريانيين الذين كانوا

في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهم أربعة وثلاثون . التاسع الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم وهم سبعة وثلاثون . العاشر الأطباء العراقيون وأطباء الجزيرة وديار بكر وهم اثنان وثمانون طبيباً . الحادي عشر الأطباء الذين ظهروا في العجم وهم ثلاثة وعشرون . الثاني عشر الأطباء الذين كانوا في الهند وهم ستة . الثالث عشر الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها وهم تسعة وثمانون . الرابع عشر الأطباء المشهورون من أطباء مصر وهم سبعة وخمسون . الخامس عشر الأطباء المشهورون من أطباء الشام وهم تسعة وخمسون .

ورتب من ترجم لهم على سني وفياتهم ولا تعد هذه الطبقات كتاباً للطب والأطباء بل كتاب الحكمة والحكماء والمفننين من العلماء يقع القارئ فيه على أشياء في مدنية الاسلام وعيون المسائل الصحية والعلمية وأسماء التراجمة عن اليونانية والسريانية وغيرهما تتراوح فيه بين التعريف بالأطباء والفلاسفة والحكم المستعذبة والأشعار اللطيفة والنثر البديع فهي كتاب أدب ومحاضرة كما هي كتاب حكمة وطب تتنقل بين الاستفادة من هذه وترويح النفس بتلك الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والاجتماعية والطبية عدا ما فيه من النكات والفكاهات .

ومن فكاهاته ما رواه عن يوحنا بن ماسويه الطبيب العالم المشهور وكان فكهاً ذا دعابة وظرف قال : شكا اليه رجل جرباً قد أضرّ به فأمره بفصد الأكحل من يده اليمنى فأعلمه انه قد فعل . فأمره بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى فذكر أنه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ فقال : قد فعلت . وأمره بشرب الاصطمخيقون فأعلمه انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن أسبوعاً وشرب مخيض البقر أسبوعين فأعلمه أنه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون الا وقد ذكرت أنك فعلته وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فاني أرجو ان ينجع علاجك إن شاء الله . فسأله ما هو ? فقال : ابتغ زوجي قراطيس وقطعها رقاعاً صغاراً

واكتب في كل رقعة رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية ، وألق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي وفرقهـا في المجالس يوم الجمعة فاني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء اذ لم ينفعك بالعلاج .

توسع المؤلف في حرية القول الى التي لم يصل زمانه الى أوسع منها وحرص على نقل الشعر ولا سيما شعر الأطباء وفيه المستملح وفيه العالي ، ولكثرة غرامه بالحرية نشر طائفة من الشعر الذي نصفه بالأدب المكشوف فأراد أن يجعل كتابه مرجعاً كبيراً وموردا فائضاً في كل أطروفة وأطروبة ولذلك رأيناه لما أهدى نسخاً لبعض من يغلب عليهم الوقار حذف هذه الزائدات ومن رآهم يحبون الأشياء على أصلها استنسخ لهم من كتابه نسخة تامة ، وهذا هو السبب في اختلاف النسخ التي ظفر بها طابع الكتاب ـ قاله أستاذي الجزائري .

والغالب ان الأطباء ومهنتهم تقتضيهم النظر في أعضاء البدن كافة لا يتحرجون كسائر الشعراء من النظم في الأدب المكشوف تسلية لأنفسهم ولغيرهم في صناعة صعبة تحتاج الى مرح ودعابة وقد وقع لهم في عهد المدنية العربية من ذلك أشياء كثيرة قصد بها ادخال السرور على النفوس ولولا ان بعضهم يشمئزون من ذكر هذه المسائل ما توقفت عن ان أتقدم أول المؤلفين في إثبات ما قالوا ما دام أجدادنا لم يحجموا عن إنشادها وتدوينها أيام عزة الاسلام .

ومن حرية المؤلف انه نشر النسخة التي كتبهـا ابن حمويه المتصوف لعمه رشيد الدين علي بن خليفة بالباسه خرقة التصوف . ولعله قصد باثباتها في مصنفه لينعى على بعض أهل هذه الطريقة تخريفهم خصوصاً وقد ادعى ابن حمويه انه أخذها عن والده عن جده وأنه أخذها عن الخضر عليه السلام والخضر عن رسول الله ﷺ ، والخضر كالعنقاء والمهدي ما جاآ قط . وبنقله هذه النسخة فضح معتقداً واهياً بقي يجوز على عقول العامة قروناً .

لموفق الدين عدة كتب لم تصل الينا ووصل الينا طبقات الأطباء وهو بحق من الأمهات المعتبرة حفظت فيه مطالب مهمة جداً لولاه لضاعت على العلم العربي .

الثعالبي

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري

(٤٢٩)

هذه النسبة الى خياطة جلود الثعالب وعملها قيل له ذلك لأنه كان فراءً ونشأ في نيسابور وطاف البلاد والغالب انه من أصل عربي أخذ عن ابي بكر الخوارزمي وسماه بعضهم جاحظ نيسابور . قال ابن خلكان فيه انه كان في وقته راعي تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه ، سار ذكره سير المثل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب وتواليفه كثيرة . وأكبر كتبه يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر وفيه يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمة   أبكار أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم   فلذاك سميت اليتيمة

كان شاعراً عظيماً وكاتباً مجيداً يعرف ما يختار ويبدع وفي كل ما كتب أجاد وأبدع ونمّ عن ذوق ظريف في الشعر والنثر .

وما جود الثعالبي هذه الاجادة النادرة في تأليف اليتيمة إلا لأنه تصدى لتصنيفها والعمر في اقباله ثم تعاورها بالزيادة والنقص الى أوان نضجه واكتماله قال : « وحين أعرته على الأيام بصري وأعدت فيه نظري تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة الا أحب في غدها ان يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة » والنسخة الأخيرة التي اعتمدها من اليتيمة تجمع « من بدائع أعيان الفضل ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً تتضمن من ظرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار وأطيب من فوح نسيم الأسحار بروائح الأنوار والأزهار ما لم تتضمنه

النسخة السائرة الأولى والشرط في هذه الأخرى ايراد لب اللب وحبة القلب وناظر العين ونكتة الكلمة وواسطة العقد ونقش الفص ، مع كلام في الاشارة الى النظائر والأحاسن والسرقات فتأخذ في طريق الاختصار ونبذ من أخبار المذكورين وغرر من فصوص فصول المترسلين يميل الى جانب الاقتصار » ٠

بدأ بشعراء الشام وفضلهم في البلاغة على غيرهم وقال ان السبب في تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز وبعدهم عن بلاد العجم وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم اياهم ، فجمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ٠ قال كانت أشعار الاسلاميين أرق من أشعار الجاهليين وأشعار المحدثين ثم كانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ولانتهائها الى أبعد غايات الحسن وبلوغها أقصى غايات الجودة والظرف تكاد تخرج من باب الاعجاب الى الاعجاز ومن حد الشعر الى السحر فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم وثمرات قرائحهم وابكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لاقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة ٠

بدأ اليتيمة بسيف الدولة والذين كانوا من شعرائه في الذروة ثم شعراء مصر والمغرب والموصل وشعراء بني بويه وكتابهم وشعراء البصرة والعراق وحده ثم بغداد وحدها واصبهان والجبل وفارس والاهواز وجرجان وطبرستان وخوارزم وخراسان ونيسابور وغيرهم من أهل البلاد التي نسي اسمها الا من كتب التاريخ وتقويم البلدان وكانت تقيم للآداب أسواقاً وتفضل على الأدباء والشعراء فتنضر أوراقه وتينع ثماره ٠

وكتابه الثاني فقه اللغة واسرار العربية وهو كتاب كاد يحيط باللغة قسمه أبواباً وضم كل معنى الى شكله وكل لفظ الى ما يماثله وجعله في متناول الخواص

والعوام والبنات والبنين وهو كتاب آخذ بناصية الكمال من أوله الى آخره ، قدمه لأبي الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي وكان أقام عنده زمناً في ضيعته فيروزاباد من رستاق جوين وأمده بكتب من خزانته حتى كتب هذا الكتاب الدال على اغراقه في النظام والتنسيق ما يكاد يكون فيه منقطع النظير .

وكتابه الثالث « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » ليس أقل من الثاني تنسيقاً وجمالاً وقد خرجه « في أحد وستين باباً ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً ويفصح عن الاستشهاد وسياق المراد آخراً وما منها الا ما يتعلق من المثل بسبب ، ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحاً ، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطاً » وكتابه هذا كله علم وبحث .

أما كتبه الصغيرة فكثيرة وكلها من الامتاع والاجادة في القمة منها أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية وملوك الاسلام ، ومنها كتاب من غاب عنه المطرب وأحسن ما سمعت والكنايات والتمثيل والمبهج وسحر البلاغة والاعجاز والايجاز والأمثال وبرد الأكباد في الاعداد وخاص الخاص وسر الأدب وغرر أخبار ملوك الفرس والفرائد والقلائد ونثر النظم وحل العقد والكناية والتعريض ولطائف المعارف واللطائف والظرائف والمؤنس الوحيد ومرآة المروآت ومكارم الأخلاق والمنتحل الى غير ذلك مما طبع له وكله مجموعة فوائد وغرر في اللغة والتاريخ وتراجم الشعراء وأشعارهم والأدباء وأخبارهم والكتاب ومنثورهم « وشيء كثير جمع فيها أشعار الناس ورسائلهم وأخبارهم وأحوالهم دلالة على كثرة اطلاعه » ينقل ما ينقل من الكتب المعتمدة المشهورة في عصره ويضم بعضه بنظام راق وعلم واسع يستفيد منه المتعلم والمتفكه حتى لتتألف من كتبه خزانة لطيفة . وكان يلقى المشهورين من الشعراء الممتازين ويستنشدهم شعرهم

ويقتبس أحاديثهم ويأخذ من دواوينهم ومن هؤلاء الذين عاصرهم ضم كتابه طائفة عظيمة كانوا حلية زمانهم وسادة أبناء صناعتهم . ولم يتقزز من نقل أكثر الشعر بذاءة كشعر الواساني وابن الحجاج مثلاً فجاءت يتيمته مرآة العصر الذي كتبت فيه ومثالاً من أدب اهله ومن سبقهم الى الأرض .

وأعظم ما نفعه في تآليفه تنقله في حواضر الاسلام وأخذه من الكتب الموقوفة وكتب الخواص ما طاب له وكفاه ان نشأ في نيسابور وكانت في زمنه أعمر مدن الدنيا بالعلم والأدب كادت تفوق بغداد في القرن الثالث والرابع ونيسابور كاصفهان نبغ بها من كل صنف من أصناف الرجال المشتغلين بعقولهم ما يتعذر احصاؤه .

ومن شعره :

وسائلٍ عن دمعي السائل ... وحال لوني الكاسف الحائل
قلت له والأرض في ناظري ... أوسع منها كفة الحابل
بليت والله بملوكة ... في مقلتيها ملكا بابل
فان لحاني عاذل في الهوى ... يوماً فما العاذل بالعادل

ومنه :

سقطت لجنبي في فراشٍ لزمته ... اضم الى قلبي جناح مهيض
وما مَرَض بي غير حبي وانما ... ادلس فيكم عاشقاً بمريض

وكتب الى ابي نصر سهل بن المرزبان ولقد لسعته عقرب على قدمه فلما وجدت وقتلت زال الوجع بهذه الأبيات :

يا عمدة الأمراء والوزراء ... يا عدة الأدباء والشعراء
يا غرة الزمن البهيم وناظر الـ ... ـكرم الصميم وواحد الفضلاء
أرأيت همة عقرب وثبت الى ... قدم بها تخطو الى العلياء
لما ارتقت باللسع أعظم مرتقى ... أحنت عليها رتبة العظماء

ان ذقت ضراء العقارب فابقين ... بمقارب الأصداغ في سراء
يا طيب لسعة عقرب درياقها ... ريق الحبيب بقهوة عذراء

وله : ثلاث قد ُمنيت بهن اضحت ... انار القلب مني كالأثافي
ديون أنقضت ظهري وجور ... من الأيام شاب له غدافي
وفقدان الكفاف وأي عيش ... لمن ُيمنى بفقدان الكفاف

ومن شعره ما كتبه الى الأمير ابي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزات جمة ... أبداً لغيرك في الورى لم تجمع
بحران بحر في البلاغة شابه ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسّل الصابي يزين علوّه ... خط ابن مقلة ذو المحل الأرفع
كالنَوْر او كالسحر او كالبدر او ... كالوشي في ُبرد عليه موشع
شكراً فكم من فقرة لك كالغنى ... وافى الكريم بُعَيْد فقر مدقع
واذا تفتق نَوْر شعرك ناضراً ... فالحسن بين مرصع ومصرّع
ارجلت فرسان الكلام ورضت افـ ... ـراس البديع وانت امجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعاً ... تزري بآثار الربيع الممرع

ومن شعره :

لما بعثت فلم توجب مطالعتي ... وأمعنت نار شوقي في تلهبها
ولم أجد حيلة تبقى على رمقي ... قبلت عيني رسولي اذ رآك بها

محمد كرد علي

موقفنا من الفلسفة

١ — توطئة عامة

كان من نتائج سياسة الخلفاء في العصر العباسي الأول ان تشوق العلماء الى الاطلاع على العلوم الفلسفية ، فأوفد المأمون الرسل الى بلاد الروم لاستخراج علوم اليونانيين ، ثم حمل المترجمين على نقلها الى اللغة العربية . فنقلوا كتب (افلاطون) و (أرسطو) و (تيوفراست) و (جالينوس) و (وفيثاغوروس) و (فرنوريوس) وشروح (الاسكندر الافروديس) و (تيمستيوس) (وامونيوس) وبعض كتب افلوطين وغيرهـا ، كما نقلوا أيضاً بعض الكتب السريانية والفارسية والهندية .

ولم يمض على نقل العلوم الفلسفية الى اللغة العربية الا القليل حتى عكف العرب على شرح معانيها والنسج على منوالهـا ، فأبدعوا لأنفسهم فلسفة خاصة مشبعة بعقائدهم الدينية ، وميولهم الاجتماعية والسياسية ، ثم نقلت هذه الفلسفة الى الغرب ، وسيطرت على التفكير الأوروبي حتى نهاية القرن الخامس عشر .

إلا ان الدولة العربية لما غلبت على أمرها ، وتسلط عليها الأتراك والبرابرة ، ركدت بها ريح العمران ، واضمحلت منها حرية الفكر ، واتهم الفلاسفة في صدق ايمانهم ، وصحة عقيدتهم ، وحاربتهم الخاصة والعامة . فالغزالي هدم فلسفة ابن سينا ، واتهم صاحبها بالكفر والزندقة ، وابن رشد نكب في المغرب ، واحرقت كتبه ، حتى قال الحاج ابو الحسين بن جبير فيه ، وفي نكبته :

نفذ القضاء بأخذ كل مموه　　متفلسف في دينه متزندق

بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة　　ان البلاء موكل بالمنطق

وابن خلدون نفسه كتب فصلاً هاماً في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها ․ وما زال العلماء والمحدثون ينتقدون الفلاسفة ، حتى صارت كلمة فلسفة مرادفة في أذهان العامة للثرثرة والتمويه والالحاد ، والفيلسوف عندهم هو الرجل الذي يلوك الكلام ويأتي بالأفكار الشاذة ، ويعرض نفسه للهزء والسخرية ․ ولم تسترد الفلسفة بعض ما فقدته من الرواج والانتشار الا في أيامنا الأخيرة ، إذ عكف المترجمون على نقل كتبها من اللغات الاوروبية الحديثة ، وأخذ الكتاب والعلماء والمثقفون يعنون بها عنايتهم بفروع العلوم الأخرى ․ وكان من نتائج ذلك ان اتسعت الحركة الفلسفية في العالم العربي الحديث ، وأقبلت الصحف والمجلات على نشر المقالات الفلسفية ، ومال القراء الى مطالعة ما يفهمونه ، وما لا يفهمونه منها ․ فمن قائل بضرورة الرجوع الى الفلسفة العربية القديمة لاحياء آثارها ، واظهار معالمها ، ومن قائل بضرورة الأخذ بالفلسفة الغربية الحديثة كما هي ، دون أي تبديل او تغيير ، ونريد الآن ان نحدد موقفنا ازاء كل من هذين الرأيين ․

٢ — موقفنا من الفلسفة العربية

ما هو موقفنا إزاء الفلسفة العربية القديمة ، هل ينبغي لنا الأخذ بها كما هي ، أم يجب الاعراض عنها ، والاتجاه نحو الفلسفة الغربية الحديثة ؟

لا شك ان الاعراض عن الفلسفة العربية القديمة ليس في مكنتنا ، لأن هذه الفلسفة قد نفذت الى نفوسنا ، وبدلت أفكارنا وعواطفنا ․ وهي فلسفة عقلية ، وتوحيدية ، وروحانية معاً ، من مبادئها الأساسية ان الحقيقة الدينية لا تختلف عن الحقيقة الفلسفية ، وان الحكمة هي صاحبة الشريعة ، واختها الرضيعة ․ ومن نظر في آراء حكماء العرب ، من الفارابي الى ابن سينا ، ومن ابن سينا الى ابن رشد ، علم ان التوفيق بين الحكمة والشريعة كان همهم الأول ، حتى ان المتأخرين من علمائنا كالأستاذ الامام محمد عبده لم يخرجوا عن هذا المبدأ في

تفسير آيات القرآن الكريم . وجميع ما جاء في الشريعة عندهم متفق مع ما يكشف عنه النظر العقلي . فالمنقول مطابق للمعقول ولا فرق بين حقيقة وأخرى .

ولا شك ايضاً في ان الأخذ بالفلسفة العربية بأصبارها لا يتفق ومبادئ العلم الحديث . ففي الفلسفة العربية امور كثيرة لا تصلح لتوجيه تفكيرنا ولا لتنظيم حياتنا الحاضرة .

ان نظرية الفيض التي وضعها فلاسفة العرب للتوفيق بين الدين والفلسفة تستند الى اعتقادهم ان الارض هي مركز العالم ، وان الأفلاك طبقات مختلفة تحيط بالارض كما تحيط القشرة بالبيضة . ثم ان نظرية النفس ، ونظرية العقل ، ونظرية الطبيعة ، مشتملة جميعها على آراء لا يؤيدها العلم الصحيح .

لذلك كله كان من العبث الأخذ بالفلسفة العربية القديمة بأصبارها ، ان هذه الفلسفة يجب أن تدرس كما تدرس سائر الاتجاهات الفكرية القديمة لا للإفادة منها في توجيه سلوكنا ، ولكن لاستكمال ثقافتنا الفكرية ، واطلاعنا على ماضينا وتعريفنا بأنفسنا ، وتوضيح تطور أفكارنا ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة تأتلف وميولنا ، وحاجاتنا الحاضرة ، وجب علينا اولاً دراسة الفلسفة العربية دراسة تاريخية لتأمين الاتصال بين اتجاهاتنا الفكرية الحديثة وعبقريتنا القديمة .

ان الحاضر كما قال (ليبنيز) مثقل بالماضي وممتلئ من المستقبل ، والأمم التي ليس لها ماض ليس لها شخصية كاملة . ومن أعرض عن دراسة الماضي حرم الاطلاع على أجمل آثار الفكر التي خلفها الاجداد .

على ان هذا الالتفات الى الماضي يجب ان يكون دافعاً الى الحركة والتقدم ، لا باعثاً على الركود . ان كثيرين من الشيوخ الذين يعيشون في الماضي يعجزون عن تفهم الحاضر ومسايرة تطوره . ان اعجابهم بماضيهم يلهيهم عن الاهتمام بالحاضر ويحول بينهم وبين التطلع الى المستقبل .

فموقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون اذن موقفاً علمياً محضاً ، ونعني بهذا الموقف العلمي أن تاريخ الأفكار يجب أن يطلب لذاته ، لا لعبره

وفوائده ، ومتى طلب التاريخ لذاته انكشف هو نفسه عن كثير من المسائل التي توحي الينا بالأفكار والآراء الجديدة ٠

هناك أمران يحددان لنا هذا الموقف العلمي : الأول هو التعريف بالفلسفة العربية ، والثاني هو نقدها وتحليلها ٠

١ — فالعرب لا يزالون حتى الآن جاهلين بكثير من مسائل الفلسفة العربية ٠ وربما كان بعض المستشرقين أحسن احاطة بهذه المسائل من بعض علمائنا المعاصرين ٠ أما فلسفة الكندي ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، فلا تزال محاطة بكثير من الغموض ، كما ان فلسفة علماء الكلام من المعتزلة وغيرهم لا تزال قليلة الوضوح ٠ والسبب في ذلك يرجع الى ان كثيراً من الكتب الفلسفية القديمة لم يصل الينا ، حتى اصبحنا لا نعرف منها الا اسماءها ، كما ان كثيراً من المخطوطات لا تزال محفوظة في خزائن الكتب الخاصة لم يطلع عليها الا القليل من الناس ، وفي اللغة اللاتينية وغيرها تراجم لبعض الكتب العربية المفقودة ٠ فهل من مصلحتنا ان تبقى هذه الكتب مخزونة في الصناديق في وقت نحن أحوج الأمم فيه الى التعريف بماضينا ٠ ان أول عمل علمي يجب علينا القيام به هو احصاء المخطوطات الفلسفية العربية في البلدان الشرقية والغربية ، وتحقيقها ونشرها ، ثم اعادة طبع الكتب الفلسفية المنشورة سابقاً ، لاشتمالها على كثير من الأغلاط ، فبعضها لم يطبع حتى الآن الا على الحجر ، وبعضها الآخر طبع للتجارة لا للعلم والتحقيق ، وبديهي ان احياء النصوص الفلسفية يجب ان يشمل أيضاً كتب العقائد والتصوف ٠ ففي كتب العقائد كثير من الفلسفة ، كما ان في كتب الأخلاق والتصوف نزعات فلسفية أصلية لا ينبغي اهمالها ٠

٢ — والأمر الثاني الذي يحدد لنا هذا الموقف العلمي هو وضع دراسات تحليلية عن فلاسفة العرب تشرح فيها فلسفتهم وتبين منابعها وأصولها ومدى تأثيرها في الحضارتين الشرقية والغربية ٠ ان هذه الدراسات التحليلية هي الوسيلة

الأكيدة لتعريف العرب بحضارة العرب . وكما يتقدم التحليل على التركيب في ارتقاء العلوم الوضعية فكذلك يجب ان تتقدم الدراسات التحليلية الخاصة في تاريخ الفكر على النظرات التركيبية العامة . ان مؤرخي الأفكار الذين ينصرفون الى التركيب قبل التحليل يشبهون الروائيين الذين يؤلفون الوقائع الخيالية من مواد أولية وهمية . فقد يبعدهم هذا البناء الوهمي عن معرفة الحقائق ، وقد يقلب التاريخ الى اسطورة كاذبة ، وفي تاريخ العلوم آيات ناطقة تدل على ان العلماء لا يصلون الى المرحلة الوضعية الا بعد عكوفهم على تحليل العناصر ، واعراضهم عن حل المسائل الكبرى حلاً تركيبياً مربعاً . فالرياضي ، والفلكي ، والفيزيائي والكيميائي ، وعلماء الحياة والنفس والتاريخ يحددون في مرحلة التحليل دائرة بحثهم ، وينصرف كل منهم الى موضوع خاص ، او الى ناحية واحدة من موضوع خاص . ثم اذا تم لهم هذا التحليل انتقلوا منه الى مرحلة التركيب ، وكشفوا عن الخطط العامة المشتملة على تعليل العناصر وتوضيحها . لذلك كان من الصعب جداً على الباحثين في تاريخ الفلسفة العربية وضع تاريخ جامع لتطور الفكر العربي قبل القيام بدراسة النصوص ، وتحليل الآراء ، وتحديد الانجاهات الفكرية الخاصة . وأنّى لنا ان نضع هذا التاريخ الجامع اذا نحن لم نحلل المذاهب الفلسفية المختلفة ، ولم نكشف عن الاتجاهات الفكرية المتباينة ، ولم نؤلف منها خططاً عامة تقرب الأفكار المتشابهة بعضها من بعض ، وتجمعها في تيار واحد .

وقصارى القول ان موقفنا من الفلسفة العربية القديمة يجب ان يكون موقفاً علمياً وضعياً غايته التعريف بها ونقدها وتحليلها ، لا الأخذ بأصبارها ، والنسج على منوالها . فان لكل زمان فلسفة موافقة لبنيته الاجتماعية وحالته العلمية وتطوره الفكري . ومن أراد ان يكون له في القرن العشرين فلسفة القرون الوسطى كان كمن يمشي الى الامام مشية القهقرى .

٣ — موقفنا من الفلسفة الغربية

ان هذه الاشارات كافية لتحديد موقفنا من الفلسفة الغربية · فكما ان احياء الفلسفة العربية القديمة لا يكفي لبعث الفلسفة في ربوعنا ، فكذلك الأخذ بالفلسفة الغربية كما هي لا يكفي لتوجيه سلوكنا في مجتمعنا الحديث ، المتردد بين روحانية العقل ومادية العلم · فلا بد لنا هاهنا أيضاً من اتباع الطريق الذي سلكناه في تحديد موقفنا من الفلسفة العربية وهو : التعريف بهذه الفلسفة أولاً ، ثم نقدها وتحليلها ·

١ — ينبغي لنا أولاً ترجمة امهات الكتب من الفلسفة اليونانية القديمة كفلسفة افلاطون وأرسطو وغيرها · ان الكتب العربية القديمة المترجمة عن اليونانية كثيرة الابهام والتعقيد ، لا يتوصل القارئ الى ما فيها من المعاني العميقة الا بعد قراءتها عدة مرات · فقد حكي عن الفارابي انه قرأ كتاب النفس لارسطو مائتي مرة ، وذكر ابن سينا عن نفسه انه قرأ كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو اربعين مرة من غير ان يفهم ما فيه · ومن نظر في كتاب (فاطيغورياس) الذي ترجمه حنين بن اسحق وجد فيه من الغموض وركاكة الاسلوب ما يدعوه الى قراءته عشرات المرات · فلا بد لنا اذن من إعادة ترجمة هذه الكتب من لغتها الأصلية باسلوب عربي واضح ، ان الكتاب المعاصرين الذين ترجموا بعض كتب ارسطو وافلاطون عن الفرنسية او الانكليزية ضلوا سواء السبيل ، وليس في تجديد هذه التراجم كلها مضيعة للوقت ، اذ ان اكثرها قد فقد ، والموجود منها يكتنفه الغموض · ومن تذكر ان التفكير الأوروبي في اواخر القرن الخامس عشر وفي القرن السادس عشر قد استند الى الفلسفة اليونانية في نهضته الحديثة أدرك ما لتعريب كتب افلاطون وارسطو من عميق الأثر في احياء فلسفتنا العربية القديمة من جهة ، وفي تفهم الفلسفة الغربية من جهة اخرى ·

فالفلسفة اليونانية لا تزال حتى اليوم معجزة المعجزات ، تجد فيها أصولاً لجميع المذاهب الحديثة من (ليبنيتز) الى (نيتشه) ومن (ديكارت) الى (كانت) . ومن أراد ان يكون له في ميدان الفلسفة أقل اثر فما عليه أولاً الا ان يرتوي من معين الفلسفة اليونانية .

٢ — وينبغي لنا ثانياً ان نترجم أمهات الكتب من الفلسفة الغربية الحديثة ككتب (لوك) و (ديكارت) و (ليبنيتز) ، و (اسبينوزا) و (هيوم) و (كانت) و (سبنسر) و (هيجل) و (شوبنهاور) و (اغوست كونت) و (نيتشه) و (برغسون) وغيرهم . ان هذه الترجمة ضرورية لنا اليوم اكثر من الدراسات التحليلية المقصورة على التعريف بالفلاسفة الغربيين . ومن قرأ هذه الدراسات عرف انها لا تطلعه على افكار الفلاسفة الا من وراء حجاب . واذا فهم ما كتبه اصحابها لم يجد في افكارهم ما يرفعه الى فضاء الفكر ويوحي اليه بالمعاني الجديدة . ومن شروط الترجمة ان تنقل الكتب من اللغة الأصلية التي كتبت فيها ، لأنها اذا نقلت عن لغة ثانية كان ذلك باعثاً على غموض الأفكار وتحريفها وبعدها عن الضبط . دع ان المترجمين لا يحسنون الاختيار فيترجمون ما يصل اليهم من الكتب على غير هدى من غير ان يكون لها قيمة حقيقية . مثال ذلك ان بعض قراء العربية كانوا الى عهد قريب يعدون (غوستاف لوبون) اعظم فلاسفة الغرب . والسبب في ظنهم هذا يرجع الى ان بعض الأساتذة نقل كتبه الى اللغة العربية . لا شك ان (غوستاف لوبون) شارك في علوم كثيرة ، الا انه لم يتعمق في علم من العلوم تعمق رجال الاختصاص ، فهو قد كتب في علم الاجتماع ، ولكنه ليس عالماً اجتماعياً كدوركهايم ولفي بروهل ، وهو قد كتب في علم الفيزياء ولكنه ليس عالماً فيزيائياً كجان برن وطوسون وأنيشتاين ، وكتب في التربية والأخلاق ولكنه لم يبلغ في ذلك ما بلغه جيمس وديوي ، وبينه ، وبرغسون من بعد النظر ودقة الفكر . فمن الضروري اذن وضع برنامج واسع للترجمة

الكتب ، تتولى اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية الاشراف عليه ، ثم توزع العمل على الاختصاصيين في مختلف الدول العربية لتنفيذه وانجازه .

٣ – وقد يقال ان في العالم الغربي انواعاً من الفلسفة لا تأتلف وعبقرية الأمة العربية ، وان نقل هذه المذاهب الى لغتنا قد يؤدي الى استهواء الكثير من الناس ، وادخال الفوضى على العقائد الموروثة . فنقول رداً على ذلك ان نقل المذاهب المختلفة لا يودي بالضرورة الى الأخذ بها . ففي الفلسفة الاوروبية مذاهب روحانية ومذاهب مادية كما ان فيها مذاهب خيالية ومذاهب وجودية ، وهي تتهافت ، ويهدم بعضها بعضاً كما تتساند وتتعاون . فاذا ترجمت كلها معاً استطاع القارئ العربي ان يقارن بينها وان ينقدها ويحللها ويكون لنفسه بعد ذلك رأياً شخصياً فيها . وربما كان لنقل هذه المذاهب المختلفة اثر عميق في تربية حرية الفكر . لقد تعود مفكرونا ان يقيدوا آراءهم الفلسفية بالعقائد الموروثة والتقاليد الاجتماعية المعروفة . واذا خرجوا عن هذه التقاليد أثاروا حولهم موجة من السخط والاستنكار . إن الابداع الفلسفي شبيه بالابداع الفني ، لا ينمو الا حيث تنمو حرية الفكر . ومتى خضع للقيود الاجتماعية والسياسية انقلب الى تقليد محض . أضف الى ذلك ان الفلسفة الغربية ليست مضادة لعبقريتنا ، فهي قد تولدت من الفلسفة اليونانية كفلسفتنا القديمة ، وكان للفلسفة العربية نفسها أثر عميق في نشأتها . ان القديس (توما الاكويني) و (غيوم دوفرني) و (روجه باكون) قد أخذوا كثيراً عن ابن سينا وابن رشد ، حتى ان اعجاب (غيوم دوفرني) بهما كان لا يقل عن اعجابه بأرسطو . فليس بيننا وبين الغربيين في هذه الناحية الا فرق واحد ، وهو ان الفلسفة قد اضمحلت من العالم العربي الا قليلاً من رسومها نجدها في تفاريق من الناس وتحت رقبة من علماء الدين ، اما الغرب فقد عرف الفلسفة اليونانية أولاً عن طريق الفلسفة العربية ، ثم عرفها بعد ذلك مباشرة ، وبقيت الفلسفة عند الغربيين نافقة الأسواق متجددة الرسوم حتى وصلت الى ما هي عليه

الآن من الابداع . فليس في الفلسفة الاوروبية اذن ما يخالف عبقرية الشعب العربي وميوله ، بل ان تكامل الفكر العربي الحديث يقتضي اقتباس الفلسفة الاوروبية وربطها بالأصول اليونانية القديمة . ومتى تم لنا هذا الاقتباس استطعنا ان نجدد تفكيرنا وأن نبدع لأنفسنا فلسفة عربية حديثة .

وجملة القول ينبغي ان يكون موقفنا من الفلسفة الغربية كما كان موقف اجدادنا من الفلسفة اليونانية . وهو موقف ايجابي يدعو الى ترجمة الفلسفة الغربية والأخذ بكثير من مسائلها ، ثم تأليف عناصرها في قوالب عربية مستوحاة من ماضي الأمة وحاضرها .

٤ — موقفنا من الفلسفة بصورة عامة

وها هنا اشارة لا بد من ذكرها في آخر هذا المقال . وهي انه ينبغي لنا في كل ذلك ان نتجنب التقليد المحض . ان مجلاتنا الشهرية طافحة بالمقالات الفلسفية ، كما ان دور النشر تصدر في كل شهر كتاباً فلسفياً موضوعاً أو مترجماً . الا ان هذه الزيادة في الانتاج لا تدل على ابداع حقيقي ، لأنها زيادة وهمية مبنية على التقليد . لقد أصبح البحث في المسائل الفلسفية عندنا زياً من الأزياء . وقلما وجدت كاتباً لم يكن له في هذا الباب باع طويل . وهذه الظاهرة تدل على ان القارئ العربي يرغب اليوم في مطالعة الموضوعات الفلسفية بالرغم من اضمحلال الفلسفة ، وزوال رسومها من ربوعنا . ولكن معالجة هذه المسائل لا تتعدى الآن طور التقليد الأعمى . اننا نقلد الغربيين في كل شيء ، نقلدهم في الأزياء كما نقلدهم في الأفكار والعواطف . نعم قد يكون التقليد ضرورياً في المراحل الأولى من الحياة الفكرية ، الا انه اذا طال أفقد الفكر روعته وابداعه ، فاذا شئنا ان تكون لنا فلسفة عربية حديثة دالة على عبقريتنا وجب علينا أولاً ان نتجنب التقليد الأعمى ، وان نسمو الى يفاع الاستبصار والابداع .

وهذا لا يمنع من ان يكون في العالم العربي فلاسفة مقلدون يذهبون الى ما ذهب اليه ابن رشد في وحدة العقل أو يقولون بما قال به ابن خلدون من ابطال علم ما بعد الطبيعة ، أو يعتنقون مذهب (كانت) او (اغوست كونت) او (سبنسر) في المعرفة . الا انه ينبغي ان يوجد الى جنب هؤلاء التابعين فلاسفة آخرون مبدعون يقتبسون العناصر من هنا وهناك ويصوغونها في قوالب جديدة . والشرط اللازم لهذا الابداع هو في نظرنا فك الفلسفة من عقالها ، واطلاق حريتها ، وتجريدها من القيود التقليدية ، والضغط الاجتماعي . وليس في اطلاق حرية الفلسفة اي خطر على الدين ، لان الإيمان أقوى من أن يتصدع بمعاول العقل ، لا بل قد يكون في هفوات العقل تأييد له ورجوع اليه . وما الفلاسفة الا شعراء يصوغون مادة العلم في قوالب العقل ، كما ينسج الشعراء رموزاً ومجازات ورؤى وأحلاماً مقتبسة من الطبيعة . فاذا نظرنا الى الفلسفة هذه النظرة الفنية أمكننا أن نحلها دار الأمان ، وان نتغاضى عن المتفلسفين كما نتغاضى اليوم عن الشعراء .

جميل صليبا

تحقيقات معجمية

— ٣ —

ج — بَلَد والبَلَد

العربية :

بَلَدَ في المكان : أقام به ؛ و — اتخذه بلداً ؛ وبلد القومُ : لزموا الأرض يقاتلون عليها . بَلِد : كان بليداً ، أي غير ذكي ولا فطن . بَلُد : لم يكن ذكياً ؛ و — الفرسُ : تأخّر عن الخيل السوابق ، فهو بليد ؛ و — الجملُ والحمارُ : كان لا ينشّطه تحريك . أبلَد القومُ : صارت دوابّهم بليدة ، لا تسبق ؛ أو لصقوا في الأرض استكانةً .

أبلَد فلاناً الشيءَ : ألزمه اياه ؛ و — في المكان : أقام به ولزمه ؛ و — الرجلُ : لحقته حيرة ؛ و — الحوضُ : تُرِك ولم يستعمل ، فتداعى .

بلّد الرجلُ : اذا لم يتجه الى شيء ؛ و — نكس في العمل ؛ و — الفرسُ : ضعف حتى في الجري ؛ و — السحابُ : لم يمطر ؛ و — الانسانُ : لم يَجُدْ ؛ و — الفرسُ : لم يسبق ؛ و — الجبالُ : تقاصرت في رأي العين لظلمة الليل ؛ و — فلانُ : ضرب بنفسه الأرض ؛ و — لحقته حيرة . تبلّد : تحيّر ؛ سقط الى الأرض من ضعف ؛ تلهّف ؛ تسلّط على بلد غيره ؛ نزل ببلدٍ ما به أحد ؛ تكلّف البلادة . ابلَندي : صلُب وكثر لحمه .

البَلَدُ : التراب ، القبر ؛ الدار ؛ الأثر من الدار ؛ مأوى الحيوان وان لم يكن فيه بناء ، كل موضع أو قطعة من الأرض متحيّزة ، عامرة أو غامرة ، خالية أو مسكونة ؛ جنس المكان كالعراق والشام ؛ مكّة تفخيماً لها . والبلد الحرام :

مكة . البلدة : الصدر ؛ راحة اليد من الخفّ والحافر . ضرب بلدتَه على بلدته : الاولى راحة اليد ، الثانية الصدْر ؛ منزل القمر ؛ الأرض ؛ القطعه من الأرض ؛ الثغرة في النحر [(١)] .

تنسيق وتعليل

(١) ان الثلاثي « بَلَد » ليس له مقابل في غير العربية من اللغات السامية . فكان هذا الواقع مما حمل المستسيم (Sémitisant) Noldeké — وقد تابعه في رأيه غيره من رصفائه العلماء ، مثل Fraenkel ،Vollers، وBrockellmann — على الزعم بان كلمة « بلد » ليست بعربية ، بل دخيلة من اللاتينية ؛ وان اللفظة اللاتينية المعربة والمُضحية « بَلَد » هي Palatium التي يقابلها في اليونانية Palation ؛ ومعناهـا القصر والصرح أو البلاط الروماني . أما المستعرب de Laudberg فقــد نبذ ، بكل صواب ، هذا الزعم ناعتاً اياه « بالغرابة الشنيعة » من حيث الاشتقاق ، ومن الناحية التاريخية [(٢)] .

(٢) هذا وان جارينا هؤلاء المستسيمين ، اضطررنا الى الذهاب الى ان مادّة « بَلَد » فعلٌ ارتجالي مشتق من كلمة اجنبية ، ومن هذه اللفظة الدخيلة قد تفرعت كل الصيغ الأخر بضروب معانيها التي بسطناها اعلاه . وعليه يكون العرب قد اقترضوا من الأجانب لفظةً أوليّةً في حياتهم ، وواردةً في أوائل آثارهم الأدبية ، ومطلقةً على اقدم واقدس موقع ومدينة في ديارهم ، الا وهو مكة وأرضها المدعوة في المصحف وخارجاً عنه « البلد الأمين » الحرام [(٣)] .

(٣) فقد اصاب ، على رأينا ، المستعرب de Laudberg بذهابه الى ان « بلدَ » ومشتقاتها كلها عربية صحيحة ، لا بل سامية قحة ، لا يشتم منها رائحة الاجنبية قطعاً .

(١) اللسان ٤ – ٦٢ ي‌ي . التاج ٢ – ٣٠٥ ي . الصحاح ١–٢١٤ Lane ٢٤٦ ي‌ي .
(٢) المعجم الدثيني ١ – ٢٠٠ ي .
(٣) سورة البلد ١ ، ٢ : « لا أقسم بهذا البلد . انت حلّ بهذا البلد » سورة التين ٣ : « وهذا البلد الأمين » سورة النمل ٩٠ : « انما أُمِرت ان أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها .. »

(٤) في سائر ألسنة بني آدم سُنة طبيعية هي سنة «القلب» . وهذه السنة جارية في العربية أكثر من غيرها من اللغات السامية وسواها ، لما هو معلوم من ان العربية مجموعة لهجات متعدّدة ، هي أهم سبب لمنشأ القلب في اللغات .

(٥) فاذا فرضنا سنة «القلب» ، أمكننا القول بانه منذ الأزمنة القديمة ، قد قلب لفظ «بَلَدَ» عن حرف «لَبَدَ» . وبهذا الافتراض تتجلى الكلمة عربية وساميّة ، لوجودها في كل هذه الألسن على الصورة المذكورة . وهذه هي معانيها :

العربية : «لَبَدَ» في المكان : لزق به ، واقام فيه . تلبد الصوف : تداخل ولزق بعضه ببعض ؛ و — الطائرُ في الأرض : جثم عليها . اللَّبِد : من لا يسافر ، ولا يطلب معاشاً ، ولا يبرح منزله . عصابة مُلبِدة : لاصقة بالأرض من الفقر . اللُّبدَة : الجماعة من الناس يقيمون كأنهم بتجمعهم تلبّدوا [١] .

السريانية : albèd و labbèd و lbad : لبّد ، كثُف ، جمّد . lâbôdâ : ملبّد . lbîdâ : متلبّد ، متراكم ، كثيف [٢] . العبرية : lâbad وحّد ، ضمّ . hitlabbèd اجتمع ، التحق [٣] .

(٦) والثلاثي «لَبَد» مشتق من الثنائي «لَبّ» . وهذه مداليله في الساميات :

في العربية : «لبّ» بالمكان : اقام به ولزمه . ألبّ على الأمر : لزمه ولم يفارقه . ورجلٌ لبٌّ على الأمر : لازم له لا يفارقه [٤] .

السريانية : lebbâ : اللبّ ، لتلبّه ؛ لباب ، لب الحنطة . labbèb : قوّى القلب ، شجّع [٥] .

العبرية : leb ، lebab : لبّ ، قلب lâbab : كان ذا قلب وفهم [٦] .

(١) الصحاح ١ : ٢٥٨ .
(٢) معجم منّا ، ص ٣٦٦ .
(٣) معجم المالح ص ٢٠٨ .
(٤) البستان ٢ : ٢١٣٧ .
(٥) معجم أودو ٢ — ٧ .
(٦) معجم المالح ص ٢٠٨ .

الاكدية : labâbu ، libbu : لُب ، قلب[1] .

الحبشية : leb : لِب[2] . السبئية : leb : لُب[3] .

(٧) اذن « بَلَد » هو مقلوبُ « لَبَدَ » . ويظهر ذلك من تحديد « بَلَد » ، كما هو وارد في المعاجم ، ولا سيما في « تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (ص ٤٤٦) . فقد جاءت بمنزلة مترادفات الأفعال التالية : بَلَد بالمكان ، وأبلَد ، ولبَدَ ، وألبد به ، ولَبَّ به ، بمعنى مكث فيه ولم يبرحه .

(٨) بفضل هذا الافتراض افتراض قلب « بَلَد » عن « لَبَد » ، واشتقاق « لَبَد » من « لَبّ » الثنائي ، ينفك مغلق بقيــة لخاوي مشتقات « بَلَد » . فمن مفاهيم « بَلَدَ » . الأولية دلالته على التراب . وذلك لتلبيه ، وتلبُّده ، وكثافته ، ومن معنى التراب ، اطلقت كلمة « بَلَد » على القبر . لأنه يُحفر في الأرض ؛ وما الأرض سوى مجموعة من التراب .

وانتقل المدلول من الأرض الى الدار ، والقرية ، والمدينــة ، والناحية ، والاقليم ، والمملكة . لأنها كلها قائمة في الأرض والتراب . ثم شملت لفظة « البلد » كلّ مكان ، وجنس المكان كالعراق والشام . ثم اختصت بمكة تفخيماً لها .

(٩) « البَلْدة » أو « اللَّبْدة » الصدر وراحة اليد ، لتلبّد وتلبّب اللحم عليها . ودلّت ايضاً على منزل القمر ، لمكوثه فيه مدة من الزمان .

كذلك « ابلندى » : صلب وكثر لحمه (الجمل) . فهو مزيد فيــه الهمزة والنون ، اذ مجرده « لبَد » ، وهو من « لَبّ » . وفي كلهــا معنى التجمع والتلبّد بكثر اللحم .

(١٠) هناك دلالة اخرى لفعلي « بَلِدَ وبَلُدَ » وهي عدم الذكاء والفطنة . فهذا أيضاً ينحلّ مشكله بافتراض القلب عن « لَبَد » واشتقاقه من « لَبّ » .

(١) معجم Bezold ص ١٥٧ . (٢) معجم Dillmann ٤١ .

(٣) Robinson ص٥٢٣ . راجع في شأن مادة « لبد ، ولبّ » ، « هل العربية منطقية » ، الكتاب الجديد لمرمرجي ، ص ١٢ ي ، و ٧٥ ي ي .

لان البلادة، اي الحمق والغباوة، تفترض غالباً التلبّد ، والتضخم في البدن ، والكثافة في العقل . فينشأ عن ذلك قلة النشاط في حركة الجسم ، والحيرة في العمل .

وهكذا تثبت عربية وسامية هذه المفردة ، ويتجلى التناسق والمنطق في اشتقاق وتوسع معانيها ، دون الحاجة الى الزعم بانها معرب Palatium اللاتينية .

ح : لحَن واللَّحن

العربية :

لَحَن : اصاب في التكلم ؛ و — أخطأ في الاعراب وخالف وجه الصواب ؛ ولحن الرجلُ : تكلم بلغته ؛ ولحن اليه : قصد ومال اليه ، ولحن قولَه : فهمه ؛ و — فلانٌ لفلان لحناً : قال له قولاً يفهمه عنه ، ويخفى على غيره ؛ و — الرجلُ : فطن لحجته وانتبه ؛ ولَحَن في قراءته : طرّب فيها وترنَّم . رجلٌ لاحِن : اذا صرف كلامه عن جهته . لَحْنُ الكلام : فحواه ومعاريضه . اللَّحْن له ستة معانٍ : الصواب في الكلام ، الخطأ في الاعراب ، اللغة ، الفطنة ، التعريض ، المعنى ، الغناء . قِدْح لاحِن : اذا لم يكن صافي الصوت عند الافاضة [١] .

العبرية : lahan ج lehânîm : لحن ، ألحان [٢] .

تنسيق وتعليل

(١) لقد ارتأى المستشرق Gunsburg ان « اللَّحْن » آتٍ من الكلمة اليونانية lixanos الدالة على وتر المزهر الذي يضرب عليه بسبابة اليد اليسرى (lixanos : معناها الحرفي : اللاطع او اللاحس ؛ من فعل leixo : لطع ، لحس) ، وقد اطلق عليه صوت هذا الوتر الصادر عند الضرب عليه .

(١) التاج ٩ — ٣٣٠ . اللسان ١٧ — ٢٦٣ ي ي .
(٢) معجم El-Maleh ٧٧٧ .

والمستعرب de Landberg يرى ان كلمة « لَحَن » ، بمختلف مدلولاتها ، ليست مشتقة عن أصل واحد [١] .

أما نحن فنقول : نعلم من الوجهة التاريخية ان العرب ، بعد الاسلام ، قد نقلوا ، فيما نقلوه ، عن اليونان ، صناعة الألحان ، المدعوة في اللاتينية musica ، وفي اليونانية mousiké ؛ وقد عربها العرب بلفظة « موسيقى » . وقد كانت تطلق في القديم ، عند اليونان ، على عامة الفنون الفتانة ، ولا سيما الشعر والغناء منها ، تلك الفنون التي كانت ، حسب روايات تخيلاتهم (mythologie) تشرف عليها بنات المشتري التسع ، المدعوات Muses [٢] . وقد كانت لفظة الموسيقى المعربة معروفة في زمن اسحق الموصلي (٢٣٦/٨٣٠) [٣] . ومعلوم أيضاً ان العرب اقتبسوا صناعة الألحان ، قبل الاسلام وبعده ، من الفرس . الا انهم كانوا يسمونها ، فضلاً عن الألفاظ الأجنبية ، بلفظ عربي ، وهو « علم الايقاع والنغم» .

(٢) أما الغناء فقد كان دارجاً بينهم ، منذ أقدم العصور ، وهم بعد في عهد البداوة . وقد بدأ بالحداء ، وانشاد الشعر . وقد ورد حرف « اللَّحْن » في أمثالهم . ومنها قولهم : ألحنُ من جرادتين . وهو مثل عاديٌّ قديم . والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي سيد العمالقة الذين كانوا نازلين بمكة ، في قديم الدهر [٤] .

(٣) أما من جهة الاشتقاق اللغوي فنقول : ان مادة « لَحَن » عربية محضة في أصلها وفروعها المعنوية . فلا حاجة الى استعارتها من لغة غريبة . ونثبت ذلك ، حسب النظرية الثنائية والألسنية السامية .

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ٣ - ٢٦٢٢ ي .

(٢) Greek - English lexicon , by Leddell . II , p 1055 .
Dictionnaire étymologique du grec . par Boissac , p 568 .
Larousse du xxe siècle. E . 4 . p . 1074 , et 1049 s .

(٣) المعلمة الاسلامية (بالفرنسية) ج ٣ – ٨٠١ . الأغاني ١ – ٩٨ و ٤ – ٥٢ ي .

(٤) مجمع الأمثال ، للميداني ، ٢– ١٣٨ . فرائد الآل في مجمع الأمثال ، للأحدب ، ٢– ٢١٥ .

(٤) ان الثلاثي (لَحَنَ) صادر عن الثنائي «حَنْ» وهذه معانيه في الألسن السامية:

العربيـــة :

حنّ : نزع الى الشيء ، و — عليه : عطف اليه ونزع اليه . و — القلبُ الى الشيء : اشتاق ، و — صدّ ، ردّ ، صرف .

حنّت الإبل : نزعت الى أوطانها ، و — الناقة إثر ولدها : عطفت اليه .

حنّ واستحنّ : استطرب . وفي اللهجة الدثينية : «حنّ» : طنّ ، رنّ ، أنّ [١] .

الحنين : الشديد من البكاء والطرَب ، أو هو صوت الطرَب ، سواء كان ذلك عن حزن أو فرح ، و — الشوق وتوقان النفس . حنين الناقة : نزاعها بغير صوت ، أو بصوت ؛ لكن أكثره بصوت . أصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . ويطلق أيضاً على الحمامة ، ثم على البشر .

الحنون من الرياح : التي لها حنين كحنين الابل ، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين . عُود حنّان : مطرِّب . وسهم حنّان : مصوِّت [٢] .

حنا : عطف ، انثنى . حنا ظهره : عطفه . الحنيّة : القوس (فعيل بمعنى مفعول) ، لأنها معطوفة ، ملويّة . الحانية والحنواء : النعجة أو الناقة التي تلوي عنقها لغير علة [٣] .

السريانية : (ح) Han : حنّ ، عطف .

Hanhèn : حنحن ، اشفق .

Hannânâ : حنّان ، متعطف .

Hna : حنا ، مال ، نحا ، اتجه الى .

Hnayâ : مقصد ، غرض ، رأي [٤] .

العـبرية : Hanan : مال الى ، تحنّن .

---

(١) المعجم الدثيني ، تأليف de Landberg ١ — ٥٠٠ .

(٢) اللسان ١٦ — ٢٨٤ ي . التاج ٩ : ١٨٤ . Lane ٦٥٢ ي . ي .

(٣) الصحاح ٢ — ٤٦٦ . Lane ٦٦٠ ي .

(٤) معجم Brockelmann ص ٢٤٢ ي .

العبرية : Hithannan : توسّل الى .

Hanun : رحيم ، شفيق [١] .

الاكدية : Annu : (الاصل حنُّو) : عطف ، منح .

Ténînu : (ح) تحنّن .

Tênu : منحى ، متكأ ، مضجع .

Manîtu : (محنيتو) : بيت ، مسكن [٢] .

الارمية : Hanan : حنّ .

السبئية : Han : حنين .

الفنيقية : Han و Hanan : منحة .

El - hanan : (اسم علم) الله يتحنّن .

Hananba ᶜal : («) حنبعل [٣] .

(٥) في كل هذه اللغات يدل هذا الأصل الثنائي على الميل ، والاتجاه ، والانعطاف ، والالتواء ، والانحناء ، والتقوّس ، والاتكاء ، والاضطجاع . ومن الاتكاء جاء التخييم ، والمتكن ، والبيت .

(٦) من الاتجاه والميل مادياً تولد الميل عقلياً ، وهو المقصد والغرض ، والرأي . ومن الميل الحسي نشأ الميل الأدبي ، وهو الانعطاف الى الغير بالتحنن ، والشفقة ، والرحمة ، والمنح .

(٧) على ان العطف ، والميل ، والنزع في الحيوان والانسان ، يرافقه غالباً اصوات للتعبير عن حاسات الحزن والفرح . من ذلك جاء الحنين دالاً على الشديد من البكاء والطرب ؛ وعلى نزع الناقة الى ولدها ، يرافقه الصوت كثيراً ما ، ويطلق ذلك أيضاً على الحمامة والانسان [٤] . لأن «حَنْ» اسم صوت يخرج بشدة

---

(١) El Maleh ٥٠٦ ي .

(٢) Bezold ص ٤٩ و ١٢٤ .

(٣) Robinson ص ٣٣٥ .

(٤) الصحاح ٢ — ٣٦٨ . اللسان ١٦—٢٨٥ ي .

العاطفة؛ ويشمل كذلك أصوات الرياح التي تشبه حنين الناقة؛ وكذا القول في العود والسهام حين يصوّتان[١] .

(٨) وهذه فكرة الميل ، والاتجاه ، والصدّ والردّ ، المتجلية في الثنائي « حَنْ » بنوعيه : الخالي من الصوت ، والمرافق بصوت ، قد توسعت بزيادة حرف اللام عليها تتويجاً . فجاء من ذلك حرف « لَحَنَ » متصفاً بهاتين الخاصتين ، اي الاتجاه ، والانعطاف دون صوت ، وبصوت . وهذه الفكرة تظهر جلياً في مختلف معاني هذه الكلمة .

(٩) أول هذه المداليل في « لَحَنَ واللَّحْن » هو « الصواب في الكلام » . ومعنى ذلك العدول عن الخطأ الى الصحيح من التعبير في اللغة . مثال ذلك : « تعلموا اللحن في القرآن » اي تعلموا كيف لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم[٢] ثم قوله « هذا ليس من لحني ولا من لحن قومي ، اي من نحوي ، ومن مذهبي الذي أميل اليه وأتكلم به ، اعني لغته »[٣] .

(١٠) ثانياً يراد باللحن « الخطأ في الكلام » ؛ وما هذا الخطأ سوى الميل او العدول عن صحيح القول وصوابه . فيقال : « لحن في كلامه ، اذا مال به عن الاعراب الى الخطأ ، أو صرفه عن موضوعه الى الألغاز[٤] » .

(١١) ثالثاً من معاني اللحن « التعريض » وما التعريض ، حسب قول الأزهري ، سوى الايماء الى الشيء . فجاء في الحديث : « اذا انصرفتما فألحنا الي لحناً ، أي اشيرا الي ، ولا تفصحا ، وعرّضا بما رأيتما[٥] » .

(١٢) رابعاً اللحن هو « الفطنة » . يقال : لحن له لحناً ، اي قال قولاً يفهمه عنه ويخفى على غيره ، لأنه يميل بالتورية من الواضح المفهوم ؛ وما ذلك الا

(١) الصحاح ٢ — ٣٦٨ . اللسان ١٦ — ٢٨٥ .

(٢) التاج ٩ — ٣٣١ .
(٣) الأساس ٢ — ١٨٩ .

(٤) الأساس ٢ — ١٨٩ .
(٥) التاج ٩ — ٣٣١ .

لفطنته . لأن الفطنة ان تتكلم بشيء وانت تريد غيره ؛ وتعرض في حديثك فتزيله عن جهته لفطنتك [١] .

(١٣) خامساً اللحن « مدلول الكلام ومفهومه » . ولذا قيل : « لتعرفنّهم في لحن القول ، اي في معناه وفحواه ، وهو القصد الذي يوجه اليه الكلام [٢] » .

(١٤) سادساً اللّحن « التطريب ، وترجيع الصوت ، وتحسين القراءة ، والشعر والغناء » . فيقال : لحَن في قراءته : غرّد وطرّب فيها بألحان . وورد : « إقرؤا القرآن بلحون العرب » . ويقال : فلان ألحن الناس ، اذا كان أحسنهم قراءةً وغناءً [٣] .

وهكذا ثبت ان لكلمة « لحَن » أصلاً واحداً عربياً محضاً ، وانها ليست تعريب اللفظة اليونانية lixanos .

* * *

سَمّ ومشتقاتها

السريانية : Sammèm : سَمّ ، سمَم .

Samsèm : داوى ، طبّب ، صوّر ، نقش .

Smima : مسموم .

Samma : سمّ ، دواء .

Smama : وسخ السراج ، سموم تخرج من منافذ الانسان [٤] .

Sam : وضع ، فرض ، قصد ، سام ، رمم ، ألّف ، حكم دفن ، ألقى .

Sim : وَضْع .

Syama : مؤلَّف ، مصنَّف .

Sayôma : مؤلِّف ، كاتب ، راسم ، مشترع ، مؤسِّس ، موجب .

(١) الصحاح ٢ — ٤٠٦ . (٢) اللسان ١٨ — ٢٦٥
(٣) اللسان ١٧ — ٢٦٣ . الصحاح ٢ — ٤٠١ . التاج ٩ — ٣٣٠ . ي
(٤) معجم منّا ، ص ٤٩٧ . Payne - Smith ٢٦٥١ .

Sôma : دواء ، مرهم [1] .

Sma : عمِيَ .

Samya : أعمى .

Asmî : جعله أعمى [2] .

(ص) Samma : صَمّ ، سدّ .

Masmana : صامّ ، سادّ .

Samma : أصمّ ، أطرش .

Sam : صامَ ، سدّ فمه عن الأكل ، امتنع [3] .

العبرية : Sammèm : سمّ ، سمَّم .

Sammė : عمى ، اعشى

Histamma : تعمّى .

Sûma : أعمى ، مكتوم [4] .

العربية : سَمَّ الطعامَ : جعل فيه السمّ ؛ و — فلاناً : سقاه السَم ؛ و — الشيء : أصلحه ؛ و — الأمرَ : نظر غوره وسبره ؛ و — بينهما : أصلح ؛ و — الريحُ : احرقت .

السَّمامة : شخص الرجل ؛ و — الطلعة ؛ و — ما شخص من الديار الخراب .

السُم : ثقب الإبرة ؛ و — القاتل من الدواء . السَّموم : الريح ذات الحر الشديد النافذ في المسامّ . المسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه ، كثابت الشعر [6] .

سما : ارتفع ؛ و — البصرُ : شخص ؛ و — القومُ : خرجوا الى الصيد .

ساماه : فاخره وباراه .

(١) معجم Brockellmann ٤٦٠ ي . معجم أودو ٢ — ١٤٠ ي ي .

(٢) معجم أودو ٢ — ١٥٤ . Payne - Smith ٢٦٠٤ ي .

(٣) معجم القرداحي ٢—٣٦٧ . معجم منّا ، ص ٦٣١ . Payne - Smith ٣٣٧٩ي .

(٤) معجم المالح ، ص ٢٩٠ .

(٥) البستان ١ — ١١٤٢ ي Lane . ١٤١٨ ي ي .

سام : البضاعةَ : عرضها وذكر ثمنها . (رفع ثمنها فيخفضه المشتري) او وضع ؛
و — الطيرُ على الشيء : حامت .

سوّم الفرسَ : أعلمه بسَومة ، اي بعلامة تُجعل على الشاة وغيرها . الخيل المسوّمة : المعلَّمة . ساوم السلعة : غالى بها ، أي رفع ثمنها [1] .

وَسَم : وسَمه : كواه ، وأثر فيه بسمة وكيّ .

وسّم الحج : شهد الموسِم . توسّم الشيءَ : تخيّل سمته ، وطلب وسمَه اي علامته . الوِسام : ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور . وسام الدابة . السمة والوسمة : أثر الكيّ ، العلامة ، سمة الابل .

الموسِم : المجتمع . سمي بذلك لأنه مَعلَم يُجتمع اليه . واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة [2] .

صَمَّ : سدّ . وصَمَّ صمماً : انسدّت اذنه ، وثقل سمعه .

صام : أمسك عن الطعام والشراب ؛ و — امتنع عن الفعل [3] .

تنسيق وتعليل

(١) كل هذه المفردات ، مع اختلاف معانيها ، لها أصل واحد ، وهو الثنائي « سَمْ او صَمْ » بتفخيم السين . ومن مفاهيم هذا الثنائي اولاً الوضع . فاذا وُضع الشيءُ على الشيء ، كانت النسبة بينهما نسبة ارتفاع الواحد على الآخر . واذا كان الشيءُ الثاني مفتوحاً ، نجم عن ذلك السدّ . واذا لم يكن مفتوحاً ، فتحه . فنتج عن ذلك فكرة الحفر ، فالثقب ، فالولوج .

(٢) أولاً تظهر فكرة الوضع في الفعل السرياني Sam : وضع ، فرض ، رمم

(١) أقرب الموارد ١ — ٥٤٥ . Lane ١٤٣٣ ي ي .
(٢) محيط المحيط ٢ — ٢٢٥٠ ي . Lane ٣٠٥٣ ي .
(٣) الأساس ٢ — ١٦ و ١٩ ، Lane ١٧٢٢ ي ، و ١٧٤٩ ي .

ألّف أو وضع كتاباً ، حكم ، قرّر الرأي واثبته ؛ اشترع ، أو وضع سنّة ؛ أسّس ، او وضع قانوناً أساسياً .

(٣) يتبعُ الوضعَ عموماً الوضعُ مخصوصاً ، اي جعلُ الشيء فوق الشيء ؛ مما ينشأ عنه الارتفاع . وذلك بيّن في العربية في فعل «سما» : البصرُ : شخص ، اي ارتفع ؛ وخرج الى الصيد ، اي طلع ؛ وفي الطلوع ارتقاء . ساماه : فاخره ، . اي حاول التفوق والارتفاع عليه . والسَمامة : شخص الرجل ، اي ما علا منه وطلعته ؛ وما شخص ، اي ما علا من الديار الخراب . وسام البضاعةَ : عرضها للبيع مع رفع ثمنها قدر ما يمكن البائع . والمساومة هي ان يعرض البائع سلعته ذاكراً لها ثمناً غالياً ، فيأخذ المشتري في اخفاضه ، وهكذا الى ان يصلا الى ثمن متوسط بين العالي والمنخفض . كذلك وسَم السِيمة ، أو العلامة على الحيوان أو الشيء ، لتمييزه عن غيره . وكل علامة تحوي فكرة الاعتلاء على ما تعلّمه أو تسمه .

(٤) اذا وُضع الشيء على شيء مفتوح سدّه . من ذلك فعل «صمّ» : سدّ . وانسدّت اذنه وثقل سمعه . و «صام» : أمسك عن الطعام ، اي صمّ فمه ممتنعاً عن ادخال الأكل فيه . كذلك ورد في السريانية Samm : صمّ سدّ ؛ و Samma : أصمّ ، أطرش ؛ و Sam : صام ، امتنع ، سدّ فمه عن الأكل . وجاء أيضاً Sma : عمي ، و asmi عمّى ، و Samiya أعمى . وفي العبرية Sammé : عمّى ، أعشى ، و Histamma : تعمّى ، و Suma أعمى . وما العمى الا سدّ العين وكفها عن النظر .

(٥) اذا وضع الشيء على غيره ، وكان هذا غيرَ مفتوح ، امكنه فتحه . والفتح يجري بالحفر ، والثقب ، والكيّ ، وبالفتح يسهل الدخول والايلاج . من ذلك ورد في العربية : السمّ : ثقب الابرة ؛ والمسامّ من الجسد : ثقبه ومنافذه ، كنابات الشعر . وسمّ الأمر ، نظر غوره وسبره ، اي ثقبه ليرى داخله . ومن ذلك Samèmm في السريانية ، بمعنى نقش وصوّر ، مما يستلزم الحفر .

(٦) أما الكيّ فهو نوع من الحفر والثقب ، اذ يؤثر في الجلد واللحم ، فينشئ حفراً فيه . من ذلك في العربية : «وسمه» (بزيادة الواو على «سَمْ» تنويجًا) : معناه كواه ، اي أثّر فيه بسِمة وكيٍّ . والسِمة أثر الكيّ ؛ ومنه سمة الابل . والوِسام : ما وُسم به الحيوان من ضروب الصور . ولذا يقال : وِسام الدابة .

(٧) أما المَوسِم فحدّه في المعاجم : «المُجتمَع ، سمي بذلك لأنه معلَم يُجتمع اليه . واكثر استعماله لوقت اجتماع الحاجّ وسوقهم في مكة [١] » . بيد ان هذا المعنى متأخر وليس هو أصليًا أوّليًا . رأينا ان وسَمَ يراد به الكيّ . فكان القوم قديمًا — كما لا يزال الأمر جاريًا بين أهل البادية — يميّزون ، كلٌّ صاحب مال ، ماشيته ، او إبله ، او دوابّه ، بسمة او علامة . وهذه العلامة كانت تجري بالكي ، بانواع من الصور . وكان عمل هذا الكي او الوسم يتم في بعض فصول السنة . ولذا دعي هذا الوقت « المَوسِم » ، اي وقت كيّ المال ، قصد تمييزه عن غيره . وبعد ذلك ، من هذا المعنى الخاصّ الدال عليه الثنائي « سَم » وهو الكيّ ، انتقل الى المعنى العام ، وهو الدلالة على كل وقت يجري فيه أمر معينٌ من الأمور . فيقال موسم البذر ، او القطف ، أو الحصاد .

وقد اطلقه البحّارة العرب على الفصل من فصول السنة الذي يبقى فيه بحر الهند مضطرباً . وقد أخذ البحّارة الفرنج عن العرب هذه اللفظة ، فحوّلوها الى صورة Mousson [٢] . وأخيراً استعملت هذه المفردة في العرف الديني الاسلامي للدلالة على زمن اجتماع الحاج . وفي العرف المسيحي شملت العيدين الكبيرين ، أي عيد الميلاد ، وعيد الفصح .

---

(١) الصحاح ٢ — ٣٤٣ .

(٢) Larousse du XXe siècle , T . 4 p 1021

Les mots Français dérivés de l'arabe , par Lammens , p 172 .

(٨) من فكرة الولوج جاء في السريانية Samma بمعنى الدواء ، لأنه يوضع ، أو يُدخل ، أو ينفث في بدن الانسان ، لاجل العلاج . و Samsèm داوى ، طبَّب ، وجاء في العربية : سمَّ الشيء : أصلحه ، وسمَّ بينهما : أصلح .

(٩) واذ كان ما يُدخَل أو يُنفَث في بدن الانسان ليس مما ينفعه دائماً ، بل مما يضره ، وردت كلمة «سمّ» في العربية بدلالة : سقاه السمّ ، اي الدواء القاتل . و — الطعام : جعل فيه السمّ . وفي العبرية Sammèm : سمّ ، سمَّم وفي السريانية Sammèm : سمّ ، سمَّم .

(١٠) واذ كان مما يُكرَه ويُنبَذ ، نجد في السريانية Smama بمعنى الوسخ ، وسخ السراج ؛ وكذلك كل أوساخ البدن التي تخرج من منافذ الانسان .

(١١) واذ كان السمّ مما يضرّ ، اطلقت في العربية لفظة «السَّموم» على الريح ذات الحرّ الشديد المحرق النافذ في المسامّ . وقيل : سمَّت الريح : أحرقت .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي

المدرسون تحت قبة النسر

- ٢ -

ثم وجه تدريس القبة للإمام الكبير الشهاب احمد المنيني [1] .
واستمر الى ان توفي سنة ١١٧٢ وكانت مدة تدريسه سنة واحدة .

(١) احمد بن علي بن عمر ، بن صالح بن احمد بن سليمان ، بن ادريس بن اسماعيل بن يوسف ، بن ابراهيم الحنفي الطرابلسي الأصل ، المنيني المولد ، الدمشقي المنشأ . كان ألمعياً ، لغوياً نحويا ، اديباً حاذقاً ، لطيف الطبع ، حسن الخلال ، عشوراً ، متضلعاً ، منطلعاً ، متمكناً خصوصاً في الأدب وفنونه ، وحسن النظم والنثر ، ولد بقرية منين سنة ١٠٨٩ ولما بلغ سن التمييز قرأ القرآن . ثم قدم الى دمشق فقرأ على سادات أجلاء ذكرهم في ثبته .

ودرّس بالجامع الأموي بامر من شيخه الشيخ أبي المواهب مفتي الحنابلة ، لما توفي ولده الشيخ عبد الجليل ، فاستقام الى أن توفي الشيخ ابو المواهب . فبعد وفاته درّس بحجرته داخل المدرسة السميساطية ، الى أن توجه عليه تدريس العادلية الكبرى ، فانتقل اليها ودرّس بها ، وأقام على الافادة في المدرسة المذكورة والجامع الأموي ، مدة عمره ، فدرس بالجامع المذكور في يوم الأربعاء في البيضاوي ، وفي يوم الجمعة بعد صلاتها صحيح البخاري ، وبين العشاءين فى بعض العلوم ، وانتفع منه خلق كثير . وللمترجم :

على السر لا تطلع صديقاً ودعه في ضميرك عن كل الأنام مصونا
فانّ ضمير الفرد مستتر وإنْ تثنّى تبدّى للعيان مبينا

وكانت وفاته في يوم السبت تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتين وسبعين ومائة والف ، ودفن بتربة مرج الدحداح قال المؤرخ المرادي : والمنيني : نسبة —

ثم وجه التدريس للعلامة علي افندي الداغستاني (١)

ودرّس الى أن أصابه داء الفالج في صفر سنة ٩٦ فأناب الجهبذ النحرير الشمس محمد الكزبري ، فدرس بالنيابة عنه اربع سنوات الى ان توفي الداغستاني سنة ١١٩٩ ودفن بسفح قاسيون .

ثم وجه التدريس الى السيد محمد العطار (٢)

— الى قرية منين من قرى دمشق ، ولد بها هو ونشأ ، واصله من برفائيل قرية من أعمال طرابلس الشام . كان والده ولد في برفائيل المذكورة في سنة ١٠٢٨ ثم ارتحل وسنه احدى عشرة سنة الى دمشق الشام ، وتوطن بصالحيتها ، واشتغل بطلب العلم على جماعة منهم العلامة الشيخ محمد البلباني الصالحي ، والشيخ علي القبردي الصالحي ، وتفقه على مذهب الامام الشافعي ، ثم ارتحل الى قرية (منين) المذكورة في سنة ١٠٤٦ وكان مرجعاً لأهل تلك القرية وغيرها بالفرائض ، وتوفي بالقرية المزبورة سنة ١١٠٨ ودفن بها .

(١) ابن صادق بن محمد بن ابراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي ، الداغستاني الأصل والمولد ، نزيل دمشق ، ومدرس الحديث بها ، تحت قبة النسر ، ولد في حدود سنة ١١٢٥ وقرأ على جملة من علماء بلادهم ، ثم قدم دمشق وتوطنها وذلك سنة ١١٥٠ ولما توفي الشهاب احمد المنيني المدرس تحت القبة ، توجه له عنه التدريس المذكور ، وبقي عليه الى وفاته ، وتصدر في دمشق ، وكان يرجع اليه في مهات الأمور ، ونزل به الفالج في آخر أمره ، في صفر سنة ٩٦ وبقي في داره منقطعاً الى ان توفي سنة ١١٩٩ رحمه الله تعالى .

(٢) جدّ بني الحسيبي ، قد أجمع الناس على طيب أصله . ولد سنة الف ومائة ونيف وثلاثين ، واشتغل في العلم والعبادة ، الى أن برع وفاق ، واشتهر في الآفاق ، تولى القضاء بمدينة غزة هاشم ، وكان في أحكامه تقياً بعيداً عن المحارم ، وكان السيد محمد التافلاني مفتي القدس الشريف ، فوقع بينهما في مسألة من المسائل اغبرار ، فكتب السيد محمد التافلاني رسالة في تعنيفه وارسلها اليه ، فعند وصولها شرحها وردّها من غير مهلة عليه . مات المترجم في الآستانة سنة تسع ومائتين والف .

ولم يدرس بل أناب الشمس الكزبري ، فبقي مدرساً الى ان توفي السيد محمد العطار سنة ١٢٠٩

ثم تولاه العلامة المحدث الشمس محمد الكزبري [١] من غير تعرض له ، واستمر الى أن توفي سنة ١٢٢١ وكانت مدة تدريسه احدى عشرة سنة .

ثم تولاه بعده ولده العالم العامل القدوة الشيخ عبد الرحمن الكزبري [٢] .

(١) قال السيد محمد عابدين : مدرس الحديث الشريف تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية في دمشق المحمية ولد في سنة ١١٤٠ ونشأ في حجر والده ، وتفقه عليه وعلى خال والده الشهير ، بالشافعي الصغير ، الشيخ علي بن أحمد الكزبري ، وأخذ الحديث عنهما ، وكان والده قد أذن له بافادة الطالبين في حياته ، وجلس مكانه بين العشاءين في الأموي سنة ١١٨٥ بعد وفاته ، وفي سنة عشر ، جاءته قبة النسر تسعى من غير طلب ، فشرع بقراءة الجامع الصحيح ، وهو في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان من كل عام ، وقد أشرت الى ذلك في ضمن موشحة كنت تطفلت بها على مدح جنابه حيث قلت :

مَن به قبة ذاك الجامع ... لم تزل في كل عام تسعَدُ
حين يروي في الصحيح الجامع ... لحديث المصطفى أو يُسندُ
يا له من خير درس جامع ... ولأهل العلم فيه مشهدُ
فكأن الوجه منه حينما ... ينثر الدر على الملتمِس
قمرٌ عن جانبيه العلما ... كنجوم أشرقت في الغلس

توفي رضي الله تعالى عنه سنة ١٢٢١ هـ .

(٢) الشافعي الدمشقي ، محدث الديار الشامية ، ولد يوم عيد الفطر سنة ١١٨٤ في دمشق الشام ، ونشأ وتربى في حجر والده الشمس الى ان اتقن وتفنن وفاق ، وطار صيته في الأمصار والآفاق ، وعدّ له الأستاذ الجدّ في (حلية البشر) —

فدرس الى ان توفي في البلد الحرام ختام اثنتين وستين ومائتين والف ، وكانت مدة تدريسه اثنتين واربعين سنة ·

ثم تولاه بعده ولده العالم الفاضل الشيخ عبد الله الكزبري (١) ·

فدرس الى ان توفي سنة ١٢٦٥ وكانت مدة تدريسه سنتين ·

ثم تولاه بعده اخوه العالم الجليل الشيخ احمد مسلم (٢) ·

— أساتذة كثيرين من عرب وعجم ، (ثم قال) : وقد اخذ عنه علماء الشام ، وغيرهم من العرب والأعجام · وبعد موت والده وجّه عليه تدريس البخاري الشريف تحت قبة النسر ، في شهر رجب وشعبان ورمضان بعد العصر كل يوم ، وعامة العلماء تحضره للأخذ عنه · وفي سنة ١٣٦٢ توجه المترجم الى الحجاز بقصد النسك ، وبعد العود من الوقوف رابع يوم من عيد الأضحى توفي الى رحمة الله ، وصلي عليه في الحرم الشريف ، ودفن في مقبرة المعلا ·

(١) ولد سنة ١٢٢١ ، ونشأ من أول عمره على الطاعة والدين ، ناهجاً منهج والده ، إلى أن صار معدوداً من افراد العلماء الأعلام · وبعد وفاة والده جلس في مكانه تحت قبة النسر ، يقرأ صحيح الامام البخاري في شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بعد العصر ، ولم يزل مثابراً على ذلك الى أن سقته المنية كأس الحمام ، وذلك سنة ١٢٦٥ هـ رحمه الله ·

(٢) قال في الحلية : ولد سنة ١٢٣٦ وحضر دروس والده وغيره من العلماء الأفاضل ، وقرأ على والدي الشيخ حسن البيطار ، واستجازه فأجازه ، ثم قال : قد أحبه الولاة والحكام ، وكان جاهه لعلمه ساتراً ، ولتقدمه على أضداده ناصراً ، لأن دائرة اشتهاره كانت أوسع من دائرة علمه · وبعد موت أخيه الشيخ عبد الله سنة ١٢٦٥ جلس مكان أخيه تحت قبة النسر ، لقراءة صحيح البخاري كل يوم بعد العصر في شهر رجب وشعبان ورمضان ، الى أن توفي سنة ١٢٩٩ وصلي عليه في الجامع الأموي اكثر أهل الشام رحمه الله تعالى ·

فجلس مكان أخيه تحت قبة النسر في جامع بني امية ، وابتدأ من محل ما وصل اليه أخوه من الصحيح الشريف ، وفي سنة ١٢٧٨ وجهت عليه نقابة أشراف الشام ، وفي سنة ٨٥ فصلت عنه ، ووجهت الى احمد افندي ابن المرحوم امين افندي منجك ، الى ان جذبت المترجم يد المنية سنة ١٢٩٩ رحمه الله تعالى .

سليم بن احمد بن عبد الرحمن بن محمد الكزبري (١) .

مات والده سنة تسع وتسعين ومائتين والف ، فأراد بعض الناس ان يكون ولده المترجم مكانه ، في تدريس صحيح الامام البخاري بعد العصر ، في رجب وشعبان ورمضان تحت قبة النسر ، في جامع بني أمية .

وختم في الحلية ترجمته بقوله : توفي هذا المترجم رحمه الله تعالى سنة ١٣٣١ هـ وجلس في مكانه ولده الشيخ محمد علي (٢) فتح الله علينا وعليه .

الشيخ بدر الدين ابن الشيخ يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الملك بن عبد الغني المراكشي السبتي المغربي أصلاً ، الدمشقي مولداً .

لم يذكر (في الحلية) كيف حصل المترجم العلم ، ولا شيوخه فيه ، وانما وصف حاله وأعماله بعد أن تصدر للتدريس ، فقال : اذا أخذ في القاء الأخبار وجدته بحراً عجاجاً ، وان تكلم في أنواع العلوم أبدع تقريراً وإنتاجا ، كأنما الاحكام في صدره مرقومة ، وعوارف المعارف في خياله مصوَّرة وفي لسانه منظومة ؛ وله حافظة تحصي له كل ما يسمع ، وإدراك هو أخف من النسيم وأسرع ؛ يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني امية ، ويزدحم الناس

(١) لم ينظمه (حلية البشر) في سلسلة المحدثين المدرسين تحت قبة النسر ، وانما عرض الى درسه في ترجمة مستقلة عن أولئك الأعلام .

(٢) اقول : ولم تطل مدة ولده هذا بعد أبيه ، وانما توفي في أثناء الحرب العامة الأولى ، فباشر هذا الدرس محدث الديار الشامية شيخنا الشيخ بدر الدين الحسني ، فأعاد اليه رونقه ورُواءه .

على درسه ، غير أنه يسرد ما علقه في ذهنه ولا سؤال من أحد ولا جواب ، وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون ، لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون ، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه ، ولا في ليله عن قيامه ، كثير الذكر قليل الكلام ، دائم الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام .

يقول الضعيف محمد بهجة البيطار :

هذا مجمل ما وصفه به الأستاذ الجد في تاريخه «حلية البشر» وإني أحب أن أتوسع قليلاً في ترجمة شيخنا الحسني لسببين (١) أني أصفه وصف معرفة ومشاهدة ، فقد قرأت عليه في كتب الأصول والمعقول والحديث ، جزاه الله عنا خيراً و (٢) لأنه خاتمة المحدثين تحت قبة النسر ، إذ لم يخلفه احد في حفظه وعلمه فيجلس مجلسه ويحقق شرط الواقف :

(حفظه ودرسه)

كان علم الفقيد كعلم من سبقه من أولئك الأئمة ـ علم حفظ ورواية ، لا علم كتب وقراءة ، وفرق بين علم يضيع بضياع الكتب ويذهب بذهابها ، وعلم يبقى محفوظاً مدى العمر في الصدر ، يحدث صاحبه به ويملي على الناس منه في أي آن ومكان ، ولا يبالي بالكتب حضرت أو نأت عنه .

لما احترقت خزانة دار الحديث -- وكان فيها مخطوطات الفقيد النفيسة ، ومؤلفاته التي كان كتبها في صباه ، كما احترق غيرها من مكتبات دمشق في الحريق الذي وقع في سوق الحميدية سنة ١٣٣٠ هـ ـ أخذ يقرأ الدروس الخاصة والعامة من حفظه ، ويمليها على الطلاب من مكنونات صدره ، والعلم ما وعته العقول والصدور ، لا ما أودعته القراطيس والسطور . وكان أستاذه الأوحد العلامة الجليل الشيخ أبو الخير الخطيب ، والد صديقنا زكي بك النائب الكريم ، ثم كان ابن همته وعزلته عن الناس السنين الطوال .

(علم الحديث تحت قبة النسر)

أما الحديث فلا نعلم له نظيراً في حفظه ، ولا في ضبط رجاله ، ومعرفة سنده ، وحسبه روايته له في الجامع الأموي تحت قبة النسر ، ـ من بعد فريضة كل جمعة الى صلاة العصر ، وقد دأب على ذلك نحو ثلاثة أرباع القرن . ومما يقضي بالعجب من تلك الدروس أنها كانت محط رحال الحكم والعلم ، وأن محدثنا العظيم كان يراعي فيها حال المستمعين ، ويتكلم بما تدعو اليه الحاجة والمناسبة ، فاذا وقف على درسه رجال الحكم أخذ يعظهم ويذكرهم بما يجب للأمة على ولاة الأمور ، فلا يصدرون عنه إلا وقد مُلئوا اعجاباً بلطف تنقلاته ، وبديع مناسباته ، وأخذه إياهم بالحق والصدق ، واذا حضر علماء الدين ملكتهم الحيرة والدهشة مما وعاه قلبه ، ورواه لسانه من تلك الأحاديث النبوية موصولة الأسانيد ، صحيحة الضبط ، تامة الحفظ ، يتلوها من غير توقف ولا تلعثم ، كأنما يغترف من عباب ، أو يقرأ في كتاب ، مع ذكر ما قاله أئمة هذا الشأن فيها ، واستحضاره ما أورده العلماء من معانيها .

(في دار الحديث الأشرفية)

ولم يكن يقرأ للطلاب في دار الحديث من كتب العلوم الشرعية والعربية والعقلية إلا مطولاتها وصعابها ، ولا من كتب المقالات والنحل والأهواء والبدع إلا القديمة الموروثة . وكان يرى أن هذه الكتب ترفع الهمم الى ما فوقها من كتب السلف ، وتقوي الملكات في فهمها ، وتعين على دفع الشبهات والاشكالات العصرية كلها .

وقد تشرفت بالحضور عليه رحمه الله تعالى في الكتاب المسمى بالتقرير والتحبير شرح العلامة ابن امير الحاج على تحرير شيخه الامام الكمال بن الهمام ، الذي جمع فيه بين اصطلاحي الحنفية والشافعية في اصول الفقه ، فكاد يأتي شيخنا البدر

على مسائل الكتاب حفظاً ، وكان يحققها معنى وافظاً ، ولكنه كان يتحامى النطق بألفاظ الطلاق والحرام وما أشبهها ، وجميع ما يشتم منه رائحة التعريض بأحد ، وهذا دأبه رحمه الله في حياته كلها .

(ادخاله طلاب السنة في طور جديد)

كنا نجلس في حلقة فقيدنا الامام في دار الحديث ، ونقرأ صباح كل ثلاثاء وجمعة « منتخب كنز العمال » - من كتب الحديث الجامعة - رواية ودراية . فلما وقفنا على باب الاعتصام بالكتاب والسنة ، قلت لأستاذنا أنعد نحن الآن من المعتصمين بهما ؟ قال : نعم ، اذا قصدتم العمل . وقد أوجد رحمه الله ميلاً قوياً في نفوس طلابه لاقتناء كتب السنة ودراستها والعمل بها ، والاهتداء بهديها .

(قوله في دراسة اللغات الأجنبية)

سئل رحمه الله وأنا اسمع عن حكم التكلم باللغات الأجنبية ، فقال : المكروه من ذلك ما كان للتفكه ، وقد كان الفقيد يحب الجد والعمل ، ويكره اللغو والباطل ، والا فان لغات الأمم الحية صارت اليوم مفتاحاً للعلوم الكونية ، وقوة للدفاع عن حقوق الأمم والشعوب المختلفة ، وفي صحيح البخاري من حديث زيد بن ثابت الأنصاري (رض) قال ، قال رسول الله (ﷺ) انها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية أو السريانية ، فقلت نعم ، فتعلمتها في (١٧) ليلة . وكان زيد بن ثابت يكتب للملوك ، ويجيب بحضرة النبي (ﷺ) وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والحبشية والقبطية ، تعلم ذلك بالمدينة من أهل تلك الألسنة ، فهذا نص في تعلم اللغات التي ورثنا حضارة أهلها ، وأورثناها امم المدنية الحديثة .

(مسألة مهمة)

وهمنا مسألة مهمة ، وهو أن الذي كان يتعلم اللغات الأجنبية كان ينتقى من أفضل رجال الأمة وآمن أمنائها ، وزيد بن ثابت هذا كان كاتب الوحي ،

وقد قال له الرسول : إنها تأتيني كتب لا أحب ان يقرأها كل أحد ، ومعنى ذلك أنه (ﷺ) اختار زيداً كاتماً لسره ، كما اختاره كاتباً لوحيه . ولما استدعاه ابو بكر (رض) لجمع القرآن في عهده ، قال له : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) . وكان على بيت المال في خلافة عثمان (رض) .

فاتضح من هذا كله أن من يتعلم للأمة وعلى حسابها اللغات أو بعض الصناعات ، يجب ان يكون من الشبان العقلاء الذي لا نتهمهم بدينهم ولا أمانتهم ، ويجب على الأمة ان تراقبهم وتحاسبهم على وقتهم وعملهم . ومن الظلم للأمة والتفريط بمصالحها أن يعلم على نفقتها من يكون عابثاً لاهياً ، او مقصراً وانياً ، او ملحداً جانياً .

من جلس الى جانب رخامة معينة في الجامع الأموي

يشبه حديث الجلوس الى جانب الرخامة التي ورد ذكرها في طبقات الشافعية للسبكي ، حديث «الجلوس تحت قبة النسر» فقد جاء ذكرها في الطبقات ، ونحن ننقله لشبهه بموضوعنا في تسلسله بمن درسوا عند تلك الرخامة [1] ، ثم كانوا من أعلام الاسلام ، وناهيك بسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وهو منهم ، وإني مورد اسماءهم نقلاً عن طبقات السبكي نثراً ونظماً ، مع ذكر تاريخ وفياتهم ، وأما تراجمهم فيجدها المطالع في الجزأين الخامس والسادس من الطبقات ومثلها من الشذرات ، واليك ما قاله التاج بن التقي السبكي في طبقاته (ج ٦ ص ١٦٦) : وقد جلست للشغل في العلم عقب وفاة الشيخ الامام فخر الدين المصري إلى جانب الرخامة التي يقال إن اول من جلس إلى جانبها شيخ الاسلام فخر الدين محمد بن عساكر (٦٢٠) ثم تلميذه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام (٦٦٠) ثم تلميذه الشيخ تاج الدين بن الفركاح (٦٩٠) ثم تلميذه وولده الشيخ

(١) جاء في نهاية الأرب للنويري ١/١٥٥ (الرخامة آلة تعرف بها الساعات) (المجمع)

برهان الدين (٧٢٩) ثم تلميذه الشيخ فخر الدين المصري (٧٥١) ثم أنا (٧٧١) وكتبتها من خط الوالد (٧٥٦) رحمه الله تعالى .

الجامع الأموي فيه رخامة ... يأوي لها من للفضائل يطلب
الشيخ فخر الدين نجل عساكر ... والشيخ عز الدين عنه تنسب
والشيخ تاج الدين نجل فزارة ... عنه تلقاها لعبد (كذا) وتأدب
ثم ابنه أكرم به من سيد ... ورع له كل المناقب تخطب
وتلاه فخر الدين واحد مصره ... بذكائه كالنار حين تلهب
وابني يليهم زاده رب السما ... علماً وفهماً ليس فيه بنصب

أقول : اما الرخامة المذكورة فلعلها كانت في الحائط الشمالي من الجامع الأموي، فقد جاء في ترجمة مجد الدين بن عبد المجيد بن ابي الفرج اللغوي نزيل دمشق أنه « كانت له حلقة اشتغال بالحائط الشمالي » اه من شذرات الذهب (ص ٣٢٤ ج ٥) وقد كانت وفاة هذا المترجم سنة ٦٦٧ ه فهو معاصر للشيخ عز الدين ابن عبد السلام المتوفى قبله بسبع سنوات .

تنازل بعض مدرسي قبة النسر
بالاستقالة او التوكيل لمن هم أعلم منهم

بلغ حب الانصاف والإخلاص، وإسناد الأمور الى اهلها، في بعض المدرسين تحت قبة النسر، الى الاستقالة من وظائفهم، او التوكيل فيها إلى من هم أكفأ وأمثل، وقد عدّ شيخنا القاسمي (١٣٣٢) في كتابه « إصلاح المساجد من البدع والعوائد » رجالاً من هؤلاء حتى في باب القضاء، ونحن نأثر عنه ما يتعلق بغرضنا، قال رحمه الله : ومن ذلك تنازل السيد محمد العطار — احد اجداد بني الحسيبي — عن تدريس صحيح البخاري تحت قبة النسر ـ لما سعي في توجيهه عليه ـ

الى الشيخ يوسف الشهير بابن شمس [١] وقراءة المذكور عنه بالوكالة الى وفاته . ومن ذلك نزول الوجيه احمد افندي المنيني عن تدريس الحديث تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة الى الشيخ سعيد الحلبي [٢] وقراءة المذكور عنه الى وفاته ، ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله الحلبي [٣] بالوكالة عن ابن صاحب الوظيفة الى أن نفي في حادثة الشام المعروفة (سنة ١٢٧٦) .

ثم ختم أستاذنا هذا المبحث النفيس بقوله : هذا ما نحفظه ونأثره عن أشياخنا وكله مما يشف عن عقل وفضل بل وإراحة نفس من عناء ما قد لا يتفرغ له ،

(١) الدمشقي المولد : (١١٥٨) الإمام المحدث ، العلامة المحقق ، عدّ له في الحلية أكثر من ثلاثين أستاذاً من فحول الشام ثم قال : مات رحمه الله تاسع شوال سنة ١٢١٥ ودفن في مقبرة الشيخ أرسلان .

(٢) شيخ المحدثين ، من شيد ربوع العلم ، ولد بحلب سنة ١١٨٨ ونشأ بها وقرأ على جملة من أفاضل علمائها ثم في سنة ١٢٠٧ قدم دمشق الشام واستوطن في حجرته بجانب مدرسة الكلاسة في جامع بني أمية ، وتصدر للإفادة والتعليم . ومن بعد أن ذكر الأستاذ الجد بعض شيوخ المترجم بدمشق قال : وقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في الأشهر الثلاثة نيابة عن العلامة الشهاب المنيني . مات (رض) في اليوم الثامن من شهر رمضان سنة ١٢٥٩ .

(٣) الشيخ عبد الله بن سعيد بن احمد المشهور بالحلبي ، صدر الشام وعالمها ، لقد انفرد بعلو الهمة ، واقتصر عليه الخاص والعام في الأمور المهمة ، وكانت الحكام تفضله وتهابه وتعظمه ، وتعتمد في المهات عليه ، وتستند في حل المشكلات اليه ، وقد تصدر بعد موت والده للإقراء والتدريس ، وكان يقرأ صحيح الامام البخاري تحت قبة النسر في جامع بني أمية في كل يوم جمعة من شهر رجب وشعبان ورمضان ، توفي في قرية برزة من قرى دمشق سنة ١٢٨٦ ، وفي صبيحة تلك الليلة أحضر الى الشام ، وصلي عليه في جامع بني أمية ، ودفن عند قبر أبيه في مرج الدحداح بمشهد عظيم . رحمه الله تعالى .

أو يكون الساخط عليه فيه أكثر من الراضي ، أين هذا من التكالب والتهاوت على نقل ما كان لسلفهم اليهم ، والسعي وراءه ، وإن كانوا ليسوا له بأهل ، وكم من منصب بيع لصغير وجاهل لنقده فيه من الأصفر الرنان ما أبكم من أولئك كل لسان . ألا إن التاريخ بالمرصاد فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعد طوره اه .

وإني أختم هذه النبذ التاريخية بكلمة جامعة لأوصاف من يصلح للتدريس تحت قبة النسر ، أو يحاول الارشاد والاصلاح في هذا العصر :

يستسهل من لا خبرة له ولا دربة أمر الإصلاح العام ، مع أنه مطلب عظيم ، لا يصلح له إلا كل من اتسعت معارفه ، وكثرت تجاربه ، فان إصلاح ما طرأ من الخلل والفساد على الناس في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم وآدابهم من أشق الأمور ، لا سيما إذا تمكنت الأهواء من النفوس ، وطال عليها الزمن .

الواعظ الحكيم هو الذي يخاطب الناس بلسانهم ، ويتحرى من أساليب القول ما يرى أنه أدنى الى اقناعهم ، وقد كان رسول الله ﷺ ينزل الناس منازلهم ، ويخاطبهم على قدر عقولهم ، ويقول « كلموا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ » فالمذكر او الواعظ او المرشد هو كما وصفه بعض الأجلاء ملخصاً : حافظ لحدود الله ، قائم على إرشاد العقول ، وتهذيب النفوس ، وتصحيح المعتقدات ، وإبانة سر العبادات ، وإماطة ما غشي الأفهام القاصرة من غياهب الجهالة ، وترات الضلالة ، واقف على مقاصد التشريع وحكمته ، عالم مواضع الخلاف والوفاق ، سائس لسامعيه بما يلائمهم من الأحكام ، بل هو العامل الأكبر في اخراج الناس من ظلمات الجهالة الى نور العلم ، وتحريرهم من رق الخرافات والوهم ، فالعالم كالسراج إن لم ينتفع بضوئه فلا فائدة في وجوده ، بل لا يكون العالم عالماً حتى يظهر أثر علمه في قومه ، إذ ليس مسؤولاً عن نفسه وحدها ، بل عن عشيرته وأمته » .

محمد بهجة البيطار

جزء من رواية ابي عمر الزاهد غلام ثعلب

التعريف بالمؤلف وكتابه

أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرّز الورّاق المعروف بغلام ثعلب، المتوفى سنة ٣٤٥/٩٥٧، أحد مشاهير اللغويين الكوفيين وثقة من الثقات في الحديث، كما ورد في تاريخ بغداد (ج ٢ ص ٣٥٧): «فأما الحديث فرأينا جميع شيوخنا يوثقونه فيه ويصدقونه حدثنا < أبو > علي بن أبي علي < التنوخي > عن أبيه قال: ومن الرواة الذين لم نر قط أحفظ منهم ابو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب أملى من حفظه ثلاثين الف ورقة < في > اللغة فيما بلغني وجميع كتبه التي في أيدي الناس إنما أملاها بغير تصنيف». هكذا كتب ابن الخطيب في تاريخه، وقد أصلحت متن الطبعة المصرية بعد مقابلته بكتاب ارشاد الأريب لياقوت (اخراج مرغليوث ج ٧ ص ٢٦).

وقد ألّف الأستاذ الهندي العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي مقالة طويلة نُشرت في مجلة المجمع (ج ٩ ص ٤٤٩ — ٤٦٠) جاء فيها بفهرس مصنفات غلام ثعلب، وهو بحث نفيس فريد في بابه، مع ان الأستاذ الراجكوتي لم يذكر فيها رسالة صغيرة نحن بصددها في هذا الموضع؛ وكان ذلك من الطبيعي، لأن وجود هذه الرسالة مجهول وقتئذ.

وبينما كنت أتصفّح المخطوطات الجيّدة المحفوظة في خزانة صديقي المستر تشستربيتي بلندن، عثرت على مجلد له أهمية فائقة، يحتوي على عدّة رسائل نادرة في الحديث والأخبار، منها الجزء العاشر من كتاب الرقائق والحكايات لأبي الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي من علماء القرن الرابع، والجزء الأول من الفوائد المنتقاة الغرائب الحسان لأبي الحسن علي بن عمر بن محمد

ابن الحسن الحربي ، والجزء الثاني من أمالي الوزير ابي القاسم عيسى بن علي بن عيسى ابن داود بن الجراح ، وجزء من حديث ابي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي الصوفي المتوفى سنة ١٠٣١/٤١٣ ، والجزء الخامس من أمالي القاضي ابي عبد الله الحسين بن اسماعيل بن محمد الضبي المحاملي المتوفى سنة ٣٣٠/٩٤١ ، وصفة المنافق لأبي بكر جعفر بن محمد بن الحسين بن المستفاض الفريابي ، ومشيخة الشيخ المشهور شهاب الدين ابي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى سنة ١٢٣٤/٦٣٢ ، ورسالة في التسوية بين حدثنا وبين أخبرنا لأبي جعفر احمد ابن محمد بن سلامة الطحاوي المتوفى سنة ٩٣٣/٣٢١ . وبين ص ٥٩ و ص ١٠٩ من هذا المجلد نجد جزء غلام ثعلب في الحديث والأدب ، وهذه هي النسخة الوحيدة ، مع ان الرسالة مذكورة في كشف الظنون (ج ١ ص ٣٠١ من الطبعة المصرية) كما يلي : « جزء أبي عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي » .

ومما يزيد هذه المجموعة نفاسةً أنها كلها بخط المؤرخ المشهور محمد بن شاكر الشافعي الكتبي ، صاحب فوات الوفيات وعيون التواريخ ، المتوفى سنة ١٣٦٣/٧٦٤ ، وقد أنجز النسخة في شهور سنة ١٣٣٨/٧٣٨ بقراءته عن عماد الدين ابي الفضل محمد بن تاج الدين احمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن الشيرازي المتوفى سنة ١٣٤٨/٧٤٩ (راجع الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٦٥) بسماعه عن شهاب الدين ابي المعالي احمد بن رفيع الدين ابي محمد اسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن اسماعيل الهمذاني الأبرقوهي المتوفى سنة ١٣٠٢/٧٠١ (راجع الدرر الكامنة ج ١ ص ١٠٣) . وقد سمع هذه الرسالة وسائر رسائل المجموعة المؤلف المعروف محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة ، والد الشاعر ابن نباتة ، المتوفى سنة ١٣٤٩/٧٥٠ ، بقراءة ابن الشيرازي ، كما ورد بخطه في ص ٩٥ و ١٠٨ و ١٠٩ .

وها هو ذا متن الجزء :

(كمبردج)

بسم الله الرّحمن الرّحيم رب يسّر .

أخبرنا الشيخ العالم الفاضل المحدّث شهاب الدين ابو المعالي احمد بن الحافظ ابي محمد اسحق بن محمد بن المؤيد بن علي الهمذاني الأبرقوهي قراءة عليه وأنا أسمع مع عمي الشيخ العالم كمال الدين ابي القاسم احمد بن القاضي عماد الدين محمد بن محمد بن هبة الله الشيرازي لتسع ليالٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وستمائة بالجامع الطولوني بين القاهرة ومصر المحروستين قال انا ظفر بن سالم بن علي ابن البيطار بقراءة الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن عبد الغني مع والدي وأخي رحمها الله تعالى في سلخ جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة ببغداد قال انا ابو المظفر هبة الله بن احمد الشبلي قراءة عليه وأنا اسمع في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وخمس مائة قال انا ابو الغنائم محمد بن علي بن الحسن بن ابي عثمان سنة ثمان وسبعين واربع مائة قال انا ابو الحسين محمد بن احمد بن القاسم المحاملي سنة سبع واربع مائة قال انا ابو عمر الزّاهد غلام ثعلب قال :

(١) اخبرنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن هشام الكلبيّ عن ابي المقوم يحيى بن ثعلبة الأنصارى عن أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن السائب عن أبيها من بني جحجبأ قال : جمع زيادٌ أهلَ الكوفة ليعرضهم على شتم علي عليه السلام والبراءة منه فملأ الرّحبة منهم والقصر والمسجد والناسُ يومئذ في امرٍ عظيم فأغفيتُ إغفاءةً ومعي ناسٌ من اصحابي من الأنصار فرأيتُ في منامي شيئًا أقبل طويلَ العنق أهدبَ أهدلَ فقلتُ ما انت فقال انا النقار ذو الرقبة بعثت الى صاحب هذا القصر فاستيقظت فزعًا فقلتُ لأصحابي أرأيتم ما رأيتُ قالوا ما رأينا شيئًا قال فوصفتُ لهم ما رأيتُ فما كان إلا ريثَ ساعة حتى خرج علينا خارجٌ من القصر فقال أيها الناس انصرفوا فان الأمير عنكم مشغول واذا الفالج قد ضرب زيادًا فقال عبد الرحمن بن السائب :

ما كان منثنياً عما اراد بنا حتى تناوله النقار ذو الرقبه
فأسقط الشق منه ضربة ثبتت كما تناول ظلماً صاحبُ الرحبه

(٢) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار ابو جعفر ثنا يحيى بن عبدويه ثنا شعبة وحماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة .

(٣) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا عبيد الله بن موسى ثنا سفيان عن عبيد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي اربعاً .

(٤) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسحق بن يوسف الأزرق ثنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن سالم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصور عبدٌ صورةً إلا قيل له يوم القيامة أحيِ ما خلقتَ .

(٥) حدثنا الحارث بن محمد ثنا يزيد بن هرون ثنا اشعث بن سوّار عن الزهري عن أنس بن مالك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوت الانصار فحلبت له شاةٌ فأُتي بلبنها وابو بكر عن يساره واعرابي عن يمينه وعمر بين يديه فخاف عمر ان يدفع فضله الى الأعرابي فقال يارسول الله أعطه ابا بكر فأعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن .

(٦) حدثنا محمد بن هشام بن البختري ثنا سليمان بن الفضل الزيدي ثنا حسان ابن ابراهيم الكرماني عن حماد بن سلمة عن ايوب وهشام بن حسان وعبد الله ابن عمر وحبيب بن الشهيد عن نافع عن ابن عمر وحُميد عن بكر بن عبد الله عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وزاد فيه ابن عمر من قبله لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك والرغباء اليك والعمل .

(٧) حدثنا ابو بكر احمد بن عبيد الله النرمي ثنا شبابة بن سوّار ثنا المسعودي

عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يتجاوز لأمتي ما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل به

(٨) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا عبد الله بن بكير السهمي ثنا ابو الورقاء عن عبد الله بن ابي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال اثنتي عشرة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد كتب الله له الفي الف حسنة ومن زاد زاده الله عز وجل •

(٩) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا الحارث بن محمد ثنا محمد بن عمر ثنا عبد الله بن جعفر الزهري عن يزيد بن الهاد عن محمد بن الحارث التيمي عن عامر ابن سعد عن العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سجد العبد سجد على سبعة آراب وجهه وكفيه وكتفيه [1] وقدميه •

(١٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا حجاج ثنا قرة السدوسي عن ابن سيرين قال اخبرني ابو زيد بن أخطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جملك الله وكان شيخاً جميلاً حسن الشمط قال ابو العباس الكريمي رأيت احمد بن حنبل جاء الى الحجاج بالبصرة فسأله عن هذا الحديث •

(١١) حدثنا محمد بن عثمان ثنا يزيد بن مهران ابو خالد ثنا ابو بكر بن عياش عن الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم يا حسرتي قال الحسرة اذا رأى اهل النار منازلهم من الجنة فهي الحسرة •

(١٢) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ام الفضل بنت الحارث قالت آخر ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات •

(١٣) حدثنا احمد بن زياد بن مهران ثنا زكرياء بن عدي ثنا مسلم بن خالد عن زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان بن سليم عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت في أثر ثمانية الف نبي منهم اربعة آلاف من بني اسرائيل

(١) الصواب وركبتيه كما هو ظاهر . (المجمع)

(١٤) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال [قال] رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروا بين أنبياء الله عز وجل .

(١٥) حدثنا احمد بن سعيد الجمال ثنا ابو نعيم ثنا سفيان عن عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وليس فيما دون خمس اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة .

(١٦) حدثنا احمد بن عبد الله النرمي ثنا ابو غسان ثنا زهير ثنا خصيف عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير عن ابن عباس أن الفضل اخبره أنه كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لم يزل يلتى[1] حتى رمى جمرة العقبة .

(١٧) حدثنا الحارث بن محمد ثنا الواقدي ثنا اسامة بن زيد الليثي عن بكير ابن عبد الله الأشج عن كريب عن أم الفضل بنت الحارث قالت ناولتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حلاباً فيه لبنٌ يوم عرفة فشربه .

(١٨) حدثنا محمد بن يونس ثنا بدل بن المحبر ثنا شعبة قال قلتُ لقرة بن خالد السدومي وكان من ثقات الشيوخ يعني قال بكر بن وائل إنك تحدّث عن رجال من أهل الثروة فترضاهم قال فقال مثلي يقال له هذا ما حدّثتُ عن رجل منهم إلاّ وقد رضيتُ دينه وأمانته منهم ابو العجصاء (كذا) الدارمي سمعته تلا هذه الآية أفمنْ هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون فبكى حتى عمي وصلى حتى أقعد من رجليه وصام حتى خوى ولم ينظر الى السماء اربعين سنة ياأبا بسطام أفي كيسك مثل هذا فقال شعبة عندي أفضل من هذا ايوب بالبصرة ومنصور بالكوفة

(١٩) حدثنا ابراهيم بن اسحق ثنا محمد بن الصباح ثنا ابن المبارك عن ابراهيم ابن نشيط عن رجل عن عبد الله بن الحارث بن جزء دخل عليه رجلان فألقى لهما

(١) لم يزل يلبي النح كما في الصحيحين وغيرهما . (المجمع)

وسادةً وكان متكئاً عليها قالا إنا لا نريد هذا إنما جئنا لنسمع شيئاً فننتفع به قال من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا ابراهيم صلى الله عليهما وسلم ٠

(٢٠) حدثنا الحارث ثنا داؤد بن المحبر ثنا عبد العزيز بن مسلم الخراساني عن ضرار بن عمرو عن الحسين بن ابي الحسين قال ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد في سبيل الله جلّ وعزّ ومن خرج من بيته في طلب العلم فانه أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل ومن خرج من بيته في طلب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الطير في جوّ السماء والسباع في البر والحيتان في البحر وآتاه الله جلّ وعز أجر اثنين وسبعين شهيداً ألا فاطلبوا العلم واطلبوا للعلم السكينة والحلم تواضعوا لمن يعلمكم وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تباروا به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تجتلبوا الأمراء ولا تطاولوا به على عباد الله عزّ وجل فتكونوا من جبابرة العلماء الذين ادركهم الله عز وجل فكبهم على مناخرهم في النار واطلبوا علماً لا يضرّ بكم في عبادة الله واعبدوا الله جل وعز عبادةً لا تضرّ بكم في طلب العلم فانه لا ينتفع بهذا إلا بهذا ولا تكونوا كأقوامٍ تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة حتى اذا قحلت جلودهم على أجسادهم خرجوا على الناس بأسيافهم ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا ان العامل بغير علم كالجائر عن الطريق فهو لا يزداد اجتهاداً الا ازداد بعداً فكان ما يفسد أكثر مما يصلح قال قلنا عمن هذا يا ابا سعيد قال لقيت فيه سبعين بدرياً واغبرّت قدمي في طلبه اربعين عاماً ٠

(٢١) حدثنا بشير بن موسى ثنا ابو عبد الرحمن المقرئ عن محمد بن راشد الدمشقي صاحب مكحول عن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب عن ابيه عن جده عبد الله بن العباس كنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سفرٍ فأصابنا رعدٌ وبرقٌ فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرّعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد

قال ابن عباس فقلنا نعوفينا ثم لقينا عمر بن الخطاب في بعض الطريق فاذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت به فقلت يا أمير المؤمنين ما هذا قال بردة اصابت أنفي فأثرت فيه فقلت إن كعباً حين سمع الرعد قال من قال حين يسمع الرعد سبحان من سبح الرعدُ بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا عوفينا فقال عمر هلاّ أعلمونا حتى نقول ·

(٢٢) حدثنا احمد بن عبيد الله النرسي ثنا يزيد بن هارون ثنا حريز بن عثمان سمعتُ حبيب بن عبيد الرحبي يقول تعلموا العلم واعقلوه وتفقهوا به ولا تعلموا لتجمّلوا به فانه يوشك ان طال بكم عمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل ذو البز ببزه

(٢٣) حدثنا موسى بن سهل الوشاء ثنا اسمعيل بن عليّة عن يونس بن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملٌ قليلٌ في سُنةٍ خير من عملٍ كثيرٍ في بدعةٍ ·

(٢٤) حدثنا محمد بن عثمان ثنا ابراهيم بن محمد بن ميمون سمعتُ مصعب بن سلاّم عن سعد بن طريف عن الأصبغ عن علي عليه السلام قال ستٌ من أخلاق قوم لوط في هذه الأمة الجُلاهق (١) والصفير والبندق والخذف (٢) وحلّ أزرار القباء ومضغ العلك وثمانية من الناس لا تسلم عليهم اليهودي والنصراني والمجوسي والمتفكهين بسبّ الأمهات والشاعر الذي يقذف المحصنات وقوم يشربون بين أيديهم الرّيحان وأصحاب النردشير والشطرنج وستة لا يُصلى خلفهم ولد الزّنا والعبد والمتعرّب بعد الهجرة والأعرابي والمحدود إلاّ أن يتوب والأعمى (٣) ·

(١) الجلاهق : البندق الذي يُرمى معرّب . (٢) لعله والخذف .

(٣) هذا الأثر موقوف على الصحابي ، وفقهاء خراسان يسمون الموقوف أثراً ، والمرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم خبراً ، والموقوف ليس بحجة على الأصح عند علماء الحديث . والمراد من ايراد هذا الأثر — على فرض صحة سنده الى علي عليه السلام — هو التحذير في الجملة من أن يتصف الانسان بمثل هذه الأوصاف ، أو يتلبس بهذه الأعمال ، بل يحمل نفسه على كريم الخصال والفعال . وأما السلام فهو تحية الاسلام ، فاذا حيانا غير المسلم بتحية رددنا عليه أخذاً بعموم الآية الكريمة « واذا حُييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها » . (المجمع)

(٢٥) حدثنا احمد بن زياد بن مهران السمسار حدثني اسود بن سالم حدثني يحيى بن عبد الملك بن ابي غنيّة عن رباح بن ابي نصر قال مررتُ على طلحة اليامي فقال يا رباح أخرجك أهلك الى السوق قلتُ نعم قال عليك بالصدق وأداء الأمانة وترك الخيانة فانها مطردة للرزق ·

(٢٦) حدّثنا احمد بن زياد ثنا موسى بن داوُد عن شريك عن سعيد بن مسروق ابو المنذر شكّ شريك ان الربيع بن خُثيم كان يصلي وكان له فرسٌ أعطي به ثلاثين الفاً فجاء إنسان فحله فلم يقطع صلاته ·

(٢٧) حدّثنا محمد بن هشام البحتري قال ثنا محمد بن حاتم الزمي ثنا محمد بن الحجاج أنبأني محمد بن عبد الرحمن بن سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء قبل ان يموت بشهرين وشدّ المئزر وتعبد حتى كان كالشنّ البالي ·

(٢٨) حدّثنا محمد بن هشام قال سئل ابن عُيينة ما بال الناس يؤمرون في الجنازة بالسكون قال لأنه حشرٌ ·

(٢٩) حدثنا محمد بن هشام ثنا الحسين بن عثمان ثنا بقية عن اسماعيل البصري يعني ابن علية عن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُقبل قولٌ إلا بعمل ولا يُقبل قولٌ وعملٌ إلا بنيـة ولا يقبل قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلا باصابة السنة ·

(٣٠) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر العقيلي ثنا الهيثم البكاء سمعتُ مالك بن دينار يقول يا معشر الأغنياء موتوا كمداً فان العرس في الدار الأخرى

(٣١) حدثنا محمد بن يونس ثنا عثمان بن صخر ثنا الهيثم البكاء قال سمعتُ مالك بن دينـار يقول يا من تُغذي الخلق وتعشيهم ومن مجده تُسمي الوهاب حرم هذا البدن على النار ·

(٣٢) أنشدنا ثعلب عن ابن الأعرابي

قد هلكت جارتنا من الهمجْ   وان تجع تأكل عقوداً أو بذَجْ

قال الهمج الجوع والبذج الحمل والعقود الجديُ .

(٣٣) اخبرنا ثعلب قال كنا عند شيخ من الشيوخ من النحويين الكبار قال اريد ان أبُلُ فتضاحك منه الناس وقدرنا أنه لحن ونحن إذ ذاك صغار حتى حدثني سلمة عن الفراء عن الكسائي قال من العرب الفصحاء من ينصب بان الخفيفة المفتوحة وأخواتها وهو الباب ومنهم من يرفع بها ومنهم من يجزم بها الفعل المستقبل

(٣٤) أنشدنا ثعلب عن ابي نصر عن الأصمعي

تداويتُ من ليلى بهجران بيننا وداويتُ اقواماً مراضاً قلوبها
فأما الذي داويتُ بالهجر فاشتفى بهجر واما النفس فاعتلْ حوبها

(٣٥) حدثنا ثعلب عن عمر بن شبة عن رجاله قال قال احدهم سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله بخناصرة يقول يا معشر الناس اجملوا في طلب الرزق فلو كان رزق احدكم في عرعرة جبل او حضيض ارض لأتاه قال العرعرة رأس الجبل والحضيض أسفله .

(٣٦) وانشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي

لا تتبعنَّ نعم لا طائعاً أبداً فان لا افسدت من بعدها نعم
إن قلتَ يوماً نعم بدءاً فتمَّ بها فان إمضاءها صنف من الكرم

يقال صنفٌ بالفتح وصنفٌ بالكسر

(٣٧) وأنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي عن المفضل :

إنك يابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى
وربَّ ضيفٍ طرق الحيَّ سرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى
إن الحديث جانبٌ من القرى

(٣٨) حدثنا ثعلب وثنا ابو زيد عن علي بن زيد قال قال الحسن :

لولا جريرٌ هلكت بجيله نعم الفتى وبئست القبيله

أمدحه أم هجاه قلتُ مدحه وهجا قومه قال ما مُدح من هُجيَ قومه .

(يتبع)

ملاحظات لغوية على الفاظ زراعية

(١) الاقليم . — الكلمة الفرنسية Climat والانكليزية Climate والعربية إقليم كلها من أصل يوناني واحد وهو Klima بمعنى المَيْل ، ويريدون به مَيْل مكانٍ ما من الارض عن معدّل النهار ؛ ثم استعملوها بمعنى المكان المائل ، ومعنى القطر والكورة والصقع والرستاق ، اي بما نسميه اليوم « منطقة » (انظر ما ورد في التاج وفي مقدمة معجم البلدان نقلاً عن البيروني وهذا عن الهروي) . وهي تتضمن عند الفرنج معنى القطر والكورة ؛ وتتضمن أيضاً معنى آخر اكثر شيوعاً وهو جِماع الأحوال الجوية والجغرافية التي تسود ذلك القطر ، اي ما نسميه اليوم بالعامية الطقس والمناخ من رياحٍ وأمطار وحرارة وموقع جغرافي الخ . ولذلك نرى ان تُستعمل كلمة إقليم المعربة قديماً لهذا المعنى الأخير ايضاً ، على ما هو شائع في مدارس الشام والعراق ، منذ أيام الدولة العثمانية . اما الجوّيات فقد وضعتها في معجم الألفاظ الزراعية امام لفظة Météorologie .

(٢) المنطقة . — شاع استعمال هذا اللفظ للدلالة على بقعة من بقاع الأرض ؛ ولم اجده بهذا المعنى فيما لديّ من معجمات اللغة . وفي لساننا الفاظ كثيرة تؤدي المعنى المذكور كالقطر والكورة والرستاق والطسّوج والصقع والبقعة والناحية الخ . ولا بد في هذا الموضوع من التخصيص ، اي اتخاذ كلمة عربية لكلٍ من الألفاظ الفرنسية الآتية وهي Contrée و Région و Territoire و District وغيرها ، بعد النظر الى تعريفاتها المضبوطة .

(٣) التَّبغ والطُّبّاق . — على الرغم مما كنت كتبته في هذه المجلة وفي المقتطف والاهرام المصريتين من ان التبغ نبات والطباق نبات آخر ، ما برح بعض الكتاب

في مصر يعبرون عن كلمة تاباك الفرنسية بكلمة طباق ، لمجرد تقارب اللفظين ليس غير . فنبات التبغ (تعريب تاباك) من نباتات امريكة ، وهي مهده ؛ وهو لم يكن معروفاً في بلادنا ولا في اوربة قبل الكشف عن البلاد الأمريكية ، ولهذا ليس له اسم عربي ، شأنه في ذلك شأن كل النباتات التي نُقلت من العالم الجديد كالفليفلة والبطاطة والأناناس والبنادوري والجوافة والذرة الصفراء والقشدة والأوكاليبتس وغيرها . أما الطباق فهو نبات مبذول ومعروف في لبنان وسورية ، يسمى بالعامية الطيّون وعرق الطيون واسمه العلمي Inula viscosa ، وهو يُستعمل لصد الزنابير عن العنب الذي يُزبّب . وعندي من الأدلة على جهل العرب لنبات التبغ قبل كشف امريكة ما يملأ صفحتين على الأقل . فيجب اذن الاقلاع عن تسمية التبغ بالطباق ، وترك هذه الكلمة الأخيرة لما وضعت له في كتب اللغة اي لنبات الطيون .

(٤) الكرم . — كثيراً ما يستعمل ارباب الزراعة في ديار الشام لفظ الكرم بمعنى مغرس او بستان ، فيقولون مثلاً « كرم زيتون » و « كرم تين » . والكرم نبات معروف في المعاجم وفي الكتب الزراعية . ولم أجده فيها قط بمعنى المكان الذي يغرس فيه شجر آخر ، ولذلك يكون هذا الاستعمال خاطئاً .

(٥) الدالية . — يطلق الشاميون هذه الكلمة على الكرمة . أما في المعجمات فهي تدل على الناعورة والمنجنون وأداة للسقي معروفة في مصر ؛ وتدل أيضاً على ضرب من العنب أسود غير حالك عناقيده عظام ، وعلى بسر يعلّق فاذا أرطب أُكل ، وعلى الأرض تُسقى بدلو او منجنون . ولم أجد الدالية بمعنى الكرمة والحَبَلَة والزَرَجُونة والجَفنة وهي كلها تدل على النبتة الواحدة من الكرم . والظاهر ان العامة سمت الكرم دالية لتدلي عناقيدها ، كما سمتها عَريشة لأنهم يعرشونها على العَرْش والعَريش وهو جماع العيدان التي تُجعل في هيئة السقف فترفع الكرمة عليها . ولو قالوا معروشة ومعروشات لكان قولهم أصح ، لأن

المعروشات هي الكروم . ومع هذا فقد جاء في المخصص ان الكرم الذي يُسند يسمى العريش والمعرَّش والمعروش وغير ذلك . أما الدوالي فهي وان لم تذكر في مادة «دلو» في المعجمات، فقد ذكرها الفيروزابادي في القاموس في مادة عرش، قال : عَرَشَ الكرمَ رفع دواليه على الخشب كعرَّش . ويتضح من ذلك ان لفظ الدالية يُستعمل بمعنى الجفنة منذ زمن طويل .

(٦) الحَرَجة . — كثير من الكتاب في مصر والشام يسمون جماعة الشجر الحرش ويجمعونها على أحراش . والصحيح بالجيم لا بالشين ؛ ففي كتب اللغة الحرجة جماعة الشجر ؛ وجمعها حِراج وأحراج وحَرَج ومَحاريج . وفي المخصص انها سميت حراجًا لالتفافها وضيق المسلك فيها . وفيه : اذا اجتمع الشجر في عرض وطول فهو حرَجة .

(٧) الرُزّ والوَزّ والخَرُّوب . — معظم الكتاب يعدلون عن هذه الكلمات ويستعملون بدلاً منها كلمات الأُرز والأُوز والخرنوب . ويذهب بعضهم الى أن الأولى غير صحيحة ، على حين أنها فصيحة لا غبار عليها ، وهي أقل حروفًا من الثانية ، فلا يجوز إهمالها ولا تحاشيها .

(٨) الفَرَس . — لا يطلق الشاميون لفظ الفرس الا على أنثى الخيل ، على حين انه يُطلق في المعاجم على الذكر وعلى الانثى . اما الاسم الذي خُصت به الأُنثى فهو الحِجْر .

(٩) الدواجن . — اعتاد الكتاب في مصر تسمية الطيور الأهلية بالدواجن ، حتى انهم عندما يلفظون هذه الكلمة الأخيرة وحدها فهم لا يعنون بها الا الطيور المذكورة دون غيرها من دواجن الحيوان . ومن البديهي أن هذا التخصيص خطأ . فالدواجن (والمفرد داجن وداجنة) هي الحيوانات التي تَدْجن بالمكان اي تقيم به وتألفه ، من خيل وإبل وبقر وضأن ومعز ودجاج وحمام الخ . وهذا التعميم واضح في المعجمات . ولذلك عندما يُقتصر على كلمة الدواجن فمعناه الاشارة الى جميع الحيوانات المذكورة لا الى الطيور التي دُجنت وحدها . أما اذا أريد ذكر تلك

الطيور دون غيرها فيجب ان يقال الطيور الدواجن او الطيور الأهلية ، اي لابد من ذكر كلمة الطير او الطيور قبل لفظ الدواجن .

(١٠) جملة من الكلم . — في مصر يكثر الكتاب من استعمال لفظ « العزبة » بمعنى المزرعة . ولم أجد كلمة العزبة هذه فيما لديَّ من الأمهات . وفي العربية ألفاظ كثيرة تدل على معناها كالمزرعة والجَرْبة والمَشارة والزَّراعة والكُرْد . والقرية اكبر منها . ويقولون « التقاوي » بدلاً من البذر والبذار ؛ و « الكبري » بدلاً من الجسر ؛ وهذه اللفظة تركية النجار ؛ و « الطَّرْح » بمعنى الحَمْل والجَنَى والثمر ؛ و « الأُذرة » بمعنى الذرة ، ويذكّرونها وهي مؤنثة . ويلزمون كلمة الري والإرواء فلا يستعملون مادة سقى يسقي الا نادراً ، على حين ان هذه المادة هي الشائعة في المعجمات والكتب الزراعية القديمة (انظر باب السقي في الجزء التاسع من المخصص) فلا يجوز تجنبها ، ترجيحاً لفصيح الكلم على غيرها . ويكثرون من استعمال الطين بمعنى الأرض ، ولم أجد للطين هذا المعنى ، فهو نوع من أنواع الأتربة كالغرين والصلصال والطمي ، وليس بأرض ولا بمزرعة . ويجوز ان يقال طين الأرض ، وارض طينية او رملية أو كلسية الخ . وفي الشام يقولون « حاصود » و « راجود » على وزن فاعول ، لمن يحصد الزرع ويرجده ؛ والصحيح الحصّاد والرجّاد . ويقولون « الفصَّة » والصحيح الفِصْفِصَة وهو ما يسمى البرسيم الحجازي في مصر ، ويسمى بالفرنسية Luzerne .

ويسمون البرتقاليات اي اشجار الفصيلة البرتقالية او أثمارها المَوالح في مصر ، والحوامض في الشام . ومن المعلوم انها كثيرة الأنواع كالبرتقال والليمون الحلو والحامض وليمون الجنة (غريفون) والأترج والنارنج واليوسفي الخ . فتسميتها بالحوامض لها وجه ، لأن فيها حامض الليمون . أما تسميتها بالموالح فلم أر لها وجهاً . ومن الصعب جداً حمل الكتاب على اطراح اسماء كهذه مما يتفشى استعماله في جميع الطبقات .

وفي الشام يطلقون اسم الغنم على الضأن وحدها، على حين ان هذا الاسم يطلق على الضأن والمعز جميعاً .

(١١) يتضح مما مرّ ذكره ان بين مصر والشام اختلافاً في تسمية بعض النباتات الزراعية، وبعض الآلات والمواد التي لها صلة بالزراعة . ولعله من المفيد أن نذكر جملة منها في الجدول الآتي :

الشام	مصر	ملاحظات
انجاص	كمثرى	الثانية هي الفصيحة بمعنى Poirier . والأولى غير صحيحة
دراقن	خوخ	كلاهما فصيح بمعنى Pêcher
خوخ	برقوق	الفصيح إجاص بمعنى Prunier . وللبرقوق وجه . والخوخ غلط ، فهو في اللغة يدل على الشجر السابق
كبّاد	أترج	كلاهما فصيح Cédratier
كستنة	ابو فروة	اسمه القديم القسطل والقصطل والشاهبلّوط . Châtaignier . والكستنة من اللاتينية ، والقسطل من اليونانية ، والشاهبلوط من الفارسية بمعنى بلوط الشاه .
ملفوف	كرنب	Chou . الأولى مولدة . والثانية صحيحة ، وهي من أصل يوناني .
كرنب	ابوركبة	Chou - rave . كلاهما مولد بهذا المعنى . والكرنب في اللغة هو النبات السابق .
شوندر	بنجر	Betterave . الأولى من أصل فارسي ، والثانية من التركية .
بطاطة	بطاطس	Pomme de terre كلاهما مولد من كلمة Patate وهي من لغة سكان هيتي الأصليين .

الشام	مصر	ملاحظات
بنادوري	طماطم	Tomate . هو كالسابق من نباتات أمريكة فليس له اسم عربي .
ذرة صفراء	ذرة شامية	Maïs . وهذا ايضاً من نباتات امريكة التي لم تعرف الا بعد الكشف عنها . والأولى من كلمة ايطالية ، والثانية من كلمة تمتُّ الى لغة الازتيك القديمة في المكسيك
يكي دنيا ، إيكي دنيا	مشملة	Bibassier كلاهما من التركية .
فستق العبيد	فول سوداني	Arachide .
فِلْفِل	شطّة	Poivrier . الأولى صحيحة .
فليفلة	فلفل	Piment . كلاهما مولد لأن هذا النبات نقل من امريكة .
هليون	كشك الماظ ، هليون	Asperge . الهليون هو الفصيح بكسر الهاء وفتح الياء بينهما لام مجزومة .
إنكنار ، ارضي شوكي	خرشوف	Artichaut . الفصيح هو الحَرْشَف ، ومنها أرتيشو الفرنسية . أما ارضي شوكي فمن الكلمة الفرنسية هذه . فتأمل كيف ترد العامة الينا كلماتنا العربيات مشوهةً ، وذلك كقولهم سينما الحمبرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .
مشط	زحافة	Herse . الأولى أفصح . وقد وردت بهذا المعنى تماماً في المخصص .
كلس	جير	Chaux كلاهما فصيح .

هذه ملاحظات عنت على البال فلعل فيهـا فائدة للأساتيذ الذين يبحثون في العلوم الزراعية ومصطلحاتها .

مصطفى الشهابي

كنز من كنوز الجاحظ

اربع رسائل من رسائله

— ٥ —

الرسالة الرابعة من رسائله الاربع

عنوان هذه الرسالة (فصل ما بين العداوة والحسد) افتتحها بقوله : (أصحب الله مدتك السعادة والسلامة ، وقرنها بالعافية والسرور) . والخطاب فيها موجه الى الوزير ابي الحسين عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل . ولم يصرح باسمه في طرة الرسالة ـ كما صرح باسم المخاطبين في الرسالة الأولى والثالثة ـ وانما فهم ذلك عنه في ختام الرسالة ص ١٢٢ وسيأتي . ويقول الجاحظ للوزير المشار اليه ان رسالته او كتابه هذا (كتاب نبيل بارع فُصِل فيه بين الحسد والعداوة لم يسبقني اليه احد) بلى سبقوه الى ذكر الحسد والعداوة ومبلغ ضررهما بالمجتمع ومسرد ما ورد فيهما على ألسنة الأنبياء والصحابة والحكماء غير ان الذي لم يسبقوه اليه تشقيقه القول فيهما وتفننه في حسن التمثيل والاستشهاد لها بما لا يخطر لأحد ببال ، أو يجري منه في خيال ، وكل ما أراده من صديقه ثواباً على تخصيصه اياه بهذه الرسالة ما ذكره بقوله مخاطباً له : فأنا أسألك بساطع كرمك ، وناصع فضلك لمّا امتننتَ عليّ بصرف عنايتك الى قراءتها ، فان لم يمكنك تبحرها ، والتقصي لجميعها ، للاشغال التي تعروك ، فبحسبك ان تقف على حدودها ، وتتعرّف معاني أبوابها ، بتصفح اوائلها ، : فان معك قلباً به من اليقظة والذكاء ، والتوقد والحفظ ، ما يكفي معه نظر الخاطف) وقوله (لما امتننتَ عليّ) (لمّا) هنا بمعنى (الاّ) كما في قوله تعالى (إن كل نفس لمّا عليها حافظ) ويقول العرب (أنشدك الله

لَمّا فعلتَ) اي الا فعلت . وقوله (تبحرّها) التبحر في العلم التوسع فيه فمعنى تبحرها التوسع في فهم مضامينها . لكنّ الجاحظ عدى فعل التبحر بنفسه . وهو انما يتعدى بالحرف . فكأنه ضمّنه معنى التقصّي والتتبع .

وأول ما وصف من العداوات عداوة العلماء بعضهم لبعض فصنّفهم الى علماء أهل حق (مخضوا الحكمة وعجموا عيدانها ، ووقفوا على حدود العلوم) ـ واهل باطل يعارضون الأولين (وقد تسموا بأسماء العلم على المجاز بغير حقيقة . ولبسوا لباس الزور متزخرفين متشبعين بما لا محصول له) وأتى على وصف التحاسد والتنافس بين هؤلاء واولئك . وقصّ بعض ما كان يقع في مجالس الخلفاء من مناظرات العلماء حول آرائهم ومصنفاتهم مما منشؤه العداوة والحسد . وأخذ في التفرقة بينهما (اي بين العداوة والحسد) : من ذلك (ان العداوة لها عقل تسوس به نفسها ، فينجم قرنها ، وتُبدي صفحتها ، في أوقات الهَتْر ، وإلا فانها كامنة : تنتظر ازمنة الفرص . والحسد مسلوب المعقول (اي العقل) بازاء الضمير (؟) في كل حين وزمان . ومن لؤم الحسد أنه موكل بالأدنى فالأدنى والأخص فالأخص (اي كلما ازدادت القرابة والخصوصية بين الناس ازداد الحسد تكالبًا بينهم . و (الهتر) تمزيق العرض بالطعن والثلب فقوله بعده (بازاء الضمير) لعلّ صوابه (بإزاء الهتر) . وخلاصة ما قاله الجاحظ في هذا الباب ان العدوّ له عقل اما الحاسد فلا عقل له .

ومن الأدلة على ان الحسد أوجع وأوضع من العداوة أن الحسد انما يثور في نفس الحاسد لأسباب ليس للمحسود صنع فيها وانما هي من صنع الله كجمال الصورة وفصاحة اللسان وكرم المحتد وحسن الأخلاق وهذا بخلاف العداوة فان المعادي لك انما يقصد الى ضررك والحاق الأذى بك لأسبابٍ صدرت منك كأكلك ماله او تحقيرك له او الحاحك عليه بالأذى والشر . فاذا كففت عن ذلك . او اعتذرت اليه زالت العداوة بزوال اسبابها ورجعتما خليلين متصافيين ، ولا كذلك الحسد فان اسبابه فضلك او فصاحتك مثلاً وكلاهما لا يمكن تجنبهما

ولا الاعتذار عنها ما داما من صنع الله . فالحسود عدو الله في الحقيقة ، وكل هذا (دليل على ان الحسد لا يكون الا عن فساد الطبع ، واعوجاج التركيب ، واضطراب السوس (اي الطبيعة) وقال بعضهم الحسد انثى لأنه ذليل والعداوة ذكر فحل لأنهـا عزيزة) (أقول) وكان الأحسن لو قال الحسد انثى لأنه ضعيف يتستر مثلها ويتوارى تواريها ، والعداوة ذكر قوي فهي ظاهرة سافرة بادية صفحة الوجه كما ان الرجل القوي كذلك . ووصف الجاحظ عالماً عراقياً رآه وشاهد ما اصابه من البرحاء وحرقة الحسد حين بلغه عن زميل له في خراسان من اتساق الرياسة له في بلده (ونبل محله عند اهل مصره ، وطاعة العامة له ، فطار قلب العراقي فرقا . واخذته الأُرَباء وتنفس الصعداء ، وانتفض انتفاض المعلّس الممطور) قال الجاحظ فقال لي رجل من إخواني كان عن يميني حين رأى ما رأى من ذلك العالم العراقي : (لم يُر ظالم اشبه بمظلوم من حاسد نعمة ؛ فان نَفَسه متصل ، وكربه دائم ، وفكرته لا تنام) وقوله (الأُرباء) بالمدّ لم أره ولعله (الأُرَبى) ومعناه الداهية . واي داهية ادهى من حزّ الحسد في النفس . ويمكن ان يقال ان (الأُرباء) هنا هي الأربى غير ان الجاحظ مدها لضرورة السجع او لمزاوجة الصُعَداء . وقولهم (تنفس فلان الصعداء) يستعمله الفصحاء كما استعمله الجاحظ في التوجع ومقاساة مضض الغم لا في انكشاف الهم وزوال الكرب كما يستعمله بعض الناس . فقد قرأت في (مجلة الرسالة) لمكاتب يصف قوماً يمقتون فاضلاً يشتغل معهم ثم نقل الى عمل آخر قال (ولعلهم واجدون في إبعاده متنفساً لصعدائهم) اي انفراجاً لكربهم واستعماله بهذا المعنى غير سديد. ومخالف لما يستعمله البلغاء فيه . و (المعلّس) الرجل المجرب ولا تناسب ارادته هنا وانما المناسب ان يكون محرفاً عن اسم طائر او حيوان ينتفض حين وقوع رذاذ المطر عليه . (كما انتفض العصفور بلله القطر) واقرب ما يمكن ان تكون (المعلّس) محرفة عن العَمَلَّس . وهو اسم للجمل وجاء في (ديوان الحيوان) للسيوطي

ان (العَمَلَّس) اسم الذئب الخبيث والكلب الخبيث . وفي تشبيه ذلك الحسود بالذئب الممطور او الكلب الممطور زيادة تبكيت له ، وتنفير من حسده ، ومعرة لؤمه .

وصغار الكتاب في عصرنا يعمدون الى الفحول من كتاب بلدهم وشعرائه فيطعنون فيهم ، ويتخذون منهم أداة لهو وسخر ، ليصرفوا انظار الناس عنهم اليهم وينالوا الشهرة دونهم وكما ان في الكسب مال سحت كذلك في الشهرة شهرة سحت كشهرة هؤلاء الكتاب والشعراء الذين كان مثلهم كثيراً في عصر الجاحظ وقد وصفهم وذكر نوادر من اخبارهم : من ذلك ما حدثه به صريع الغواني الشاعر قال (خُيِّل الى نوكى الشعراء أنهم لا يُقضى لهم بجودة الشعر الا بهجائي والطعن في شعري . وهجو عرضي . وانا لا انفك متهماً من غير جرم أجرمته الا ما سبق الى قلوبهم من وساوس الظنون والخواطر التي أوهمتهم انه لا يسجل لهم بجودة الشعر الا اذا استعملوا فيَّ ما خيّل اليهم) . وذكر الجاحظ ان الحساد يقبلون على مصنفات محسوديهم فيقرأونها ويلتهمون معانيها التهاماً ، ويشهرون بها امام الناس ويحقرون من شأنها ، ثم لا يلبثون اذا كتبوا او صنفوا ان يحملهم نوكهم على استعمال معانيها والفاظها في رسائلهم الى اخوانهم الذين كانوا من قبل سمعوا منهم الطعن في تلك الألفاظ والمعاني نفسها . وما قاله الجاحظ مصداق قول الشاعر :

(ترى الفتى ينكر فضل الفتى لؤماً وخبثاً فاذا ما ذهب)
(لجّ به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب)

وهنا (ص ١٠٨) وصف الجاحظ ما كان يلاقيه هو ومصنفاته من حساده : يطعنون فيها وهم يعرفون براعتها ونصاعتها . وأكثر ما يكون هذا منهم اذا كان مصنفه مقدماً الى ملك (فانهم يهتاجون عند ذلك اهتياج الابل المغتلمة) فان أمكنهم اسقاط ذلك المؤلف في نفس الملك والا عمدوا اليه فسرقوا معانيه . وألفوا من أعراضه (جوانبه) وحواشيه كتاباً . وأهدوه الى ملك آخر معجبين بما كتبوا . وان كانوا قد ذموه وثلبوه لما كان منسوباً الى الجاحظ . وكان الجاحظ

يؤلف احياناً مؤلفاً دون سائر مؤلفاته في معانيها والفاظها وينسبه الى غيره ممن تقدمه (مثل ابن المقفع والخليل ويحيى بن خالد والعتّابي) فيأتي حساد الجاحظ اليه رافعين عقيرتهم بالاعجاب والثناء على ذلك المؤلف ويلتمسون منه استنساخه وقراءته عليه وروايته عنه وينشرونه في الناس ويتخذونه إماماً . كل ذلك لأنه لم ينسب الى الجاحظ ولم يترجم باسمه قال (ولربما خرّج الكتاب من تحت يدي مُحصفاً (اي محكم الفتل) كأنه متن حجر املس بمعانٍ لطيفة محكمة ، والفاظ شريفة فصيحة ، فأخاف عليه طعن الحاسدين إن انا نسبته الى نفسي فأظهره مُبهماً مُغفلاً في جملة الكتب التي لا يُعرف وضّاعها . فينهالون عليه انهيال الرمل ويستبقون الى قراءته استباق الخيل) .

وهوّن الجاحظ من امر العدوّ والحسود والمغتاب اذا كانوا أغبياء جهلاء لأن غباوتهم تدل عليهم فيقل تأثير كلامهم في نفوس السامعين . أما البلاء الذي ما فوقه بلاء فهو في ما اذا كانوا عقلاء اذكياء ذوي فطانة وحذق فان كيدهم يكون اشدّ ، وسهام اذاهم أحدّ واسدّ . وقد صور الجاحظ هذا المعنى أبلغ تصوير فقال (وانما البلية في غيبة حذاق المغتابين الذين يسمعون (اي الطعن في المحسود) فيضحكون ولا يتكلمون . وأحذق منهم الذين يستمعون ويُسكتون القائل ويدعون بالصلاح للمقول فيه) . فدعاؤهم له بالصلاح اقرار بصحة ماقيل فيه من الطعن والثلب والا (لجبه القائل وردع عن قوله) فهذه الطريقة أخبث انواع الغيبة واشدها خطراً في رأي الجاحظ ، ومما يؤسف له ان هذا النوع الخبيث من الغيبة فاش في عصرنا هذا كثير الشيوع في مجالسنا فلا يجبه مغتاب ولا يردع ، بل يقرّ طعنه ويسمع ، ثم بالدعاء والاستغفار يُلحق ويتبع ، فيقولون (اصلحه الله) او (غفر الله لنا وله) وهذا عين ما قال الجاحظ انه كان يقع في عهده قال : وكان (عبيد الله بن عبد الله بن مسعود) من نبلاء المغتابين وحذاقهم مذ يقول مخاطباً عدوين له منافسين :

(فلو شئتُ أُدْلي فيكما غيرواحدٍ علانيةً ، أو قال ذلك في سرٍ)
(فإن أنا لم آمر ولم أنهَ عنكما ضحكتُ له حتى يلجَ ويستشري)

وسرق العتابي هذا المعنى فقال :

(إن كنتَ لا تحذر شتمي لما تعرف من صفحي عن الجاهل)
(فاخش سكوتي سامعاً ضاحكا فيك لمشنوع من القائل)

والمشنوع المشهور بالقبيح . وقول عبيد الله (أدلي فيكما) اي قال فيكما قولاً قبيحاً . وقد كثر بين الكتاب استعمال فعل (أدلى) كثرةً لا مسوّغ لها . وفي فصيح اللغة من التعابير ما يغني عنه . فالسكوت والضحك من ألين انواع الغيبة وأنعمها . وألينُ منهما تبسم الإمام (ابي حنيفة) فقد كان يبلغ من التبسم من (الثوري) ما لا يبلغ الثوري بالتصريح منه . والين من هذاو ذاك غيبة القاسم بن معن وقد سئل عن ابن ابي ليلى فقلَّب كفه وقال :

(من الناس من يخفى ابوه وجدّه وجدّ ابي ليلى كالبدر ظاهر)

فتقليب كفه اشارة الى حيرته في امر ابن ابي ليلى . اما ما استشهد به من الشعر فهو على حد :

(خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء)

فهو يقول ان جد أبي ليلى ظاهر ظهور البدر : فاحتمل ان يكون أراد بظهوره ظهور خسة نسبه وضآلته . كما احتمل ان يكون اراد ظهور رفعته ونباهته . ومن أبلغ ماقيل في وصف ذلة الذي يغتاب عدوه ويتملقه اذا حضر قول خالد بن صفوان في شبيب بن شيبة (ليس له أخ في السر ولا عدو في العلانية) — وقول العتابي في اهل بغداد : (حساد : اخوان العلانية . واعداء السريرة : يعطونك الكل . ويمنعونك القلّ) اي يعطونك كل ما رضيته اذا جالستهم فاذا غبت عنهم بخلوا عليك بالقليل من حقك .

وأفاض الجاحظ في اي الأمرين يكون الصواب والسداد والحزم : أفي مصارحة

العدو بالعداء؟ او في مداراته وتجنب ملاحاته؟ فمنهم من كان يقول بالمداراة (يعني على طول الخط كما يقولون) ومنهم من يرى الفرار منها والاعذار فيها (فان هي — أي العداوة — أبت إلا المقارنة قارنوها بمثلها) (كذا في ص ١١٤) ولعل صوابه (فان هي أبت الا المقاومة قاوموها بمثلها) وهذا على حد قول الشاعر :

(واني لآبي الشر حتى إذا أبى يجنب داري قلت للشر مرحبا)

(وأركب ظهر الأمر حتى يلين لي اذ لم أجد الا على الشر مركبا)

ومنهم من غلا في المصارحة واللجاج في مقاومة العدو ولو نزل على حكمك وأنصفك كالعباس بن عبد المطلب الذي يقول لأخيه :

(ابا طالبٍ لا تقبل النصْف منهمو ولو أنصفو حتي تَعُقَّ وتظلِما)

والنصف (مثلثة النون) بمعنى الانصاف وهذا ما عناه طوق بن مالك بقوله (من لم ينتهز من عدوه انتهز منه) . وعلى عكس هذا قول عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الذي جعله الجاحظ كما مر (من نبلاء المغتابين وحذاقهم) فان قوله أبلغ ما قيل في المسالمة والمداراة وهو :

(منافسة الصحاب او الأعادي تجرّ الى المذمـة والملامـة)

(اذا أعطـاك نصفًا ذو وداد وبعض النصف فانتهز السلامة)

قوله (ذو وداد) لعل صوابه (ذو عداء) لأن المقام مقام التوازن بين مقاومة الأعداء ومداراتهم : يقول اذا انصفك عدوك ولو بعض الانصاف فاغتنم فرصة السلامة والراحة من عناء مكابدته . كما قال صاحب التائية من المتأخرين :

(لما عفوتُ ولم أحقد على أحد أرحتُ نفسي من همّ العداوات)

وهناك قوم اخشوا في مقاومة العدو الى حد الظلم والبغي . منهم مصعب بن الزبير الذي قال (اذا رأيت يد الدهر قد لطمت عدوك فبادره برجلك : فان سلم من الدهر لم يسلم منك وانشد :

(اذا برك الزمان على عدو بكبته أعنتُ له الزمانا)

وقال العتابي (إن من شرط الدهر، ومن صناعة الزمان السلب (اي سلب ما اعطى أو هو محرف عن التقلّب) فاذا حمّلت الأيام على عدوك ثقلاً، وأمكنتك منه فزده ثقلاً الى ثقله) ويقال ان المقابلة بالشر قد تكون أحياناً أنجع في الوصول الى ما يبتغي الانسان من حاجة :

(وفي الشر نجاة حيـــن لا ينجيك احسان)

قال الجاحظ حدثنا ابو مسهر عن خالد الكلبي قـال : (كنا مع ابي برزة الاسلمي في غزاة . فكان منا رجل يمتار لنا الميرة . ويقوم بحوائجنا . فاذا اقبل قلنا له جزاك الله خيراً . فيغضب لدعائنا . فشكونا أمره الى أبي برزة . فقال : كنا نسمع أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر . فاقلبوا له . فكنا نقول له - إذا أتانا بالحوائج - جزاك الله شراً وعسراً . فيضحك لذلك) .

وروى الجاحظ لبعض الأعراب ابياتاً حضّ فيها على الحلم والصفح عن الجهال ومنها:

(فأبق على جهـال قومك انه لكل حكيم موطن هو جاهله)

فالشاعر يحضّ الحكماء العقلاء على ملاينة الجهال والابقاء عليهم . ومعنى الابقاء عليهم رحمتهم وترك اخذهم بالعنف . وبهذه المناسبة نقل الجاحظ عن عمر انه قال : (استوصوا بالغوغاء خيراً : فانهم يطفئون الحريق . ويسدّون البثوق) اقول : ويروى بين الفقرتين (وينقذون الغريق) . لا جرم أن هؤلاء الغوغاء المنتشرين في الأسواق هم الذين يترامون على الحريق فيطفئونه . وعلى الغريق فينتشلونه . واذا انبثق ماء النهر على أهل الجوار اسرعوا الى سده . ويروى (ويشهدون السوق) مكان (ويسدون البثوق) وكأن احداهما محرفة عن الأخرى . ومعنى يشهدون السوق - ان صحت روايتها - ان العامة يشهدون مواطن البيع والشراء فاذا حصل أحياناً بين المتبايعين خلاف ونزاع، ولكم وصراع، ساعدوا اعوان القاضي والشُرَط على معرفة أسرار النزاع فلا تفوت الشرطي معرفة الحقيقة من بين اقوالهم وثنايا شهاداتهم .

ولما اوشك الجاحظ ان يختم الرسالة أتى في خطاب الوزير بأبلغ ما يقال في الحسد وانه هو (اي الجاحظ) كثير الحساد بسبب الانتماء اليه كما انه كثير الخلان فقال :

وكنت امرءً قليل الحسّاد حتى اعتصمتُ بعروتك ، واستمسكتُ بحبلك ، واستذرأتُ بظلك ، فتراكم عليّ الحساد وازدحموا ، ورموني بسهامهم من كل اوب وأُفق ، وتتابعوا عليّ تتابع الدَّبر على مشتار العسل ، ولئن كثروا لقد كثر بهبوب ريحك إخواني ، وبنضرة أيامك ، وزهرة دولتك خلاّني ، وانا كما قلتُ :

(فأكثرتَ حسادي وأكثرتَ خلّتي وكنتُ وحسادي قليلٌ وخلاني)

وهنا انتقل الجاحظ في الكلام على الحسد الى حديث طريف ، في اسلوب مبتكر ظريف ، فسرد خبراً عن رفاق زاروه ، وخاضوا معه في بحث الحسد والحساد ، وأستبعد أنا جداً أن يكون خبر هذه الزيارة وما تلاها واقعياً ، إنما هو مخترع لظهور أثر الاصطناع والاعتمال فيه ، فهو في اسلوبه وتأليف أجزائه أشبه بما ابتكره بديع الزمان الهمذاني وقلده فيه الحريري مما أسمياه (المقامة) و (المقامات) ، فيكون الجاحظ هو واضع هذا الفن أو غارس غرسته الأولى ، فاستثمرها وقلدها بديع الزمان الذي عاش بعد الجاحظ بنحو قرن ونصف ، وها نحن أولاء ننشر الخبر او (المقامة الجاحظية) بنصها الساذج وللقارئ حكمه عليها ورأيه في ما قلناه فيها :

قال الجاحظ مخاطباً الوزير عبيد الله بما نصه :

لما بلغت هذا الفصل من تأليف هذا الكتاب دخل عليّ (عشرة نَفَر) من الكتّاب : قد شملهم معروفك ، ورفع مراتبهم جميل نظرك ، فهم من طاعتك والمحبة لك على حسب ما أوليتهم من إحسانك ، وجزيل فوائدك ، فأفاضوا في حديث من أحاديث الحسد ، فشعّب لهم ذلك الحديث شعوباً افتنوا فيها ، والحديث ذو شجون ، فما برحوا حتى أتتني رقعةُ أناسيَةٍ (أي اناس) من الحساد ، فيها سهام الوعيد ، ومقدمات التهديد والتحذير والتخويف للطعن على ما أُؤلف من الكتب ، إن أنا لم أضمن لهم الشركة فيما يُجْرَي عليّ ، فدفعتُ رقعتهم الى من قرُب إليّ منهم (أي من العشرة) فقرأها ثم قال الأول: قاتلهم الله أبظلم يرومون النيل ، ويلتمسون الشركة في المعروف ، لنَزْع الروح بالكلاليب ، أهون من بذل معروف بترهيب ، وأنشأ يقول:

(أما الحوادث من خليـ لك مثل جندلة المراجم)
(قد رامني الأعداء قبـ لك فامتنعت من المظالم)

ودفعها (أي الرقعة) الى من قرب منه فقرأها . وقال (الثاني) : صكة جلمود . لكل مرعد حسود . يستمطر العرف بالتهديد ، خل الوعيد يذهب في البيد ، وأنشأ يقول :

(أبرق وأرعد يا يزيـ د فما وعيدك لي بضائر)

ودفعها الى (الثالث) فقرأها وقال : سألوا ظلماً . وخوفوا هضماً ، لقوا حرباً ولقيت سلماً . وانشأ يقول :

(زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع)

ودفعها الى (الرابع) فقرأها . وقال : قولُ الذليل وبولُه سيّان . وانشأ يقول :

(ما ضرّ تغلب وائل أهجوتها أم بلت حيث تناطح البحران)

ودفعها الى (الخامس) فقرأها . وقال : نهيق الحمار . ودم الاعيار ، جبار جبار . وانشأ يقول :

(ما أبالي أنبّ بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لئيم)

ودفعها الى (السادس) فقرأها وقال : إذا علقتك الأمجاد . فليهن عليك الحساد . وانشأ يقول :

(إذا اهل الكرامة اكرموني فلا اخشى الهوان من اللئام)

ودفعها الى (السابع) فقرأها وقال : كيف يخاف الصرعة . من هو في ذي المنعة . وانشأ يقول :

(كم تنبحون وما يغني نباحكم ما يملك الكلب غير النبح من ضرر)

ودفعها الى (العاشر)[1] فقرأها وقال : نوكى هلكى ، لم يعرفوا خبرك . ولا دروا أمرك . وانشأ يقول :

(فلو علم الكلاب بنو الكلاب بحالك عند سيدنا لذلّوا)

(١) كذا في الأصل فلعل صوابه (الى الثامن) ليكون حذف من النفر العشرة اثنين

وعندي صديق لي من السُوْقَة له أدب ، فقال لي بعقب فراغهم مُسِرّاً : إن هؤلاء الكتّاب قد أظهروا الاستخفاف بقول الحسّاد . وضربوا الأمثال في هوانهم عليك ، وعرفوا أنك في منعةٍ من عزّ ابي الحسن ـ أطال الله بقاءه ـ ومعقل لا يُسامى ولا يُنال ، وأنا أقول بالشَّفَقَة :

(تَوَقَّ قوماً من الحسّاد قد قصدوا لحطّ قدرك في سرٍّ وفي علن)

فقلت له : إني اقول بيتين هما جوابك وجواب الحساد :

(إن ابن يحيي عبيدَ الله أمّنني من الحوادث بعد الخوف من زمني)

(فلست أحذر حسّادي وان كثروا ما دمتُ ممسكَ حبلٍ من ابي الحسن)

فلما رأى صديقي اقتفائي آثار الكتّاب ، باستهانتي بالحساد ، عند اعتلاقي حبائلك ـ أعزك الله ـ أنشأ متمثلاً يقول نصر بن سيّار :

(إني نشأتُ وحسّادي ذوو عددٍ يا ذا المعارج لا تَنْقُص لهم عَدَدا)

(إن يحسدوني على ما قد بنيتُ لهم فمثلُ حسنِ بلائي جرّ لي الحسدا)

انتهت (مقامة) الجاحظ . وبعدها رجع الى مخاطبة الوزير وتعجبه من كثرة حسّاده عليه وسرد بعض الآثار والأخبار والأشعار التي قيلت في الحسد والحسّاد وشؤم حياتهم وسوء منقلبهم .

⁂

فرغنا من التعليق على (الرسالة الرابعة) في العداوة والحسد وعرض نموذجات من آراء الجاحظ وأفانينه فيها . ولنقبل الآن على شيء من ابحاثها اللفظية وما يتخللها من الفوائد اللغوية . من ذلك قوله :

ص ١٠١ وصف الجاحظ علماء الباطل الذين يلبسون لباس الزور وقال ان لهؤلاء أساليب بها (تستوي لهم الرياسة على طغام الناس ورعاعهم ويستخولوا رعاعهم وقومهم) رعاعهم الثانية محرفة في الغالب عن (زعمائهم) اي ان أولئك العلماء المبطلين بمخاريقهم واحابيلهم يتخذون من زعماء القوم خولاً وخدماً وحاشية لهم .

ص ١٠٣ سطر ٥ قوله (فغَلِق المأمون واحتدم) (غلق) و (قلق) بمعنى واحد

يقال إياك والغَلَق والقَلَق والضجر والحدّة والغضب . فلا حاجة الى تصحيح إحداهما بالأخرى كما فعل المصحح .

وقوله (لم ير احداً يدب عن كتابي) صوابه (يذبّ) بالذال المعجمة أي يذود ويدافع .

ص ١٠٤ قوله : (بإزاء كل حاسد راهن) لعل صواب (راهن) (راحم) اي راحم يرحم الحاسد من فرط ما يعاني من لذع الحسد . فلا حاجة لما قاله المصحح .

وقوله (لن تعدم الحسناء ذامّا) بتشديد الميم اسم فاعل من الذم والمعنى ظاهر لكن الأشهر في المثل (ذاما) بتخفيف الميم والذام هو العيب . ويؤيده البيت الذي بعده:

(ولن تصادف مرعى ممرعا أبداً   الا وجدت به آثار مأكول)

وعقب الجاحظ هذا البيت بقوله (يقال يعاب في كل حَسَن ويؤكل منه فيعيبه ذلك) فقوله (يقال) أي في تفسير معنى البيت وقوله (يعاب) محرف عن (يعاث) والعيث الافساد وقوله (في كل حَسَن) اي ان كل شيء حسن لا بد ان تنال منه الناس بما يشوهه ويفسده . لكن قوله بعده (ويؤكل منه) يرجح ان تكون كلمة (حسن) محرفة عن (حش) بتثليث الحاء وهو البستان ومجتمع النخل وهو المناسب لقوله في البيت (مرعى ممرع) ثم استعمل (الحش) مكنيًا به عن المرحاض . قال صاحب القاموس في تعليل ذلك : (لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين) .

وقوله ص ١٠٨ (الا ان نار الحسد تلهبه : فيهذي هذيان المريض ويهمز همزان المعزى) في الأصل العنزى مكان المعزى فصححه المصحح بالمعزى ولو صححه بالعنز لكان أقرب (وهمز همزان) لا معنى له هنا ولا يقال في مصدر همز همزان وانما صوابه قفز قفزانا أو نقز نقزانا وكلاهما بمعنى وثب وثبانا . وفي الحديث عن عائشة أنها هي وام سلمة كانتا في وقعة (بدر أو أُحد) تنقزان القِرَب اي تقفزان بها قفزاً لسقي الجرحى . والحسود اذا فوجيء بخبر من مباهج محسوده لا يملك نفسه عن ان يتحرك في مجلسه صُعُداً أو يمنةً ويسرةً لاضطراب نفسه . وارتعاش

اعصابه . لكن الجاحظ بالغ مذ جعل هذه الرعشة قفزة كقفزة العنز .

وقوله (فان كان السيد نحريراً نقّاباً و نقريساً بليغاً) فسروا النقريس بالطبيب ومرادهم بالطبيب والطَبّ الحاذق في عمله ثم غلب على الحاذق في مداواة الأبدان وهذا كالنطاسي والنطّيس قال الشاعر :

(وقد أكون مرة نطّيسا طَبّاً بأدواء الصبا نقريسا)

وقوله ص ١١٠ (والحاسد الذي فيه تقيّة . ومعه مُسكة . وبه طَعم أو حياء) طعم الشيء حالته في المذاق طيباً او قبيحاً . وفي الأساس (ما فلان بذي طعم ولا طعم له اذا لم يكن مقبولاً) اي اذا لم يكن سائغ العشرة والحديث في مذاق الناس ، ثم شاع استعمال الطعم بمعنى النباهة والفطانة في الحديث ومعاملة الناس فكما يقال فلان ماله ذوق او لا يذوق يقال فلان لا يستطعم اي لا يذوق وقلما نقول فلان ما عنده طعم او ما به طعم اي ذوق لكن الجاحظ في عبارته السابقة استعمل (الطعم) بمعنى الذوق كما هو ظاهر السياق . ومعنى (معه مُسْكة) اي رأي وعقل يرجع اليه .

وقوله في وصف الحاسد الحاذق (ولا سيما ان كان جليساً لازماً . ومحدّثاً لا يريم) اشتهر التحديث بمعنى رواية احاديث النبوة ، والمحدث هو الذي يحفظها ويتقن روايتها ، اما الذي يروي أحاديث الناس فلا يوصف بالمحدث وانما يقال انه اخباري وراوية للأخبار لكن الجاحظ استعمل (المحدث) بهذا المعنى اي معنى الاخباري الذي يروي احاديث الناس ، ويجيد القاءها ، ويحسن التصرف في إيرادها ، ومن الغريب ان يعود اليوم هذا الاستعمال فيشيع على ألسنة الناس وقد سمعت فاضلاً بالأمس يقول ان جلالة الملك عبد العزيز بن سعود محدث عظيم ، والأمير شكيب ارسلان أيضاً محدث كبير ، ولا يريد الا أنهما حسنا الحديث ، غزيرا المادة في رواية الأخبار وسرد الوقائع بحيث يملكان على السامع نفسه واصغاءه .

وقوله (ص ١١١ سطر ٨) (راجع وكان بدر منه عن وهم وخطأ) صوابه راجع ما كان بدر منه الخ .

وقوله (ص ١١٤ سطر ٥) (وأوكدوا قولَ القائل) نبه بعضهم في عثرات الأقلام على أنه لا يستعمل فعل (وكَّد وأكَّد وأوكد) الا في الأيمان والعهود والمواثيق كما ورد في القرآن « فلا يقال أوْكد لك الخبر ولا أوْكد لك قولي » . لكن الجاحظ في عبارته المذكورة استعمل هذا الفعل مع القول فقال (وأوْكدوا قول القائل) اي ان حذاق الحساد في إسكاتهم صاحب الغيبة وعدم نهيهم له عنها انما كانوا مؤكدين ومثبتين قوله . فاستعمال الجاحظ هذا يصح ان يعتبر بمنزلة روايته له وان لم تذكره المعاجم .

وقوله ص١١٦ (حرّان ليس على التراب بواقد) صوابه (على الترات) جمع ترة وهي الثار

وقوله (ان المصيبات تنزع السجيات) السجية الطبيعة ويمكن ان نجد معنى لقوله ان المصائب اذا نزلت غيّرت الطبائع ، وبدلت الأخلاق ، غير ان السياق يدل على غير هذا المعنى : يدل على ان المصائب تسلّ الضغائن من الصدور . فالسّجيات اذن محرفة عن (السخيمات) جمع سخيمة وهي الضغينة وجمعها على (سخائم) اكثر وأشهر .

وقوله :

(اذا المرء ذو القربى وذوالجند أجحفت به سنة سلّت مصيبته جعدي)

وما قلناه آنفاً نقوله هنا من أن السياق يدل على ان صواب (ذو الجند) (ذو الحقد) وصواب (جعدي) (حقدي) اي اذا نزلت مصيبة بقريبي الحاقد عليّ زال الحقد من صدري عليه .

وقوله ص ١١٧ :

(وان اكتسى ثوباً نسيساً لم أقل يا ليت ان عليّ حسن ردائه)

صوابه (ثوباً قشيباً) .

وقوله بعده :

(واذا تخرق في غناه وفرته واذا تصعلك كنتُ من قرنائه)

التخرق كناية عن الاسراف في الجود كأن الكف تتخرق فلم تعد تمسك مالا .

وقوله (وقرته) بالقاف لا معنى له يناسب هنا . وصوابه (وفرته) بالفاء اي اذا استغنى ابن عمي واسرف في الجود على الناس أتجنبه وأوفر عليه ماله فلا أسأله ولا ارزؤه وعلى عكس ذلك اذا افتقر فاني الزمه وأواسيه . وكان عبد الله بن مروان يقول - اذا سمع هذه الأبيات - هذا والله من شعر الأشراف .

و ص ١١٨ ذكر أبيات النابغة الجعدي التي أنشدها بين يدي النبي (ﷺ) ومنها في صفة خيلهم في الحرب :

(وليس بمعروفٍ لنا ان نردها صحاحا ولا مستنكرا ان نعفّرا)

نعفر بالفاء من العفر وهو التراب اي لا نرد خيلنا صحيحة بل معفرة وممرّغة في التراب . وهو حسن ولكن الأحسن منه والأصوب (ان نعقّرا) بالقاف اي لا نردها صحيحة الأعضاء بل نردها معقورة - من كثرة ما طُعنت بالرماح وضربت بالسيوف . و (العقر والتعقير) الجرح وأن تقطع قوائم الفرس بالسيف .

وقوله من أبيات الفِند الزماني :

(فلما صرخ الشرُّ وأمسى وهو غرثان)

صواب (صرخ) بالخاء المعجمة (صرّح) بالحاء المهملة اي ظهر وانكشف للعيان . و (غرثان) اي جوعان وهو خطأ صوابه وهو (عريان) بالعين المهملة وبالياء كناية عن ان الشر لا ستر عليه . وهو يؤيد رواية (صرح) كما ان رواية (صرح) تؤيده .

وقوله منها : (بضربٍ فيه توهينٌ وتضجيعٌ واذعان)

(وبعض الحلم عند الجهـــل للذلة إذعان)

(اذعان) الأولى صوابها (إرنان) وهو الصياح . و (ضجّع) في الامر اذا قصر فيه ولا يناسب هنا فصوابه (تفجيع) ويروى (تخضيع) .

وص ١١٩ قوله (بقافية تقرى العروق فتحسم) صوابه (تفرى) بالفاء اي تقطع .

و ص ١٢١ قوله (لنزع الروح بالكلاليب . أهون من بذل معروف بترهيب) هذه العبارة قالها احد العشرة الذين بنى الجاحظ (مقامته) على أقوالهم وقد ذكرناها

بنصها آنفاً وهي تصور لنا كيف كان سفهاء أدباء العصر العباسي يهددون نبلاء الكتاب بالحط من مؤلفاتهم وأشعارهم وآثارهم اذا هم لم يشركوهم في الجائزة والمعروف . وهذا التهديد يسمى في أدب الافرنج شانتاج chantage وقد مرت الاشارة اليه في الكلام على الرسالة الثالثة (في الجد والهزل) وقلنا ثمّ ان المرحوم الأب أنستاس وضع كلمة (تشنيح) وهو التشنيع نفسه غير ان الجاحظ في (مقامنه) هذه استعمل كلمة (ترهيب) فهي اذن أولى بالاستعمال وأجدر بان تحل محل كلمة (chantage) . بقي انه لا يقال في اللغة (رهّبه) وانما يقال (أرهبه) اذا خوفه و (ترهّبه) اذا هدده وتوعده . ومصدره الترهّب فما للجاحظ يقول (ترهيب) ؟ ولنا ان نقول ان ما قاله الجاحظ بمنزلة ما رواه وهو موثوق في اللغة مأمون على ألفاظها . أو يقال انه استعملها لضرورة سجعة (كلاليب) وقد نصوا على جوازه في الشعر فهل يجوز في السجع يا ترى ؟ وعلى هذا لا يجوز لنا استعمال مصدر (الترهيب) الا لضرورة او مزاوجة فيقال مثلاً (بالغ الأمير في ترغيب القوم وترهيبهم) ولا يصح ان يقال (بالغ في ترهيبهم) وحدها وانما يقال (بالغ في التوعد والترهّب) ويشهد لجواز استعمال الترهيب في مقام المزاوجة ما درج عليه السلف من تسمية كتبهم (بالترغيب والترهيب) فابن زنجويه (المتوفى سنة ٢٤٨ هـ) له كتاب بهذا الاسم ومثله ابو القاسم الاصبهاني (المتوفى سنة ٥٣٥ هـ) ومثلهما ابن عبد القوي (المتوفى سنة ٦٥٦ هـ) .

وفي ص ١٢٢ يخاطب الجاحظ الوزير بقوله (وليس العجب ان يكثر حسادي وانا أنعق بمحاسنك واهتف بشكرك) النعيق صياح الراعي بغنمه وصياح الغراب ولا يكاد يستعمل في غيرهما الا بقصد السخرية، نعم جاء في الأساس (نعق المؤذن . وسمعت نعقة المؤذن ونَعقاته) فهو اذن استعمال سائغ . والأوقع في نفوسنا اليوم ان يقال : (وانا أُشيد بمحاسنك او أشدو بمحاسنك او أنوه بمحاسنك) .

انتهى ما اليه قصدت من الكلام على رسائل الجاحظ الأربع والبحث في بعض ماتدعو الحاجة اليه من مطالب اللغة والانشاء وصياغة الكلام ونسأله تعالى حسن الختام .

المغربي

(استدراك) قلنا آنفاً ان الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) قد يكون اول من ابتكر فن المقامات . وأذكر انني كنت منذ بضع عشرة سنة وأنا أطالع أمالي ابي علي القالي — رأيت في (أحاديث) يرويها صاحب الأمالي عن ابن دريد (المتوفى سنة ٣٢١ هـ) ما يشبه ان تكون (أي تلك الأحاديث) مرتجلة لا مسبوقة وموضوعها خيالي لا واقعي وان ابن دريد وضعها من عند نفسه ليكون لشُداة الأدب فيها متعة من لغةٍ أو خبر أو عظة أو فكاهة . خطر لي هذا ودونته في مفكرتي لأبني عليه مقالاً او محاضرة وبعد مدة من الزمن ذاكرت بذلك زميلي الأستاذ خليل بك مردم بك فاذا هو يقول : إن له بحثاً في ان البديع الهمذاني هل استقى طريقة مقاماته من أحاديث ابن دريد في الأمالي أو من غيره ؟ وان بحثه هذا نشره في مجلته (الثقافة) سنتها الأولى . فاغتبطت لهذا التوارد . ثم قرأت في مجلة (الرسالة) مناظرة طويلة الذيل بين الأستاذين : ذكي مبارك والسباعي بيومي حول موضوع أحاديث ابن دريد وهل كانت نواة لمقامات البديع أو لا ؟ وقد أثير غبار مثل هذه المناظرة في مجلة الأصداء الدمشقية بين الأستاذين جميل سلطان ومحمد خلف الله الأديب المصري وكان إذ ذاك نزيلاً في دمشق .

المغربي

نفائس المخطوطات العربية

في المشهد الرضوي المطهر

-٢-

(جـ) الفلسفة والكلام والمنطق

(١٨) اثبات واجب الوجود تعالى

لشمس الدين محمد بن احمد الخفري الشيعي (- ١٠١٥) وكان من كبار مؤلفي الشيعة في الفقه والحكمة والرياضيات . وقد اضطرب بروكلمان في كتابه GAL في اسمه ففي ١/٥٠٩ يسميه (الخضري) [بالخاء والضاد] ثم يسميه ١/٥١١ [الحفري بالحاء المهملة والفاء] حين يذكر شرحه على تجريد العقائد للنصير الطوسي . ثم يعود في الذيل ١/٩١٣ فيسميه باسمه الخضري (بالضاد) والصواب ما أثبتناه نسبة الى الخفر وهي بليدة معروفة في ايران اسمه (خبر) بالباء المثلثة وربما قالوا في تعريبها أيضاً (خبرى) كما يقولون (خفرى) .

ولا يذكر بروكلمان من كتب الخفري غير شرح التذكرة النصيرية ، ورسالة واجب الموجود ، وتعليقات على الشرح الجديد للنصير الطوسي ، مع ان صاحب روضات الجنات يذكر انه الف ثلاثة كتب في اثبات الواجب كبير ووسيط وصغير .

والنسخة الموجودة في ٢٤ ورقة ولعلها الكتاب الصغير ، واولها « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين و ... » وآخرها « تمت الرسالة المملوءة بالحقائق والدقائق لأستاذ المحققين والمدققين شمس الملة والدنيا والدين محمد الخفري غفر الله له في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وتسعمائة » وهي مكتوبة بقلم نسخي وقفها نادر شاه سنة ١١٤٥ ورقمها (٧) كلام .

وفي الخزانة نسخة اخرى رقمها (٨) ويليها رسالة «حسرة الفضلاء في الرد على ابن كمونة واولها «الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد ...» وآخرها «... ولما كان مبحث العلم بحراً عميقاً لا ساحل له اقتصرنا على ما ذكرنا والحمد لله على أفضاله» وهي في ٥٣ ورقة .

(١٩) مصارع المصارع

لمحمد بن حسن نصير الدين ابي جعفر الطوسي المؤلف المشهور بالخواجه نصير وافضل العالم وصاحب المؤلفات الكثيرة (٣٨٥ — ٤٦٠ هـ)[١] .

وقد رد في كتابه هذا على كتاب «المصارع» او «المصارعات» لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني الذي انتقد فيه بعض أقوال ابن سينا وآرائه وأول النسخة : «الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ...» وهي مكتوبة بخط نسخي جيد في سنة ١٠٢١ نقلت عن نسخة قديمة مكتوبة في سنة ٧٠٧ . وقد وقفها الملك نادر شاه على خزانة الضريح الرضوي في سنة ١١٤٥ ورقمها ٢٦٧ كلام . والكتاب نفيس قيم جدير بالطبع .

(٢٠) كتاب اثولوجيا

لأرسطو الحكيم بتفسير فورفوريوس الصوري . وقد ترجمه الى العربية عبد المسيح بن عبد الله بن الناعمة الحمصي . ثم اصلح الترجمة بعده ابو يوسف يعقوب ابن اسحق الكندي للأمير احمد بن الخليفة المعتصم بالله العباسي .

والكتاب معروف باسم «الميامر او الميامير» ومعناها بالسريانية «المحاضرات» وهو مؤلف من مقدمة وعشرة ميامير وأوله «أما بعد اذ قد صح وبان ان النفس ليست بجرم وانها لا تموت ...» وآخرها «... لأنها قد لبست صوراً كثيرة فهي خفية تحتها لا ينالها شيء من الحواس» .

والكتاب في ٢٠٢ ورقة وقفه نادر شاه وهو مكتوب بقلم عادي في سنة ١٠٧٠

(١) بروكلمان الذيل ١/٢٨٩ رقم (22 m) .

ورقمه (١٤) كلام[1] . ومن الكتاب نسخة في خزانة المجلس النيابي في طهران رقمها ٤١٣٩ وفي خزانتنا نسخة جد نفيسة منه ربما اتينا على وصفها بتفصيل ان شاء الله .

(٢١) السماء والعالم

لأرسطو وقد ترجمه الى العربية مهران بن منصور المسيحي الذي كان حياً في سنة ٥٥٣ . والنسخة قيمة اولها « قال الحكيم اذ جعل المعرفة بالطبيعة ....» وآخرها « .. فقد لخصنا الآن الثقيل والخفيف والاغراض العارضة فيها وميزناهما وقلنا فيهما قولاً مستقصياً شافياً على هذا المذهب والحمد لله على ذلك كثير . تمت المقالة الرابعة من كتاب ارسطو في السماء والعالم وبتمامها تم الكتاب والحمد لله والمنة كما هو اهل » . وقد ذكر ارسطو في هذا الكتاب فلسفته في الأجسام البسيطة . وهي مكتوبة بقلم نستعليق حسن جداً وقد وقفها نادرشاه في سنة ١١٤٥ ورقمها (٤٩) حكمة . ومن الكتاب نسخة اخرى في مجموعة رقمها (٨٠) في خزانة المجلس النيابي في طهران .

(٢٢) كتاب « التلويحات » او « اللمحات »

للشهاب ابي الفتوح يحيى بن حبش بن اميرك السهروردي الصوفي المقتول بحلب وصاحب الشطحات والتأليفات ومن اشهرها « حكمة الاشراق » (ـ ٥٨٥[2]) والنسخة حسنة اولها « السبحات لجلالك اللهم يا قيوم افض علينا من عظائم بركاتك ويسر لنا العروج الى عروش قدسياتك ... وبعد فان هذه اللمحات في الحقائق على غاية الايجاز ولم اذكر فيها غير المهم من العلوم الثلاثة ... العلم الاول المنطق ...» وآخره « ... لا تبذلن العلم واسراره الا لأهله واتق شر من احسنت اليه من اللئام فلقد اصابني منهم شدائد واذكرنا في صالح دعائك ووفقنا الله واياك ورحمنا وآوانا انه سيدنا ومولانا ولواهب العقل حمداً غير متناه » .

---

(١) بروكلمان ١/٢٠٤ و ٢٠٥ والذيل ١/٣٦٤ و ٣٧٢ .
(٢) انظر بروكلمان ١/٤٣٧ والذيل ١/٧٨٢ .

وللفيلسوف سعد بن منصور المشهور بابن كمونة اليهودي شرح على هذا الكتاب لم نعثر عليه . وعدد اوراق النسخة (٣٨) ورقمها (٥٣) .

وفي خزانة مكتبة المجلس النيابي بطهران نسخة مكتوبة سنة ٦٠٧ في ملاطية اي بعد نحو اثنتين وعشرين سنة من وفاة المؤلف ولكنها مخرومة الأول . ورقمها ٦٩٣٢

(٢٣) «منطق العين» او «حكمة العين في المنطق»

لنجم الدين علي بن عمر بن علي القزويني الكاتبي المشهور بدبيران تلميذ نصير الدين الطوسي ومؤلف رسالة «الشمسية» في المنطق وغيرها من الكتب القيمة (— ٦٧٥/٦٩٣)[1]

وهي رسالة في المنطق على ترتيب رسالته المشهورة «الشمسية» مؤلفة من مقدمة وثلاث مقالات وخاتمة ، ولكنها أوسع تفصيلاً اولها «قال مولانا افضل المتأخرين سلطان المحققين نجم الملة والدين ....» وهي مكتوبة بخط الشيخ ابي الغنائم الحسين بن احمد بن ابي الفضائل بن محمد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، اي في عصر المؤلف وهي جد قيمة لضبطها وتصحيحها على عدة نسخ قيمة وعدد أوراقها (٥٥) ورقمها (١٦٤) منطق .

وفي خزانة المجلس النيابي شرح على حكمة العين لشمس الدين محمد بن مبار كشاه البخاري رقمه ٦٩٣١ ، وحاشية او تعليقات عليها اسمها «كشف الغين عن شرح حكمة العين» لشمس الدين محمد بن مبار كشاه الفه قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي رقمها (١٣٩) .

(د) التصوف

(٢٤) «الشطحيات» او «منطق الأسرار ببيان الأنوار»

لصدر الدين ابي محمد روزبهان بن ابي النصر الفسوي الشيرازي البقلي الكازروني الصوفي المشهور بالشيخ الشطاح . وقد أقام مدة في الاسكندرية واهتم فيها بنشر التصوف والعرفان ثم رجع الى بلاده وأقام في شيراز يعظ الى ان هلك فيها (— ٦٠٦)[2]

(١) بروكلمان ١/٤٦٦ والذيل ١/٨٤٥ (٢) بروكلمان ١/٤١٤ والذيل ١/٧٣٤

والنسخة جد قيمة ونادرة تعين على فهم كثير من أسرار الصوفية وحقائق مذهبهم اولها «الحمد لله الذي تقدس بسبحات جمال جبروته ....» وهي في ١٤٧ ورقة وقفها الملك نادر شاه سنة ١١٤٥ . ورقمها ١٥٦ تصوف وعرفان .

(٢٥) محاسن المجالس

لأبي العباس احمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الماري الأندلسي المشهور بابن عريف [١] . ولد في المرية سنة ٤٨١ ومات في مراكش سنة ٥٣٦ وكان من أكابر الصوفية الأندلسيين وحكمائهم وقد بقي من آثاره هذا الكتاب ويسمى أيضاً النفائس ومحاسن المجالس وشبكات الألباب ومطالعات الأحباب .

والنسخة جد نفيسة ترجع الى القرن الثامن أو السابع ذكر فيها طرفاً من أخبار الصوفية وآدابهم وتعاليمهم . وهي من أمهات كتبهم كتبت بخط نسخي حسن في ٤٣ ورقة وقفها امين خاتون ورقمها ١٠٩ أدبيات .

(هـ) اللغة وعلوم العربية

(٢٦) جواهر النحو

لأبي علي الحسن بن احمد (بن محمد) بن عبد الغفار الفارسي الفسوي (نسبة الى فسا وهي تعريب پسا) بليدة في (اقليم فارس) ، الامام النحوي الأشهر صاحب التآليف الكثيرة وأستاذ بعض كبار الرجال مثل ابي الفتح بن جني وعلي بن عيسى الشيرازي وعضد الدولة البويهي . ومن اشهر كتبه (الايضاح في النحو) و (المقصور والممدود) و (الحجة في علل القراءات) و (التكملة في النحو) ولد بفسا سنة ٢٨٨ واقام ببغداد وحلب عند سيف الدولة في سنة ٣٤١ وجرت بينه وبين المتنبي مجالس ومات ببغداد سنة ٣٧٧ ودفن بالشونيزي [٢] .

والجواهر من كتب النحو النادرة بحث فيه عن الأسماء وتصريفها وعللها

(١) ابن خلكان رقم ٤٧ وبروكلمان ١/٤٣٤ والذيل ١/٧٧٦ .

(٢) بروكلمان ١/١١٣ والذيل ١/١٧٥ .

وأوله « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ٠٠٠ » وآخره مخروم ينتهي عند أول باب العدد ٠ وهو في ٣٠ اورقات وقفه الخواجه شبير احمد ورقمه ١٩ صرف ونحو ٠

(٢٧) المقدمة الكافية في علم العربية

لأبي الحسن طاهر بن احمد بن ادريس المشهور بابن بابشاذ [1] النحوي الجوهري الديلمي الامام في العربية وعلومها ٠ ومن آثاره المقدمة في النحو وشرحها ، وشرح جمل الزجاجي (ــ ٤٦٩) [2] ٠

والمقدمة من أمهات كتب العربية التي تدوالتها الناس شرحاً وتعليقاً كما ذكر بروكلمان وهي في عشرة أبواب ٠

والنسخة حسنة الخط مكتوبة بقلم نسخي جيد ترجع الى القرن السادس او السابع واولها « قال الشيخ العالم ابو الحسن طاهر بن احمد بن بابشاذ النحوي الجوهري الحمد لله رب العالمين ٠٠٠٠ » وعدد اوراقها (٢٩) ورقمها (١٤٣) صرف ونحو ٠

(٢٨) التبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القرآن

لعبد الواحد ابي المكارم كمال الدين بن عبد الكريم بن خلف الانصاري الزملكاني ابن خطيب زملكا قاضي صرخد (ــ ٦٥١) [3] ٠

نسخة حسنة اولها « بسملة الحمد لله الذي اشرقت بسناء محامده في سماء المعاني من شموس البيان أنجم وبدور ٠٠٠ » وهي في ١٦٠ ورقة وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ ورقمها (٤) معاني وبيان ٠ وفي الخزانة نسخة اخري منها رقمها (٥) معاني وبيان ٠

(٢٩) الاعجاز في الاحاجي والألغاز

لأبي المعالي سعد بن علي بن القاسم الوراق الحظيري الشاعر المعروف بدلال الكتب (ــ ٥٦٨) [4] صاحب (زينة الدهر) ذيل دمية القصر للباخرزي ، و(ملح الملح) ٠

(١) كلمة فارسية تعريبها (سرور الأب) ٠

(٢) انظر بروكلمان ١/٣٠١ والذيل ١/٥٢٩ ٠

(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٣٧ وبغية السيوطي ٣١٦ وشذرات الذهب ٥/٢٥٤ وبروكلمان ١/٤١٥ والذيل ١/٧٣٧ ٠

(٤) ارشاد ياقوت ٤/٢٢٣ وابن خلكان رقم ٢٤٥ وخزانة الأدب ٣/١١٨ وبروكلمان ١/٢٤٨ والذيل ١/٤٤١

والكتاب من أقدم كتب الأحاجي والألغاز في العربية اوله « بسملة الحمد لله الذي احتجب لافراط نوره ... » وقد عدد فيه طرفا من انواع البديع ، وسرد كثيراً من الألغاز قديمها وحديثها وهو في (٢٠٠) ورقة ورقمه (٢) ادبيات .

(٣٠) فتيا فقيه العرب ، ويسمى أيضاً ، كتاب المسائل

لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن حبيب القزويني الهمذاني اللغوي الأشهر وأستاذ البديع والصاحب بن عباد والخطيب التبريزي المتوفى في الري[1] (— ٣٩٥/٣٩٠) ومن آثاره المهمة الباقية (مقاييس اللغة) ومنه عدة نسخ في خزائن ايران ، و (ذم الخطأ في الشعر) . و (كتاب الثلاثة)[2] .

والكتاب يبحث في بعض المسائل اللغوية المشكلة ونسخته حسنة الخط وعدد أوراقها (١٥) ورقمها (٨٤) أدبيات .

(٣١) آفة أصحاب الحديث

لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري الحنبلي المشهور بابن الجوزي الامام الأشهر صاحب التآليف الجمة القيمة (— ٥٩٧) .

وهو كتاب ذكر فيه طرفاً من أغلاط المحدثين اللغوية وتحريفاتهم ، وله من هذا القبيل كتاب « مختصر تقويم اللسان » ومنه نسخة في خزانة مسجد سپهسالار بطهران .

ورسالة « آفة اصحاب الحديث » من الرسائل الممتعة في بابها اولها « الحمد لله الذي فاوت بين الأفهام والعقول ورزقنا بفضله فهم المنقول والمعقول ... » وآخره « ... ولولا ما قصدته من امانة الحق للمبتدئين لكان الاضراب عن اجابة الجهال أولى » والنسخة مكتوبة بقلم نسخي حسن في (١٩) ورقة وقفها الملا علي گل منشي الاسترابادي ورقمها (٣٤) أخبار .

---

(١) فتشت كثيراً – أثناء اقامتي في طهران – بين القبور المعروفة (في الري) فلم اعثر على قبره .

(٢) انظر بروكلمان ١/ ١٣ والذيل ١/١٩٨ والكنى والألقاب ٢/٢٦٠

(و) الأدب والشعر

(٣٢) سلوان المالك في تدبير الممالك

للشهاب احمد بن محمد بن ابي الربيع الأديب العالم، وكان من رجال الخليفة المعتصم بالله العباسي وله آثار (٢١٨ — ٢٧٢)[1] .

وهو كتاب لطيف ألفه على طريقة التشجير على نمط تقويم الأبدان ، وتقويم البلدان وأوله «الحمد لله الذي خلق الانسان في احسن تقويم وعدله ...» وهو في ثلاثة فصول جمع فيه ضروب الأخلاق والسياسات الخاصة والعامة وقدمه للخليفة المعتصم وآخر النسخة مخروم وهي في (٤٣) ورقة مكتوبة بقلم نسخي وقفها ابن خاتون ورقمها (١) اخلاق . وفي مكتبتي نسخة جد نفيسة من هذا الكتاب حسنة التذهيب والخط .

(٣٣) فحول الشعراء

لأبي تمام الطائي حبيب بن اوس الشاعر الأشهر (١٩٠/٢٣٢ ﻫ) من المعروف ان لأبي تمام : الحماسة المشهورة ، ومختار اشعار القبائل ، وفحولة الشعراء او فحولهم . وقد ذكر هذا الآمدي في الموازنة بين الطائيين .

وفحول الشعراء هذا ديوان في (١٩٣) ورقة سلك فيه مسلك الحماسة فرتبه على الأبواب التالية : باب الاضياف فباب السخاء فباب الأدب فباب المراثي فباب النسيب ثم باب الهجاء .

والنسخة جد نفيسة خطها قديم يرجع الى القرن الخامس . وهذه النسخة هي الفريدة من نوعها فيما يذكر بروكلمان[2] . ولم ار نسخة غيرها فيما اعرف من دور الكتب . ورقمها (٨٣) أدبيات .

(٣٤) الكفاية في علم الكتابة

لعل المؤلف هو كاتب النسخة علي بن عمر بن علي (؟)

---

(١) انظر بروكلمان ١/٢٠٩ والذيل ١/٣٧٢ (٢) انظر بروكلمان

وهي رسالة في آداب الكتابة ومعرفة كيفية كتابة الشروط والسجلات والوثائق والعقود وما اليها . ولم يذكرها صاحب كشف الظنون ولا بروكلمان .

وأولها «الحمد لله الذي قدر المقادير على ما يشاء ....» وهي في (١٠٢) ورقة وقفها الخواجه شير احمد ورقمها (١٠١) أدبيات .

(٣٥) نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

جمع الشريف السيد الرضي (٣٥٩ — ٤٠٦)

الكتاب معروف ومشهور ولكن النسخة نفيسة في خطها وتذهيبها وضبطها وتجليدها . فقد كتبتها يدا قبلة الخطاطين والكتاب ابي الدر ياقوت المستعصمي في سنة ٧٠١ هـ . على ان اهلوارد المستشرق الألماني مؤلف فهرست كتب خزانة برلين يذكر ان في تلك الخزانة نسخة من «مختار جامع الأصول في أحاديث الرسول» كتبها سنة ٦٩٢ . وان ياقوتا مات في سنة ٦٩٨ هـ و ١٢٩٨ م . وفي خزانة المجلس النيابي نسخة من الكافية النحوية لابن الحاجب بقلم ياقوت كتبها سنة ٦٩٠ . وفي خزانة المشهد الرضوي أيضاً مصحف شريف كتبه ياقوت نفسه في سنة ٧٠٤ .

والنسخة مكتوبة بالقلم النسخي البديع ، وعناوين الخطب والرسائل والمواعظ مكتوبة بالقلم الجلي . والأوراق كلها مجدولة بالذهب واللازورد . وفي صدر النسخة لوحتان مذهبتان حسنتا التذهيب وعدد اوراقها (٢٣٩) ورقمها (٢٩١) أخبار .

وفي خزانتنا ثلاث نسخ من النهج احداها قديمة العهد ترجع الى القرن السادس .

(٣٦) تحقيق البيان

للحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الاصفهاني ، صاحب المفردات في غريب القرآن ، والمحاضرات ، والذريعة الى مكارم الشريعة وغيرها من الكتب القيمة (— ٤٥٢)[1] . ولم أر من أشار الى هذا الكتاب فيمن ترجمه .

(١) البيهقي في تاريخ حكماء الاسلام طبعة كرد علي ص ١١٢ ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى ١٨٣/١ والسيوطي في البغية ٢٩٦ وروضات الجنات ٢٩٤ . وبروكلمان الذيل ٥٠٦/١ .

والكتاب فريد وجد نفيس في موضوعه فيه أمور في اللغة والعربية والأخلاق والحكمة ولكن أوله مخروم . يبدأ هكذا « في صوره المختلفة وذلك ظاهر من خبر جبرائيل واتيانه النبي صلى الله عليه وسلم تارة ....» وآخره « ذكر الطريق المتوصل بها الى المعارف . المعارف ضربان ...» .

والنسخة مكتوبة بقلم نسخي في سنة ٦٧٩ هـ وقفها ابن خاتون سنة ١٠٦٧ عدد أوراقها (١٦٩) ورقمها (٥٦) أدبيات .

(٣٧) الحجة في سرقات ابن حجة

لشمس الدين محمد بن حسن بن علي بن عثمان النواجي القاهري الشافعي مؤلف حلبة الكميت والطراز الموشى وغيرهما من الكتب الأدبية (٧٨٥ — ٨٥٩) [1] وكان شاعراً أديباً كثير التأليف .

والكتاب رد فيه على سرقات ابن حجة تقي الدين ابي بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأديب الشاعر صاحب ثمرات الاوراق وغيرها (٧٧٦ — ٨٣٧) . وقد نظم بديعية مدح بها الرسول المصطفى وشرحها في كتاب سماه خزانة الادب ذكر فيه أشياء كثيرة . والنواجي ينتقد في حجته هذه كتاب الخزانة ويبين ما فيه من عوار وسرقات .

والنسخة جد نفيسة بخط المؤلف أولها « الحمد لله الذي امرنا ان نؤدي الأمانات الى أهلها ....» وقد أتم تأليف هذا الكتاب سنة ٨٣٠ في دمياط كما يظهر من آخر النسخة . وهي في (١٣٦) ورقة . وقفتها السيدة تاج ماه بيكم في سنة ١٢٦٢ ورقمها (٢٠) أدبيات .

(٣٨) ربيع الأبرار فيما يسر الخواطر والأفكار

للامام جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (٤٦٧ — ٥٣٨) المدفون بجرجانية خوارزم .

(١) انظر حسن المحاضرة ١/٣٣ والخطط الجديدة ١٧/١٣ والضوء اللامع للسخاوي ٧/٢٢١ وشذرات الذهب ٧/٢٩٥ والبدر الطالع للشوكاني ٢/١٥٦ وبروكلمان ٢/٥٦ والذيل ٢/٥٦

والنسخة قيمة قديمة الخط في مجلد واحد اولها « الحمد لله الذي استحمد الى عباده ....» وآخره « ... فلا يتبقى عقرب حتى تبعته والله سبحانه اعلم .

وقد وقف النسخة الحاج ميرزا موسى خان سنة ١٢٦١ وعدد أوراقها (٤٧٠) ورقمها (٥٣) أدبيات .

(ز) كتب الطب

(٣٩) تقويم الأبدان في تدبير الانسان

لأبي الحسن علي بن يحيي بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي المشهور (— ٤٩٣) الكتاب من أشهر كتب الطب وربما سمي منهاج الدكان في تدبير الأبدان أيضاً . والنسخة نفيسة جداً كتبت في سنة ٧٣١ واولها « الحمد لله الذي خلق فسوى ....» وهي على شكل جداول في (١٠٠) ورقة وقفها الملك نادرشاه افشار ورقمها (٢٥) طب .

وفي خزانتي نسخة قيمة قديمة من هذا الكتاب .

(٤٠) التعاليم في الطب

لحمد بن علي بن عبد الله بن احمد المصري المشهور بزين العرب المتطبب — (؟) والكتاب مؤلف من اربعة تعاليم (١) في كليات الطب الجزئية العملية والعلمية وهو مقالتان (٢) في الأغذية والأشربة والأدوية المفردة والمركبة (٣) في الأمراض المنخفضة من الرأس الى القدم مع ذكر الأسباب والعلامات والمعالجات (٤) في الأمراض العامة وأسبابها وعلاماتها ومعالجاتها .

وقد تم تأليف الكتاب في مدرسة الأمير شيخو بالقاهرة في احدى وستين وسبعمائة . والنسخة منقولة عن نسخة المؤلف المكتوبة في تلك المدرسة في سنة احدى وسبعين وسبعمائة واولها « الحمد لله القادر المصحح الحكيم ....» وهي في ٢٥٣ ورقة مكتوبة بقلم نسخي عادي ورقمها (٢٦) طب .

(١) انظر بروكلمان ١/١٩٢ والذيل ١/١٢ .

(٤١) شرح الكناش في الطب الذي ألفه جورجيس بن بختيشوع الطبيب الجنديسابوري طبيب ابي جعفر المنصور .

لأبي يزيد صهاربخت احد تلاميذ المؤلف .

والنسخة حسنة قديمة الخط ترجع الى القرن الخامس او السادس . واولها (الحمد لله الذي لم يزل أبدياً بغير بده ...) وهي في ٩٤ ورقة ورقمها (٧٩) طب .

(ح) الموسيقى

(٤٢) الرسالة الفتحية في الموسيقى

لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي

رسالة لطيفة ألفها للسلطان بايزيد بن محمد خان العثماني . وهي مؤلفة من مقدمة وطرفين وأولها « الحمد لله الذي أذاقنا حلاوة الحان عنادل ورد جماله .... » وآخرها « ... وان كان بالعكس يسمى قبل . تمت الرسالة الفتحية وهي مكتوبة بقلم مصطفى المكي في سنة ٩٥٧ ولعلها مكتوبة في عصر المؤلف عدد أوراقها ١٣٧ ورقمها (١٤٢) رياضي .

اسعد طلس

مجموع خطي

دخل هذا المجموع في خزانتنا سنة ١٩٣٩ ، وقد اقتنيناه في بغداد من بعض باعة الكتب ، وهو صغير الحجم ، يبلغ طوله ٥و١٥ سنتمتراً بعرض ٩ سنتمترات ويتألف من ٨٨ ورقة ، ويختلف أسطر صحائفه بين ١٢ و ١٧ سطراً ، وخطه مختلف ، فيه النسخي وفيه التعليق ، وهذا وصف الرسائل التي يضمها بين دفتيه :

١ — رسالة في النقود والموازين والمكاييل

(الورقة ١ — ٣٠) ، لا نعلم مؤلفها ، فإن أولها مخروم ، ربما سقط منه ورقتان أو ثلاث ، وتتألف الرسالة من اثني عشر باباً ، وثلاثين فصلاً ، وخاتمة ، وهذه عناوين الموجود منها :

الباب الثاني : في بيان صاع النبي (ﷺ) .
〃 الثالث : في الصاع المشهور .
〃 الرابع : في بيان المُدّ .
〃 الخامس : في بيان الرطل العراقي .
〃 السادس : في بيان الرطل المدني .
〃 السابع : في بيان الوَسق .
〃 الثامن : في بيان أول نصاب الغلات .
〃 التاسع : في بيان نصاب الذهب وما يجب فيه .
〃 العاشر : في بيان نصاب الفضة وما يجب فيها .
〃 الحادي عشر : في بيان الدرهم الشرعي .
〃 الثاني عشر : في بيان الدرهم البغلي والطبري والمثقال الشرعي .

وهنا يتحوّل من « الأبواب » الى « الفصول » ، وهذا بيانها :

الفصل الأول : في قدر الطسّوج .
« الثاني : في قدر الحبة .
« الثالث : في قدر القيراط .
« الرابع : في قدر الحمصة .
« الخامس : في قدر الدانق .
« السادس : في قدر الدرهم الطبري .
« السابع : في قدر الدرهم الشرعي .
« الثامن : في قدر الدرهم البغلي .
« التاسع : في قدر المثقال الشرعي .
« العاشر : في قدر المثقال الصيرفي المشهور بين عامة الناس .
« الحادي عشر : في قدر الرطل العراقي المستعمل عند الفقهاء .
« الثاني عشر : في قدر الرطل الطبي .
« الثالث عشر : في قدر الرطل المدني .
« الرابع عشر : في قدر المنّ الذي قد يستعمله الأطباء .
« الخامس عشر : في قدر الأوقية عند أهل الشرع .
« السادس عشر : في قدر الأوقية عند الأطباء .
« السابع عشر : في قدر المدّ .
« الثامن عشر : في قدر المدّ على ما وقع في صاع النبي (صلى الله عليه وسلم) .
« التاسع عشر : في قدر الصاع المشهور .
« العشرون : في قدر صاع النبي (صلى الله عليه وسلم) .
« الحادي والعشرون : في قدر الكرّ .
« الثاني والعشرون : في قدر الوسق .

الفصل الثالث والعشرون : في قدر أول نصاب الغلات .

« الرابع والعشرون : في قدر أول نصاب الذهب .

هنا نقص يبدأ بأواخر الفصل الرابع والعشرين ، وينتهي بأواخر الفصل الثامن والعشرين فيكون الساقط من المخطوط زهاء أربعة فصول .

الفصل التاسع والعشرون : في قدر الدينار الذي يستعمله في بلدة اصفهان أهل الحرفة .

« الثلاثون : في تحويل الدراهم والمثاقيل بعضها الى بعض .

الخاتمة ، يليها خمسة جداول تتضمن خلاصة ما سلف من الكتاب .

وهذه الرسالة مكتوبة بخط نسخي على ورق هش ضارب الى الصفرة . وهي غير مؤرخة ، بيد ان حالها تنبئ بكونها مكتوبة في المائة الثانية عشرة للهجرة .

٢ — نسيم السَّحَر

(الورقة ٣١ — ٣٦) . وهو مختصر في فقه اللغة ، كُتب تحت عنوانه انه لأبي منصور الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ — ١٠٣٧ م) . ولم يرد ذكر هذا الكتاب في كشف الظنون لحاج خليفة ، ولا في الذيل عليه لاسماعيل باشا البغدادي . كما أننا لم نجد بين مَن ترجم للثعالبي ، من قدماء ومحدثين ، مَن ذكر هذا الكتاب بين مؤلفاته [١] .

وفي خزانة برلين نسخة من هذا الكتاب [٢] ، ولكنها منسوبة فيه الى « ابي منصور النعاني » . ولا نعلم من أمر هذا « النعاني » شيئاً . وكأنه تصحيف « الثعالبي » .

---

(١) أنظر مثلاً : وفيات الأعيان لابن خلكان ، ونزهة الألباء للأنباري ، ودائرة المعارف الإسلامية (مادة الثعالبي) ، وبروكلمان في تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) Ahlwardt, Verseichniss der Arabischen Handschriften zu Berlin. (Bd. 6, p. 283; N° 7034).

ومن هذا الكتاب نسخة أخرى في خزانة الفاتيكان [1]، وهي منسوبة أيضاً الى أبي منصور النعالبي •

وأشار الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف، في مقال له بعنوان « من نفائس الخزانة التيمورية » [2]، الى وجود نسخة من هذا الكتاب في تلك الخزانة، لم يعيّن فيها اسم مؤلفها •

أوله : « أما بعد حمد الله الذي هو أول القرآن وآخر دعوة أهل الجنان ••• » وهذه محتوياته :

في التنزيل والتمثيل عن ثقات الأئمة • في أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها • في تقسيم الجودة • في تقسيم الطول • في تقسيم الأين • الشدة [3] • الكثرة • القلة • السعة • الطراوة • القِدَم • خيار الأشياء • الخلوص • ما لا خير فيه من الأشياء الرديئة والفضالات والأثفال • الملاء • الخلاء • البياض على ما يوصف به • السواد • السواد والبياض • في تقسيم الأشياء على اليد • الأنوف • الشفاه • العَضّ • الصدر • الثدي • الأظفار • الذكور • النكاح • الأنائة • ما يخرج من الحيوان • الجلود • البَيض • الروائح الكريهة • التغيّر والفساد • القتل • حركات الانسان من غير تحريكه • ما تُحرَّك به الأشياء • الاشارات • المشي على ضروب الحيوان • الوثب • عدو الفرس • سير الإبل • الضرب بأشياء مختلفة • الرمي بأشياء مختلفة • الأصوات • الأصوات ما سوى الحيوان • القَطْع في أشياء مختلفة • القِطَع وتفصيلها • الشَقّ • التشقيق • الخُرب • الكسر • النسج • الخياطة • الخيوط • فيما يشد به أشياء مختلفة • في السرير إذا كان للملك • في الحبْل • في تفصيل جماعات شتى • في ترتيب

(١) Della Vida, Elenco dei Manoscritti Arabi Islamici della Biblioteca Vaticana. (p. 179 ; N° II 77).

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي (٣ [١٩٢٣] ص ٣٤٠).

(٣) اقتصرنا على لفظة « الشدة »، وهي في المخطوط « في تقسيم الشدة ». وفعلنا مثل هذا في سائر التقاسيم •

المطر • في خروج الماء من أماكنه وسيلانه • في ضروب الأمكنة • في تقسيم الحُرة والشقرة • في ترتيب الأنهار • في تقسيم بيوت العرب وتفصيلها •

٣ — رسالة صغيرة في المثلثات اللغوية :

(الورقة ٣٦ ب — ٣٧ أ) • قال واضعها بعد البسملة : « الأَل والأُل والإِل • فأما الأَول بالفتح فالبريق ••• » •

٤ — مثلثات قُطرُب :

(الورقة ٣٧ — ٤١ أ) • وقطرب هو محمد بن المستنير النحوي اللغوي البصري ، المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) • وأمرها مشهور بين الأدباء ، وقد طُبعت غير مرة •

٥ — ما تلحن فيه العوام :

(الورقة ٤١ — ٤٦ أ) • لعلي بن حمزة الكسائي النحوي اللغوي المتوفى سنة ١٨٩ هـ (٨٠٤ م) • وقد وضعه لهرون الرشيد • وهذه الرسالة طبعها بروكلمن في برسلو سنة ١٨٩٨ •

كُتبت هذه النسخة في سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) ، وخطها يشبه خط الرسائل الثلاث التي تقدمتها •

٦ — أسامي الكتب الطبية مع مصنفيها وأسامي شرّاح القانون :

(الورقة ٤٦ ب — ٤٧ أ) • لا نعلم مَن جمعها • ونظراً الى ما في إيراد أسماء هذه الكتب من فائدة ، فاننا ننقلها هاهنا كما وردت في الرسالة ، مع حذف بعض النعوت التي نُعت بها المؤلفون • وأغلب الكتب المذكورة فيها لم يُطبع ، وفيها جملة لا نعلم من أمرها شيئاً •

كامل الصناعة الطبية : لعلي بن العباس المجوسي الفارسي ، تلميذ أبي ماهر موسى بن سيار •

المختار في الطب : لابن هبل ، تلميذ ابي البركات البغدادي •

ما لا يسع الطبيب جهله : ليوسف بن اسمعيل بن الياس الجويني [1] المعروف بابن الكتبي [2] الشافعي •

شرح الكليات المسمى بالتحفة السعدية : لقطب الحق والدين محمود بن ضياء الدين مسعود بن المصلح الشيرازي المعروف بالقطب الشيرازي وهو كازروني الأصل •

نفائس الفنون : لمحمد بن محمود الأعلمي ، شارح الكليات •

الحاوي الصغير : لنجم الدين محمود بن صائن الدين السعيد الشهيد الياس الشيرازي • وله رسالة وجيزة فارسية جيدة جداً في الطب ، وكذا رسالة غريبة [3] في تشريح الأعضاء المفردة والمركبة •

أقرابادين القلانسي : لمحمد بن بهرام القلانسي •

الغنى والمنى : لأبي منصور الحسن بن نوح القمري •

العمدة : للمسيحي بن القف •

كتاب المائة : لأبي سهل يحيى بن عيسى المسيحي • وكذلك : خلق الانسان •

فردوس الحكمة : لعلي بن ربن الطبري •

بستان الأطباء : لابن مطران •

دعوة الأطباء : لأبي الحسن بن بطلان •

لقط المنافع : لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي •

ترويح الأرواح ، والتلويح : لفخر الدين الخجندي •

شرح فصول ابقراط : لعبد الرحمن بن علي بن أبي صادق ، مصنف كتاب مخبة العلاج •

---

(١) كذا ما في المخطوط . والذي في كشف الظنون « الخوبّي » وهو الوجه •

(٢) في كشف الظنون : ابن الكبير . والوجه ما في أعلاه •

(٣) لعلها : عربية •

زاد المسافر : لأحمد بن ابراهيم بن خالد .

الكفاية المنصورية : لمنصور بن محمد بن احمد بن يوسف بن الياس .

الموجز : لأبي الحسن علاء الدين علي بن ابي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس الملقب بجالينوس الثاني . وله كتاب مبسوط في فنون الطب كلها سماه بالشامل .

الجامع المالقي : لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن احمد المالقي العشّاب المعروف بابن البيطار المغربي .

شرح الموجز : لجمال الدين محمد المشهور بأقسرائي .

منهاج الأدوية [1] : ليحيى بن عيسى بن جزلة البغدادي .

المعالجات البقراطية : لأبي الحسن أحمد بن محمد الطبري .

كتاب الخمسة : لنجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي .

شرح الموجز : وكذا شرح كتاب الأسباب والعلامات ، وكأنه ليس منها .

من الكتب الخمسة النجيبية السمرقندية : لنفيس بن عوض الطبيب الكرماني أخي مولانا ظافر وتلميذه . وكان ملازماً ليعقوب خان والي تبريز من قِبَل شاهرخ . وجعل شرحه للموجز باسم شاهرخ . ومولانا ظافر لفرط ورعه واحتياطه مع انه كان أعلم من أخيه لم يباشر الأمر العلاج .

شرح الموجز المسمى بكتاب المغني في شرح الموجز : لسديد الملة والدين الكازروني .

الحاوي الكبير ، والمنصوري ، والمرشد ، وتقاسيم العلل ، والتجارب ، وكتاب مَن لا يحضره الطبيب ، وكتاب الأغذية والأدوية الموجودة في كل مكان ، ورسالة الأبدان ، وفي القولنج ، وفي الباه ، وفي الفصد : لمحمد بن زكريا الرازي .

شرح مباحث تشريح الأعضاء المفردة والمركبة من كتاب القانون : لمحمود ابن مسعود بن محمود الملقب بعماد الدين الشيرازي وهو من أولاد حارث بن كلدة طبيب النبي (ﷺ) فيما يؤثر .

(١) هو « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » لابن جزلة . وهو غير مطبوع . ومنه نسخ شتى في كثير من خزائن الكتب .

رسالة في الفصد : لأمين الدولة أبي الحسن هبة الله بن صاعد بن ابراهيم المعروف بابن التلميذ .

إيضاح محجة العلاج : لطاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجزي .

طب المساكين : لأحمد بن ابراهيم .

تقويم الأبدان : لصاحب كتاب منهاج البيان [1] .

حدود الأمراض : جمع أبي المجد الطبيب .

يلي ذلك : أسامي شرّاح القانون ، وهم :

الامام فخر الدين الرازي . عز الدين الرازي . قطب الدين المصري . أفضل الدين محمد الخونجي . رفيع الدين عبد العزيز بن عبد [... ؟] . نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد النخجواني . القرشي صاحب الموجز المعروف بابن النفيس يعقوب بن اسحق [... ؟] الطبيب بمصر . يعقوب بن اسحق الطبيب المسيحي المعروف بابن القف . هبة الله بن جميع اليهودي المصري . قطب الدين الشيرازي . الآملي . الحكيم عماد الدين محمود الشيرازي . حكيم علي الجيلاني . سديد الدين الكازروني .

٧ — رسالة في علم الحساب :

(الورقة ٤٧ ب — ٧٤) . بالفارسية . وفي آخرها مقالة في علم المساحة .

٨ — جواهر نامه :

(الورقة ٧٤ ب — ٨٢ أ) . وهو رسالة بالفارسية في علم الجواهر والأحجار ، ولا نعلم مؤلفها .

أولها بعد البسملة : « الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ... » . وهي في اثني عشر باباً ، تناول المؤلف فيها الكلام على : الماس ، الياقوت ،

---

(١) مرّ انه ابن جزلة الطبيب البغدادي .

اللعل (البلخش) ، الزمرد ، اللؤلؤ ، الفيروز ، الباذزهر ، العنبر ، الأشهب ، اللازورد ، المرجان ، العقيق ، اليشب .

والرسائل ذات الأرقام ٦ و ٧ و ٨ في هذا المجموع ، تشبه في خطها خط الرسائل ٢ و ٣ و ٤ و ٥ . بل كأنها مكتوبة بيد واحدة وفي تاريخ واحد . وقد ذكرنا ان الرسالة الخامسة من هذا المجموع ، وهي «ما تلحن فيه العامة» للكسائي ، مكتوبة في سنة ١٠٥٩ هـ . فتكون هذه الرسائل الأخرى المماثلة لها قد كُتبت في نحو ذلك التاريخ .

٩ — تعليقات شتى :

(الورقة ٨٢ ب — ٨٨) . وهي بخطوط مختلفة . فيها أقوال في التصوف والآداب والحكم ومقتبسات من كتاب الكافي ، ومن كتاب الأصول لمحمد بن محمد بن الحسن الطوسي .

* * *

فهذا المجموع ، على صغر حجمه ، جمع بين دفتيه مواضيع شتى متباينة : في النقود والموازين والمكاييل ، واللغة والأدب ، والطب ، والحساب والمساحة ، والجواهر والأحجار ، وغير ذلك .

وفي وجه الورقة ٤٧ ، تملك لأحدهم هذا نصه : «تملك هذا الكتاب ، يوسف بن الحاج يوسف الأزري ، سنة ١٢٠٧» (١٧٩٢ م) . وبيت الأزري من الأسر البغدادية الشهيرة في يومنا هذا .

(بغداد) كوركيس عواد

التعريف والنقد

خزائن الكتب القديمة في العراق

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

كتاب يقع في ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير . طبعته مطبعة المعارف ببغداد . ثمنه خمس مئة فلس . وهو يبحث عن هذه الخزائن « منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة » يقول المؤلف : « وخزائن الكتب القديمة في العراق ، بعضها يرقى الى أزمنة ما قبل الميلاد ، وبعضها يعود الى الفترة التي امتدت بين الميلاد وظهور الاسلام . وبعضها – وهو الأوفر – نشأ في العصور الاسلامية . وأقول بتعبير أدل : نشأ في العصر العباسي وفي ما بعده » .

« وتلك الخزائن ، كان بعضها في القصور الملوكية ، او المعابد القديمة ، او الديارات والكنائس ، او الجوامع والمساجد ، او المدارس والربط ، او البيوت الخاصة . ومن ثمة يمكننا تقسيمها اجمالاً الى نوعين :

الخزائن العامة ... والخزائن الخاصة ... »

ويعرّف المؤلف هذين النوعين . ثم يعقد فصلاً عنوانه « الوراقة والوراقون » وما يتعلق بذلك من النسخ ومن النساخين ومن اشتهر منهم بحسن الخط ، وسرعة الكتابة ، وكثرة النسخ . قال : ونشأ بين النساخ جماعة « فاقوا أقرانهم بتجويد الخط وتحسينه ، والبلوغ به الى أعلى مراتب الاتقان ... هؤلاء هم « الخطاطون » الذين كان يغالي الناس في احراز ما تسطره أناملهم من بدائع الخط ... »

وتكلم المؤلف عن أدوات الكتابة ، وتجليد الكتب ، وما بلغه من اتقان ، وبيع الكتب وشرائها ، ووقف الكتب وما يعرض لها من حرق او احراق ،

وغرق او اغراق ، ومن دفن وغسل حتى « ينحل حبرها وتطمس كتابتها وتشوش معالمها » .

كتب المؤلف كتابه هذا بعبارة فصيحة صحيحة وبإحاطة جامعة وافية . وبدأ بحثه في خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فقال : « وخزائن الكتب العراقية ... وكانت حينذاك مجموعات من المدونات الرسمية ، والنصوص الدينية ، والقطع الأدبية والتاريخية ، وما يتعلق بالحياة اليومية من بيع وشراء وما الى ذلك . كانت هذه المدونات تجمع في مواضع معلومة من المعابد والقصور الملوكية وبعض دور الخاصة . ويطلق عليها « دور السجلات » او « بيت الرُقم » . وكان أمر الثقافة عند البابليين منوطاً بالكهنة ، الذين يستمدون علمهم من « نَبُو » مبتدع الكتابة والرسائل وصنوف أبواب المعرفة ، ... ويشير الى ألواح يرجع تاريخها الى ٢٧٠٠ — ٢١٠٠ قبل الميلاد . وينتهي بخزانة ابن الثروة المتوفى سنة ٧٥٠ هـ = ١٣٤٩ م » .

وفي هذا الكتاب من النكت الأدبية والفوائد العلمية الشيء الكثير . من ذلك ماذكره عن أثر المرأة في العمل العلمي : له وعليه . فقد ذكر في حديثه عن خزانة المدرسة البشيرية ببغداد ، ان هذه المدرسة « أمرت ببنائها حظية الخليفة المستعصم أم ولده ابي ناصر ... وجعلتها وقفاً على المذاهب الأربعة ، على قاعدة المدرسة المستنصرية ، ووقفت عليها وقوفاً كثيرة قبل فراغها ... وكان مما وقفته صاحبة هذه المدرسة ، خزانة كتب يرجع اليها طلاب العلم ... »

وأن المدرسة الزاهدية أسستها الأميرة زاهدة العباسية ... وجعلت فيها خزانة كتب .

ومما يتصل بذلك : أن من الخلفاء من بنى الرباطات ووقف دور الكتب باسم زوجته . وأن من النساء من خدمن في دار العلم منهن : الجارية توفيق السوداء كانت تخرج الكتب الى النساخ .

والى جانب هذه الأعمال العلمية القيمة التي قامت بها المرأة ، ذكر الأستاذ

المؤلف حادثة الخليل بن احمد يوم «اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت : والله لأغيظنّه ! وإن غظته في المال لايبالي ولكني أراه مكبّاً ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنّه به . فأحرقته » .

ومثل ذلك ما نقله المؤلف في « الملاحظات والاستدراكات » من أن الأمير ابن فاتك كان : « محبّاً لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب . فكان في أكثر أوقاته ، اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ... وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من أرباب الدولة . فلما توفي ... نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه : وفي قلبها من الكتب ، وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه ... وترمي الكتب في بركة ماء ... »(١)

وبعد ، فانا نشكر الأستاذ عواد ما عاناه من جهد في اخراج هذا الكتاب القيم .

عارف النكدي

المآصر في بلاد الروم والاسلام

للأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير يقع في تسعين صفحة . طبعته مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٨ طبعاً حسناً . وثمنه مئتا فلس .

والكتاب « دراسات في التاريخ الاقتصادي للدول الاسلامية » قدمه المؤلف الى قرائه بقوله : « كنا نشرنا فصول هذا الكتاب في ستة أجزاء من المقتطف ،

(١) يحضرني في هذه المناسبة ما يشبه هذا ، وان كان الخطب فيه أيسر – لأننا في عهد الطباعة ، ولأن الأمر وقف عند النكتة ولم يتجاوزها الى التحريق أو التفريق أو التغسيل – ذلك انا كنا نحضر دروساً ومذاكرات في الشريعة والقانون كان يلقيها سليم باز – صاحب المؤلفات الشرعية والقانونية المشهورة – ويذاكر بها في بيته . وكان ليلة من الليالي مريضاً ، فدعانا الى غرفته الخاصة ، وبدأ حديثه عن قانون حكام الصلح ، وكان قد صدر حديثاً ، فاذا بزوجته ، تدخل مسرعة وتتناول مجموعة من كتبه تضعها على الفراش ، وتلتفت الينا فتقول : أتظنون اني متزوجة رجلاً ؟ لا ! انى متزوجة هذه الكتب .

ظهرت في سنة ١٩٤٤ و سنة ١٩٤٥ . ثم عدنا الى هذه الفصول بعد نشرها، بالزيادة والتهذيب فقام من ذلك هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء .

يتناول هذا البحث أموراً خطيرة الشأن في التاريخ الاسلامي : فهو يبحث في تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الأدنى، وشمالي افريقية .

وتتجلى فيه صفحة مجيدة من تاريخ الأسطول الاسلامي .

ويعطف على أبحاث تمت بصلة وثيقة الى الضرائب والعشور في العصور الاسلامية .

ثم ان هذا الكتاب ، الى ذلك كله ، بحث في الحروب الصليبية ، وفي الفتوحات الاسلامية .

لقد استندنا في كتابة هذا الموضوع الى اوثق المصادر وأصدقها فلم نورد قولاً ما لم ندعمه بسند تاريخي » .

واذا كان الأستاذ عواد قد أحسن في جمع كتاب « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » وتهذيبه فهو قد أحسن أيضاً في وضع هذا الكتاب « المآصر » وترتيبه . فجاء دراسةً اقتصاديةً تاريخية ممتعة أتمت نقصاً كان في دور الكتب العربية ما كان ينبغي ان يكون . عرف المؤلف « المأصِر » لغةً بانه : « الحبس » . « عقد الشيء » « حبسه بقهره » . وانه اصطلاحاً « محبس السفينة » و « مركز الضرائب » وأشار الى ما نبه اليه الحريري من قولهم : « المأصِر بفتح الصاد والصواب كسرها ، لأن معناه : الموضع الحابس للمار عليه ، العاطف للمجتاز به . . . . » ثم تناوله من وجهة تاريخية : من ذكره من المؤرخين والجغرافيين ، وأول من استعمله منهم ، ومواضع استعماله . ثم أشار اليه من وجهة أدبية ، وما جاء من ذكره في الشعر . ثم من الوجهة الادارية والسياسية .

وينطوي هذا الكتاب على فوائد أدبية ، ونوادر تاريخية ، فيها كثير من العبرة والعظة لمن يتعظ أو يعتبر .

جاء في الصفحة الـ ١٦ : « جلس العبادي بجامع السلطان ، وحضر السلطان

عنده . فوعظه وذكر ما يجري على المسلمين من الظلم ثم قال: يا سلطان! أنت تهب في ليلةٍ لمطرب مثل هذا المأخوذ من الناس — يريد المكوس في الأسواق — فاجعلني ذلك المطرب، واجعل ذلك شكراً لما أنعم الله عليك . فأشار بيده قد فعلت» . قلنا: حبذا لو كان في هذه الأمة اليوم من يقول لصاحب السلطان وهو يبذر الأموال بالملايين، نعم بالملايين! على الحفلات الساخرة، والاستقبالات الهازلة، اجعل هذا الوطن ذلك الزائر السخيف، وانفق بعض ما تنفقه عليه في سبيل الاصلاح والاعمار ...

ومن ذلك: ما روي في غير موضع من هذا الكتاب من ان الملك العادل، بلغه وهو ببرج الصفر، ان الفرنج ملكوا (برج السلسلة) بمصر . فتأوه لذلك تأوهاً شديداً، ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ومرض من ساعته مرض الموت» . قرأت هذا، والتفت الى صديق كان الى جانبي فقلت له: هذه فلسطين تذهب من يد العرب والمسلمين وذهابها أشد خطراً عليها من (برج السلسلة) . وليس في رجال العرب المسؤولين من يدق بيده على صدره ويموت من ألمه ؟ .... فابتسم الي ابتسامة المتوجع وقال: لقد ماتوا ... والانسان لا يموت مرتين ...

جمع هذا الكتاب بين العبارة الفصيحة والأسلوب البليغ . واستعمل مؤلفه فيه الألفاظ التي كانت يستعملها العرب أنفسهم . استعمل أكثر ما استعمل (بحر الشام) لما أصبح يطلق عليه بعد الترك (البحر الأبيض المتوسط) أو (بحر الروم) واستعمل (العشّار) (والمكّاس) لصاحبي العشر والمكس؛ الى غير ذلك من الألفاظ التي يجب ان تبعث في عصرنا هذا . ومن حسنات الكتاب انه ذكر السنة الميلادية الى جانب السنة الهجرية .

غير انه صرف (ياقوت) فقال: (ان ياقوتاً) . واستعمل (الذعار) لأهل الفساد بالذال المعجمة، ولعل الصواب بالدال المهملة . وقال في بعض القرى

أو المدن الصغيرة (بُليد) ولعل استعمال (البليدة) كما استعملها أحياناً أدق وأفصح . وأسقط الهمزة من (ابن) في أول السطر ، وهو مخالف لما عليه المدققون أمثاله .

هذا ، وجزى الله الأستاذ عن أمته ولغته خير الجزاء .

ع . ن

أقسام ضائعة من كتاب

تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

جمعها الأستاذ ميخائيل عواد

كتاب من القطع الكبير . في مئة صفحة . ثمنه مئتا فلس . طبعته مطبعة المعارف ببغداد فأجادت طبعه . الف هذا الكتاب هلال الصابئ ، وجمع هذه الأقسام الضائعة الأستاذ ميخائيل عواد ، وعلق عليها حواشي دقيقة قيمة . وقدم لها بمقدمة رائعة ترجم فيها المؤلف ترجمة وافية : ذكر مولده ووفاته ونسبه ومؤلفاته وما يتصل به . وعناية الأستاذ عواد من تدقيق وتمحيص ، ظاهرة في كل صفحة من صفحات الكتاب ، مما يشكره عليه كل عربي محب للغته غيور عليها ، وعلى نشر كنوزها العلمية الدفينة .

وقد بدت لنا ونحن نطالع هذا الكتاب أشياء أحببنا ان نلفت اليها نظر الأستاذ . من ذلك البيتان اللذان رواهما لأبي الفرج الاصفهاني . وأولهما :

ابعين مفتقر اليك رأيتني بعد الغفل (كذا) فرميت بي من حالق

ولم نستبن لهذه «الغفل» معنى في هذا الموضع ، ولا هي مما يستقيم معها وزن البيت[1] .

وفي الصفحة الـ ٤٦ : « فقال لي متبادراً على نفسه .. » ولعلها « متنادراً » .

---

(١) كان الشيخ ابراهيم اليازجي أشار الى هذين البيتين في شرح ديوان المتنبي وقال : انهما في جملة ما ينسب اليه ، وروى البيت الأول :

أبعين مفتقر اليك نظرتني فأهنتني وقذفتني من حالق

وعلق على ذلك بقوله : « ولعل الرواية الصحيحة مفتقر اليه بضمير الغائب ، اي بعين رجل مفتقر اليه والهاء نائب مفتقر »

ونرى أن المعنى صحيح وواحد في اللفظين « اليه واليك » .

وفي الصفحة الـ ٤٧ : « فاستسرف ذلك فعله استسرافاً بلغه » وهي جملة قلقة لا يستقيم معناها الا بحذف « ذلك » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه » أو بحذف « فعله » فيقال : « فاستسرف ذلك استسرافاً بلغه » او بان يكون « فعله » مما أخطأ به الناسخ وصوابها « منه » فيكون الأصل : « فاستسرف ذلك منه .. »

وفي الصفحة الـ ٤٨

رأيت في الوجه طاقة بقيت سوداء عيني تحب رؤيتها
فقلت للبيض إذ تروعها بالله الا (ما) رحمت غربتها

و « ما » هنا زائدة زيادة اخلت بوزن العجز في البيت الثاني والصواب :

« بالله الاّ رحمت غربتها »

وفي الصفحة الـ ٥٤

وليست باولى بدعة لك في الندى لها موقف الحمد ينشر

وعجز البيت غير مستقيم وزنه . ولعل الأصل

لها موقف في الحمد والحمد ينشر

على ضعف في المعنى ...

وفي الصفحة الـ ٦٤ :

فلو ان عيني راهنت بدموعها يمناك بالسقيا لفزت بخصلها

والصواب (لفزت) وهو غلط مطبعي ظاهر

وفي بعض الصفحات ابيات نابية جداً كان أجمل لو أنها حذفت

والى جانب الاعجاب بادب المؤلف ، وبفضل الجامع ؛ يأسف المطالع انه لا يجد في سيرة هؤلاء الوزراء عملاً اصلاحياً ، ولا عمرانياً ، ولا حرصاً على مصلحة عامة او ما يتصل بها ؛ وانما هم جماعة همهم الأكل والشرب ، ونهب الأموال ، كأكثر وزراء العرب في هذا اليوم حذوك النعل بالنعل . وهبوط العرب ، وضياع ملكهم كان نتيجة محتمة لهاتيك السياسة . واذا كان العقل كما يقول العرب : معرفة ما يكون بما قد كان ، فسيكون غد العرب شراً من يومهم ، ومن يعش يره .

ع . ن

معنى النكبة

للأستاذ قسطنطين زريق

كتيب من القطع الصغير ، يقع في تسعين صفحة . طبعته (دار العلم للملايين) في مطبعة الكشاف ببيروت . ثمنه ليرة سورية لبنانية . لقد وفق الأستاذ زريق في كتابه هذا كل التوفيق ، من اسمه الى آخر كلمة فيه . سمى كتابه (معنى النكبة) فدل بهذه التسمية (النكبة) يطلقها غير مقيدة ، على انها النكبة العظمى التي ليس بعدها نكبة . وهل بعد نكبة فلسطين من نكبة على العرب . وهي المقدمة التي سيكون من نتائجها على العرب — اذا ظلوا آلةً بيد ملوكهم وأمرائهم ورؤسائهم — ان يسلبوا ديارهم وأوطانهم ، و كل ما يملكون من كرائم في هذه الحياة .

من عادتي ان انقل من كل كتاب انقده جزءاً منه ، اعرضه مثالاً للكتاب . واعترف اني في (معنى النكبة) لم أدرِ ما أختار ، فموضوعاته كالحلقة المفرغة ، متصلة متماسكة ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، ولا يغني جزء منها عن جزء .

فعلى كل عربي ، ان يتدارس هذا الكتاب اذا اراد ان يعرف حاضره وما يخبئه له مستقبله ، وان يعمل بما فيه اذا أراد الحياة الكريمة له ولوطنه .

واني لأشكر للأستاذ زريق فضله في اخراج هذا الكتاب الذي أوحاه اليه فكر نيّر ، وقلب معمور بالايمان .

ع . ن

محاضرات نقابة المحامين في حلب

في السنة القضائية (١٩٤٧ الى ١٩٤٨)

وهي المجموعة الثالثة التي تصدرها نقابة المحامين بحلب . صفحاتها قرابة ثلاث مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير . وتشمل ثماني محاضرات : قواعد الاثبات العامة

للأستاذ مظلوم — والاثبات بالرسائل والأوراق غير الموقعة والسند المؤيد والأوراق الخفية للأستاذ زمريا — وانكار التوقيع والادعاء بالتزوير للأستاذ الشعباني — والاثبات في المواد التجارية الأستاذ جبارة — والشهادة للأستاذ الزين — وسر المهنة في الشهادة للأستاذ الترمانيني — والاستجواب وطلب الاسناد للاستاذ عبد الله — وتنازع القوانين في الزمان للأستاذ اسيون ٠

وهذه الموضوعات كلها قيمة تشتد الحاجة الى تفهمها ومدارستها ٠ وقد كتبت بلغة صحيحة سائغة ٠

وصُدِّرت هذه المجموعة ، بالمذكرة الايضاحية لقانون البينات ، وهي مذكرة موفقة أسلوباً و موضوعاً ، نظَّمها الأستاذ الكوراني الامين العام لوزارة العدلية ٠ وقد أشار الأستاذ في بعض المواطن الى ما يتصل بالشريعة الاسلامية من هذا القانون ، تلطيفاً له في النفوس ، وتقريباً بينه وبين عرفنا الشرعي وتقاليدنا الموروثة ٠ وحبذا لو انه أشار الى هذه الصلة حيث تكون ٠ مثلاً اليمين التي دعوها (المتممة) ، وتحليف المدعي اليمين هما مما أجازه الشرع ونص عليه كثير من الفقهاء ، فالاشارة اليه والى أمثاله فيه تنويه بالشريعة السمحة الغراء ، وتمتين للصلة بينها وبين هذا القانون ٠

ويجيء بعد هذه المذكرة ، (قانون البينات) وهو قانون صالح مفيد ، والعمل به موافق لمقتضيات الزمان وحاجاته ٠ وان كان هذا القانون لم يخلُ من نواقص يمكن ان تتدارك مع الزمن ٠

ونستعير هنا بعض ما جاء في المذكرة الايضاحية لبيان بعض مزايا هذا القانون الذي لا نرى بدأ من الكلام فيه ، بعد ان ضمته هذه المجموعة ٠

أولاً : — الثقة بالقاضي

ثانياً : — الحؤول دون المطل والتسويف في فصل الخصومات ٠

ثالثاً : — الأخذ بما تعارف عليه الناس في حياتهم وتعاملوا به

قلنا : بقي أن يثق القضاة هم أنفسهم بأنفسهم فعلاً ، وان يطبقوا هذا القانون تطبيقاً يحول دون المطل والتسويف ، ويكفل للناس حقوقهم بما تعارفوا عليه • وان يسموا عن أن يتأثروا بمداخلة مهما كان مصدرها • فالقوانين — على ما قلنا غير مرة — جوفاء لا قيمة لها الا على قدر ما للعاملين بها من قيمة •

وهذا القانون بادية عليه العناية بحوكه وصياغته ، على ما فيه من مآخذ وهفوات كان يمكن ان لا تكون • فالأمم حريصة على أن تكون لغة قوانينها ناصعة جامعة مانعة ، وقد كنا كذلك في أمسنا ، فعسى ان نعود الى ما كنا عليه ، في غدنا •

ولا نرى بدأ من شكر الأمين العام والأساتذة المحاضرين على هذه المجموعة القيمة التي نرجو ان يكون لهم مثلها في كل عام •

ع • ن

الاجتهاد في الشريعة الاسلامية

اطروحة وضعها باللغة الافرنسية الأستاذ محمد معروف الدواليبي العليم في الحقوق ، والمجاز بالحقوق الرومانية من جامعة باريز • وحامل شهادة مدرسة العلوم الاسلامية بحلب • تقع الرسالة في مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير •

قدم لهذه الأطروحة الأستاذ (لويس ماسينيون) بمقدمة جاء فيها ما معناه :

« •••• وأراد المؤلف ان ينقض الرأي الشائع في الغرب من ان الشريعة الاسلامية لا تتسع طبيعتها لمطالب العصر الحاضر • لذلك بدأ بالمصدر الرابع من مصادر الشريعة ، وهو الاجتهاد ، العلم الذي تقوم عليه الشريعة أو أصول الفقه » •

ويثني الأستاذ ماسينيون على نشاط الأستاذ المؤلف واخلاصه للموضوع الذي يدافع عنه ، والروح الاجتهادية التي كان يستمد منها رجال الشريعة المسلمون » •

يمهد المؤلف لأطروحته بتوطئة يبين فيها : كيف اختار موضوعه ـ ومعنى الاجتهاد الذي يرمي اليه في بحثه • ويتناول في جملة ما يتناوله من الأبحاث : روح الاسلام ـ الاجتهاد في العصر الأول (عصر الصحابة) ثم في العصر الثاني

(وهو عصر أئمة الاسلام اي المجتهدين) وما كانت عليه بلاد العرب يوم ظهور الاسلام ، وما كان يتنازعها من عقائد ، ويستشهد بكلمة قالها (مونته Montet) وهي (كان العرب يوم جاء محمد في حالة من الانحطاط الديني والأخلاقي تتطلب مصلحاً كبيراً) .

ويشرح المؤلف معنى الاسلام ، واهدافه ، وعلاقة الانسان بخالقه ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ، وما يتفرع عن ذلك من الحقوق الخاصة ، والحقوق العامة التي جاء بها الاسلام وأمر بها نبيه وأقرتها صحابته . من : استثمار الخراج ، والحجر الصحي ، واقامة رباطات على الطرقات العامـة ، وفرض ضرائب تنفق على المحاويج والعبيد ، واقرار المساواة والعدالة ، وعقد المعاهدات . وخص فصلاً بالقرآن : تعريفه ، وموضوعه ، واسلوبه . ثم تكلم عن السنة ، والاجماع ، والاجتهاد وعليه مدار البحث .

كل ذلك مكتوب بلغة افرنسية صحيحة واضحة . وقد استعمل عنواناً لكتابه « الحقوق الاسلامية » بدلاً من « الشريعة الاسلامية » وهو ماخفي علينا السبب فيه .

ع . ن

المدخل الى الحقوق الرومانية

للدكتور الدواليبي أيضاً

وهي محاضرات القاها المؤلف في كلية الحقوق بالجامعة السورية (تعرّف الحقوق الرومانية أولاً ، وتشير الى سمو الشرائع الشرقية القديمة ثانياً ، وخاصة منها ما كان في سوريا ومصر . ثم تناقش بصورة علمية آراء القائلين بتأثير الحقوق الرومانية في الحقوق الاسلامية) وجاء بحجج دامغة تؤيد ما ذهب اليه .

فنشكر للمؤلف الفاضل جهوده الموفقة وأبحاثه العلمية الناضجة . أكثر الله من أمثاله العالمين العاملين .

ع . ن

رحلتا مراكشيين عظيمين الى اسبانيا

(**الرحلة الاولى**) عنوانها (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) تأليف محمد بن عبد الوهاب الغسّاني وزير مولاي اسماعيل ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثاني ملك اسبانيا (١١٠٢ هـ ١٦٩٠ م) طبعت في مدينة العرائش بالمغرب سنة ١٩٤٠ م .

(**الرحلة الثانية**) عنوانها (نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد) تأليف احمد بن المهدي الغزّال كاتب أسرار مولاي محمد بن عبد الله ملك مراكش وسفيره الى كارلص الثالث ملك اسبانيا (سنة ١١٧٩ هـ ١٧٥٦ م) وقد طبعت بالعرائش أيضاً سنة ١٩٤١ م .

فالرحلة الثانية وقعت بعد الأولى بنحو ٧٧ سنة والغرض من كلتيهما واحد وهو فكاك الأسرى المراكشيين الموجودين في اسبانيا ويضاف الى ذلك تحسين علائق الجوار بين المملكتين واطلاع كل منهما على ما عند الأخرى مما يهمها أمره . ولم تخلُ الرحلتان ولا سيما الثانية من غرض علمي شريف : وهو جلب ما في مكاتب اسبانيا ومكتبة الاسكوريال خاصة من الكتب الدينية الاسلامية التي يهم المسلمين أمرها ويخشى عليها الضياع أو البلى من تقادم الزمن .

والرحلتان او الكتابان مما أصدرته مؤسسة الجنرال فرانكو (ديكتاتور اسبانيا في عهدنا هذا) فان حكومته أخذت تتأسى ببقية الدول الاستعمارية في بث الدعايات واصدار النشريات باللغتين الاسبانية والعربية وارسالها الى الشرق العربي . ومن ذلك بعث المخطوطات العربية من مراقدها في اسبانيا والمغرب وطبعها في مدينة تطوان وترجمتها الى الاسبانية يساعدها على هذا العمل الرفيع الشأن أديب لبناني فاضل هو (الفريد البستاني) استاذ الآداب العربية فيمدرسة تطوان . والرحلتان المذكورتان من جملة منشورات مؤسسة الجنرال فرنكو بعناية الأستاذ الفريد المذكور .

ورحلة (الوزير الغساني) لا أثر فيها للكلفة لا من حيث الطبع والتنسيق ولا من حيث الأناقة والتعليق بخلاف الثانية رحلة (الكاتب الغزّال) فان تكلف

العناية بها بلغت حدها الأقصى ولا سيما ما تخللها من التزاويق والصور والرسوم التاريخية : الأندلسية القديمة والاسبانية الحديثة · ولعل السبب في ذلك ان ناشر الكتابين لم يكن راضياً أو لم يكن على وفاق في المنزع مع الوزير الغساني · فان هذا الوزير تعرض في رحلته الى مسائل تتعلق بالطقوس المسيحية واوسعها تعليلاً وتحليلاً لا يتفق مع الواقع في رأي الناشر : مثل حالة الرهبان والرواهب في الأديار وسرد الأسباب التي تحملهم على الترهب : من ذلك أن أحد عظماء الاسبانيول خاف على فتاته الحسناء من الوسط الاجتماعي فأدخلها الدير ريثما يخطبها خاطب فتنجو بعفتها وكرامة أبيها · وكذلك تعرض الوزير للتقاليد الكنسية والتراتيب البابوية لامزاً غامزاً ووصف المستشفيات من حيث علاقتها بالرهبان وتوسع في تاريخ فتح العرب لاسبانيا وفي تاريخها السياسي وتعاقب أسرها المالكة ووصف حركة البيع والشراء في الأسواق وأصناف البضائع وما يجلب اليها من القرى وتعرض للبريد وناقله وسماه الرقّاص وقال إن الرقاقيص يأتون بالرسائل والبراوات وقد أراد بالبراوات البرا آت وهي الرسائل في غالب الظن وذكر الكاسيطة (اي الغزيتة يعني الجريدة) التي تطبع يومئذ في مدريد قال (يجمعون الأخبار ويفرغون عليها قالباً للكتابة فيطبع عليها آلاف من القراطيس ويبيعونها) · وتعرض لذكر الارث وكيف يتوارث أشراف الاسبان في أموالهم وألقابهم · وبالجملة فان (الوزير الغساني) في رحلته كان يصف البلاد من نواحيها التاريخية والسياسية والادارية لأن هموم نفسه في وزارته كذلك أما الكاتب الغزال فقد وصف بلاد اسبانيا من ناحية جمالها العمراني ومن حيث براعة أهلها في زراعتها وصناعتها وأبنيتها وتنظيم هيأة الاجتماع البادي حسنه في منازهها وحفلاتها ومجتمع عائلاتها · وصف لنا كل ذلك وصفاً شعرياً وأحياناً يلقي عليه من بيانه روعة خيالية محببة الى النفس بحيث يجعل المرء يحكم بان اسبانيا كانت بحق سيدة اوروبا مدنيةً وحضارة ورقياً اجتماعياً لذاك العهد وهو القرن السابع عشر · ولكن ما الذي أزعجها عن تلك المنصّة التي تبوأتهـا ؟

يجيب الوزير الأول (مؤلف الرحلة الأولى) على هذا بأن اسبانيا بعد ان استولت على كنوز امريكا التي اكتشفها أحد أبنائها أخذت تنفقها في سبيل البذخ والترف والشهوات (اي كما فعل العرب بعد فتوحاتهم) وبذلك فسحوا المجال للافرنسيين فكانوا أنشط أمم اوروبا في التجارة وإعداد وسائلها وفتح أسواقها في الشرق والغرب . وهذا ما قدمهم وأخر غيرهم . والأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين .

أشرنا آنفاً الى نتف من مضامين رحلة (الوزير الغساني) ونظلم (الكاتب الغزال) ان لم نشر الى شيء من مضامين رحلته هو أيضاً . فان فيها من الفائدة والامتاع وحسن الايراد ما لم يوجد في رحلة زميله .

يظهر أن الآداب الاجتماعية والأخلاق الشعبية العامة في عهد رحلة (الغزال) اي منذ (١٧٠) سنة كانت لدى الاسبانيين أرقى أو مثل ما عند أرقى أمم أوروبا في ذلك العهد ومثلما هي اليوم في اسبانيا مع فرقٍ طفيف قد لا يجوز لمثلي تحديده ما دمت لم أشهد الحالتين ولم أختبر الحضارتين ولم أزر البلدين فأنا اذن أنقل للقراء نتفاً مما ذكره الغزال في رحلته ولهم بعد ذلك حكمهم :

كل شيء رآه (الغزال) في اسبانيا كان حسناً جميلاً باعثاً على ثنائه واعجابه سوى ما استنكره من بشاعة حفلات صراع الثيران وأمرها مشهور . ووخامة مدينة (طريفة) من عمالة قادس (فان بها من الهواء الفاسد والعياذ بالله والوخم ما اشتكى بسببه الكثير من رجال البعثة المراكشية ساعة حلّوها) وهناك شيء على حسنه في نظر الناس قبيح في نظر (الغزال) وهو تبرج النساء ، وتباهي الرجال بجمال بناتهم وزوجاتهم والحديث عنهن : الى حد كان يوقع الشيخ في الارتباك أحياناً اذ هو موضوع لم يعتد إبداء الرأي فيه ولا الجولان حواليه . بل يعتده خروجاً عن الأدب وقوانين الحشمة ، وقد كرر الغزال في رحلته القول في النساء وولوعهن بالموسيقى والرقص والتردد الى المنازه العامة وان النساء كن يتسابقن الى الحفلات لأجل رؤية (الغزّال) ورفاقه والجلوس اليهم بما فيه ازعاج لهم . واستعاذة بالله منهن .

ولكن القوم كانوا حريصين على أن تعرف نساؤهم أحوال الأمم ولا سيما جيرانهم . فلما قال (فما شعرنا الآن والنسوة يتزاحمن على المحل الذي نحن فيه ، الكل يطلب رؤيتنا الى أن تفاقم الأمر للحاجِ فيما بينهن فطلبنا ان نعود للدار وتعللتُ بعلة النوم) .

ووصفه للصور والتماثيل المبثوثة في جنبات البلاد دل على ان للقوم عناية فائقة وبراعة تامة في فن التصوير : من ذلك تمثال الشاب الجميل وشبابته في فمه وأصابعه على ثقوبها وكلباه أحدهما باسط ذراعه على ركبته اليمنى والآخر على اليسرى ولسانهما وذنبهما يتحركان (ولم نشعر بأن الشاب والكلاب تصاوير من غير روح الا بعد حين) .

ووصف براعة القوم في فن المعمار وصفاً دقيقاً . وكان نزولهم في مدريد في دار الملك فرأوا فيها قبة بلورية غاية في جمال الصنعة وبجانبها قبة أفخم منها وأعظم وبعد أن أسهب في نعتها قال ولما سألنا عن الغرض منها اذا هي المسماة عندهم (الكميدية) وان الملك يؤمها بأهله للفرجة . وكان يعجب من صناعتهم كيف يلصقون الذهب على الرخام والجبس وأراد ان يعرف منهم سر هذه الصنعة قال : (فأوهمتهم بجمجمة) أني أعرف ذلك فاعتذروا بأن ملكهم لم يأذن لهم بكشف السر . فقال ولكن نحن معشر المسلمين لا يمنعنا سلطاننا من نشر الحكمة وتعليمها الناس . ثم ذكر لهم طريقة من طرق الطلي بالذهب . فنزعوا الشمارير (أي القبعات) عن رؤوسهم وطأطأوها اعترافاً بفضل المسلمين .

ووصف كنيسة الاسكوريال والابداع في بنائها ولفت نظره دقة التحام الحجارة واتصال بعضها ببعض من دون ان يكون بينها طين أو جبس (مونة) وهكذا (عمل الجبّاص والنجار والرخّام المشتمل على التشجير والتسطير والتزليج والتوريق والتمويه) ومثل ذلك اتقانهم فن الزراعة وانشاء الحدائق واستكثارهم من الأشجار غير المثمرة في المتنزهات . وانه رأى ضرباً من النبات يقوم غراسه كالجدران يتخللها ممرات حتى اذا دخلها المرء رأى نفسه متورطاً فيها لا يمكنه الخروج منها الا بصعوبة أو بواسطة البستاني . أقول وقد رأينا مثل ذلك في القاهرة في (الحديقة الأندلسية) ولعل هذا من ذاك .

ووصف غير ذلك من مظاهر الحضارة كمامل الورق والخزف والقيشاني والفناجل (الفناجين) والزجاج ويتخذون من الطين أشجار الورد والياسمين بأزهارها الملونة .

ووصف جسراً (كوبري) على النهر الكبير متحركاً . وقنوات ماء بشكل قناطر متراكبة ووصف جنينة الطيور و (الكوميديا) والبنت الصغيرة التي مثلت الكوميدية بمفردها عن ظهر قلبها في شكل الإلقاء التمثيلي وهي قصة كالعنترية (قصة عنتر) عندنا (معشر المراكشيين) .

قال والطاغية نفسه (ملك اسبانيا) هو الذي أوصى عماله ان يطلعونا على الكبير والصغير من أحوال بلاده حتى انه أمر باقامة ميدان لرمي المدافع واصابة الأهداف وقام بذلك أمامنا أبناء الأعيان والأشراف . وبهذه المناسبة جرى حديث بين الغزّال المراكشي ووزير اسباني كان يرافقه لم نستملحه قط : ذلك ان الغزّال حط من قدر المدافع وقذائفها والرمي بها . قال : وان ذلك كله انما هو أثر من آثار الجبن والاعتصام في المعاقل والحصون أما المراكشيون فلا يستعملون المدافع ولا يلجؤون الى الحصون وانما حربهم الصدام في الميدان ، والضرب بالسيف والسنان .

ومن الغريب ان ينخدع الغزال بموافقة الوزير الاسباني له على ما قال . نقول هذا اليوم أي بعد نحو ٢٠٠ سنة ونحن معشر العرب أشد ما نكون حاجة الى ان يكون في بلادنا معامل للمدافع والقنابل نستعين بها على مدافعة العدو عن فلسطين العربية :

(لقد شرب الأوائل كأس خمر غدت منه الأواخر في خمار)

وزار الغزّال مدرسة بحرية يتعلم فيها الصبيان فن سلك البحار والتدرب على أعمال الملاحة فسرّه ما رأى منهم وطلب من ادارة المدرسة السماح لهم بعطلة ثلاثة أيام ذكرى لزيارته . ففرح التلاميذ وعطعطوا وجعلوا يصيحون بالاسبانية (ڤيڤا راي مروك ، ڤيڤا) أي ليعش ملك مراكش (ڤيڤا الباشادور ، ڤيڤا) ليعش السفير يعنون الغزّال وهو (الباشادور) وبالافرنسية (امباسادور) .

وبعد هذه الحفلات والمهرجانات اخذ الغزال في تدارك ما جاء لاجله وهو فكاك الأسرى وكانوا من بلاد مختلفة : منهم مراكشيون يمكنه انقاذهم ومنهم جزائريون ونحوهم لا يمكنه ان يصنع لهم شيئاً ، ومنهم المسلمون الأندلسيون الذين أوطنوا

اسبانيا . فلما رأوا السفير الغزال جعلوا يبكون ويكبرون الله للدلالة على تمسكهم باسلاميتهم . فرثى لهم وأوصاهم بالثبات والتمسك بدينهم. واعتذر بانه عاجز عن افتكاك غير المراكشيين الا اذا كانوا شيوخاً هرمين او من رجال الدين . وهناك أسرى مرضى أو مسلولون . فوعدهم بانه سيجتهد في اقناع الطبيب بلزوم تسريحهم الى بلادهم شفقةً وانسانية . ثم لزم الغزال المنزل الذي هو فيه وتظاهر بالمرض ودعا اليه الطبيب الاسباني الموكول اليه أمر الأسرى . وما زال يقبل به ويدبر حتى أقنعه بلزوم تسريح المرضى . وهكذا نجح في انقاذ هؤلاء التعساء . ومن لطيف ماحكاه ان فتاة مسلمة جزائرية صغيرة أرادها سيدها على النصرانية ليتزوجها وهي تأبى عليه وكانت تصرخ وتقول (لا أريد إلا دين حبيبي محمد) وقد تعب السفير الغزال في اقناع القوم بأخذ فدية عنها وتسريحها الى أهلها .

وبعد انجاز أمر الأسرى فرغ الى المخطوطات العربية الاسلامية والتقاطها من هنا وهناك فجمع منها ما تيسر له جمعه .

ثم ودع الطاغية (أي الملك) وداعاً جميلاً وأصحبه الملك بسفير من رجاله ليزور مراكش ويقابل سلطانها . فلما دخلاها قابلهم الجماهير وطوائف العساكر والقبائل باطلاق المدافع والمكاحل وألعاب الفروسية حتى حجب دخان البارود ونقع حوافر الخيل عين الشمس . وكانت تقام لهم المآدب فكان الطعام فيها كثيراً يفضل عن الحاجة . قال السفير المراكشي ذلك مباهياً به ولا سيما مذ رأى السفير الاسباني يدوّن ما كان يراه في دفتر مذكراته . ومما افتخر به أيضاً ان الملك امر ان ينقل ثقل السفير وأمتعته على نفقته الملوكية ومن دون ان يدفع السفير درهماً واحداً ! ! ومشى الثلاثمائة الأسرى في الموكب وعلى رؤوسهم الكتب والمخطوطات التي جاؤوا بها من مكاتب الأندلس وحولهم النوبة والنساء بالزغاريت والرجال بالبكاء والدعاء للملك مراكش (محمد بن عبد الله) ثم قابل الملك سفير اسبانيا مقابلة حسنة . وجاء في أطواء كلام الملك ـ بمناسبة ما للسفير من حاجات أثناء اقامته في مراكش ـ قوله كل ما يحتاج اليه السفير (نقضوه له) . وصوابه نقضيه . وغلطة الملك ملكة الأغلاط .

وبمناسبة اللغة وأغلاطها نقول انه جاء في كتاب رحلة الشيخ الغزال الفاظ كان يحسن إطالة البحث حولها : منها ما هو أعجمي عرّبه المغاربة . ومنها عربي ولدوه وليس من العربية الفصحى في شيء . ولكن الأمر يطول على القارئ فنجتزئ عنه على سبيل المثال ببضع كلمات . منها (الخِصَّة) يريدون بها الفسقية ذات النوفرة اما الكبيرة فيسمونها الصهريج . (والمداشر) القرى (والشراجيب) الشبابيك . ومن المعربات اليَمنْط الألماس و (الفسيان) الضباط (office) و (الشلظاظ) الجنود . واذا أرادوا ان يقولوا استعراض الجنود قالوا تسراد الشلظاظ . والتسراد عربية من السرد . والشيليات الكراسي . والكودشة والأكداش عربات الخيل . ونسمعهم في دمشق يقولون لخدمة الجامع الأموي (حسكية) واحدهم (حسكي) قالوا انه محرف من (خاصكي) وهواستعمال تركي يراد به خادم بيت الملك الخاص فنقله الاستعمال الى خادم بيت الله . غير أن الغزّال في رحلته قرن (الحسك) بالمنارات (اي الثريات) التي يستضاء بها في المساجد ثم فهم منه في مكان آخر ان المراد بالحسك المسارج أو الشمعدانات التي تنقل من مكان الى مكانٍ آخر بين أيدي الناس المجتمعين . وهذا نص عبارته كما في ص ٣٣ :

(وقد هيئ لهذه الليلة العدد الكثير من الشيليات (أي الكراسي) بما يزيد على الأربعة آلاف . . . وأوقد من الشمع ستة آلاف شمعة ما بين المنارات البلورية والحسك المتصلة بالمرايا . . . والحسك الموضوعة بالأرض بين صفوف الشيليات الخ) فالشموع كانت موزعة على المنارات وعلى شمعدانات لاصقة بالمرايا على الجدران وعلى شمعدانات أخرى منتقلة (بورتاتيف) منثورة على الأرض بين صفوف الكراسي .

فلعل الحسكية في جامع دمشق سموا بهذا الاسم نسبة الى تلك الشمعدانات المسماة(حسك) اذهم الذين يتولون أمر تنظيفها وتخبئتها في مستودعاتها وتوزيعها بين أيدي القراء في الحفلات . بقي أن يقال : ومن أيّة لغة جاءت كلمة (حسك) ؟ وفي أي عصر تولّدت ؟ وهل أخذها المغاربة من دمشق أو على العكس ؟

المغربي

ديوان التميمي

حققه كل من علي الخاقاني ومحمد رضا السيد سلمان

طبع في النجف سنة ١٩٤٨ م عدد صفحاته ١٨٠

اسم صاحب الديوان الشيخ (صالح بن درويش) التميمي فهو عربي المحتد ، نجدي الأصل ، نجفي المنشأ : ولد في حدود سنة ١١٩٠ ه وتوفي سنة ١٢٦١ ه اي أنه عاش في العهد الداودي : عهد داود باشا والي بغداد المشهور بفضله وحبه للأدباء ، ويروى ان لهذا الوالي مشاركة في الأدب وقرض الشعر . وله مجالس ينضوي اليها ادباء عصره وشعراؤه فيتلقون من عطفه ورفده ما يملأ قلوبهم حباً ، وجيوبهم ذهباً ، وكان أقربهم مجلساً اليه ، واكثرهم دالة عليه ـ الشاعر التميمي : فكان الوالي يؤثره ، ويدنوه بمنزلته ، كما كان شاعر العراق الأكبر الشيخ عبدالباقي العمري يقول : ان صالح التميمي أستاذي وشيخي . وقد أولع الشاعر المترجم منذ حداثته بأبي تمام الطائي ، وحفظ أشعاره ، ومن رأيه تفضيله على سائر شعراء الاسلام ، ويقول هو شيخي : تخرجت على ديوانه . وسئل يوماً كم تحفظ من الشعر الجاهلي فقال : لو أن شيخي ابا تمام لم يتقدمني الى ديوان الحماسة لاختصرت لكم حماسة ثانية .

وقد أدرك القارئ من هذه الخلاصة في ترجمة الشاعر التميمي ان محاسين البيئة والزمن والخلطاء والدراسة ـ كل ذلك توفر له ، وتمهد بين يديه ، فلا جرم ان يكون من كبار أدباء العراق ، وفحول شعرائه ، وكذلك كان التميمي : فهو منهم . بل من المشهورين بينهم . لكنه لم يبلغ منزلة شعراء الطبقة الأولى فيهم : كالأزري والعمري واضرابهما . ونستشهد على قولنا هذا بما قاله الفاضل الخاقاني ناشر ديوانه في مقدمته : (وشعر التميمي تأثر فيه بأدب أستاذه ـ يعني ابا تمام الطائي ـ ولكنه لم يستطع ان يحكم قواعده وأسسه كما احكمها الطائي : إذ نراه يعلو ما وسعه العلو فيخيل اليك انه شاعر عباسي قد صقلته تلك الحضارة العربية . ويسفّ إسفافاً يدعك تحكم انه ليس بصاحبك الذي ارتفع بك) اه .

وقد قدم ناشرا الديوان ومحققاه مقدمة له أسهبا فيها القول وأجادا في التعريف

بالشاعر وبأدبه وبكل ما له علاقة بنشأته وبيئته : حتى ترجما للوزيرين اللذين اكثر من مدحهما في ديوانه : داود باشا وعلى رضا باشا . كما انهما ترجما للشاعر العمري ولعالم بغداد يومئذ ابي الثناء محمود الألوسي وغيرهما مما يلقي نوراً على ذلك العهد الخصيب بالأدب والأدباء والشعر والشعراء . وقد وصفا المخطوطات التي ظفرا بها لذلك الديوان ، وقارنا بينها معتمدين على أصحها وأوثقها ، والحقا بالديوان مجموعة قصائد للتميمي مساة بالروضة التميمية تشتمل على ٢٨ قصيدة بعدد حروف الهجاء تضمنت مدح الشاعر للشيخ (عبد علي) الشهير بمولى الحويزة . وقد أفرغ التميمي قصائد روضته في قالب قصائد روضة صفي الدين الحلي التي مدح بها الملك المنصور : فالقصيدة الأولى أسست قوافيها واول كلمات أبياتها على الهمزة . واول بيت من قصائد الروضة قوله :

(أروضة سُقيت من غيث وَطْفاء فألبست نسج حمراء وصفراء)

وهكذا الى آخر القصيدة الأولى : همزات في اول ابياتها واواخرها . ثم القصيدة الثانية بُنيت على حرف الباء الى سائر قصائد الروضة . وتكلف الصنعة ظاهر أتم الظهور فيها . كما ان البيت الذي مثلنا به يدل القارئ على صحة ما قاله الفاضل (الخاقاني) من ان التميمي يعلو بشعره ما وسعه العلو ثم يهبط ويسف حتى تكاد تنكر انه هو . فما ابين الفرق بين قوله (أروضة سقيت من غيث وطفاء) وبين قوله في الشطر الثاني (فألبست نسج حمراء وصفراء) وهكذا الحكم في ابيات سائر قصائد الديوان . تارةً مخشلب وطوراً در ومرجان . وعناية الناشرين بهذا الديوان هي على أتمها في مقدماته وخواتيمه وطبعه وتصحيحه والتعليقات عليه . فاستحقا بذلك اجزل الثناء . من فريقي الأدباء والشعراء .

غير انا لاحظنا تسامحهما أحياناً في تفسير بعض الألفاظ : من ذلك قوله ص ٤٨

(فيا أيها الغادي المهجّر خائضاً من الآل يمّاً مار في العين مائره)

قالا (الآل) الغبار وصوابه (السراب) وقوله ص ٤٧

(وعفو تعفّى منه قيس ابن عاصم أمانٌ لباغٍ أسلمته جرائره)

يصف الممدوح بالعفو عن اصحاب الجرائر . وبدل ان يفسر المصححان

الجرائر بالجرائم والآثام فسراها بارتكاب الآثام وفرق كبير ما بينهما . ولم يفسرا المراد من فعل (تعفى) وما معنى كون قيس بن عاصم تعفى من عفو الممدوح وهل يكون تعفى بمعنى استعفى ؟ أو أن تعفى بمعنى اضمحل واندرس ؟ ولو فعلا لزادا القراء وطلاب الادب بصارة في الشعر وعوناً على تحصيل ملكته .

هذا ما رأينا ان نقوله في تقريظ (ديوان التميمي) وانا لنكرر الثناء على ناشريه . ونلفت أنظار أهل الفضل والأدب اليه . **المغربي**

الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث

تأليف الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

في ٢٦٦ صفحة (١٧ × ٢٤) سم ، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم في مصر ١٩٤٨

كان الشعر المعاصر الى زمن قريب يطلق على الثلاثة الكبار شوقي وحافظ ومطران فألفت فيه مختارات وظهرت فيه كتب نقدية نذكر على سبيل المثال منها ما أرسله المازني والعقاد في « الديوان » وما كتبه الدكتور طه حسين بك في « حافظ وشوقي » وما خصته به « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعي » من مقالات عقدها الباحثون والأدباء . فلما كتب الدكتور طه مقالاته في « حديث الأربعاء » عن ابراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمود أبي الوفا تحول الناس الى شعراء الشباب آنذاك ودار حولهم نقد جديد . وعقدت لهم كتب جديدة أهمها للدكتور مندور ولاسماعيل أدهم وحبيب الزحلاوي وعمر أبي النصر والعقاد والرافعي . وقرأ الناس عن الزهاوي والرصافي والجارم ومحرم ونعيم وشكري .

ولكن الكتاب الذي بين أيدينا جديد طريف جامع يلم بهذه الكتب جميعاً ويشمل أكثر ما فيها ، فهو يتخذ سبيلاً واسعاً في فهم كلمة « معاصر » ولعله يريد بها هذه الأعوام الخمسين التي توشك أن تنقضي من القرن العشرين . وبديهي أن يدخل فيها الأموات والأحياء والشيوخ والشباب . فقد رأيناه يجمع من شعرهم ويحلله ، ويروي من مقاطعهم ويقدم لها أو يختمها بدراسة نفسية تعتمد على أحدث الآراء في هذا الفن ، ولكن تعابيرها ما تزال غريبة على الأسماع

بعيدة عن النقد العربي المعاصر . فالأستاذ السحرتي فيما نرى يعتمد على المصادر الانكليزية ويوردها بأسمائها وأصحابها ويخترع لألفاظها ما يقابلها من قواعد ونظم يرسلها في نقد الشعر المعاصر .

وفي الكتاب سعة اطلاع ووفرة جمع تدلان على كثرة ما قرأ الرجل من دواوين صدرت في لبنان وفي المهجر وفي مصر ، وأما في سورية فقد نقد الاستاذ ما وصل اليه من دواوينها وما نراها الا قلة ، ذلك لأن شعراءنا المعاصرين لا يطبعون دواوينهم ، ولا يهتمون بتبويبها ونشرها في الناس ولأن مجلاتنا السورية التي تنشر لهم أبكار شعرهم لا تتخطى حدود البلاد ، فيصبح من العسير على الناقد أن يلم إلا بما تطبع مصر من شعرنا أو يقف عليه أدباؤها في مصادفة أو مناسبة .

وليس هذا مما يؤخذ على الأستاذ الناقد ففي صفحات كتابه من الجهد في الاستيعاب والسعي في الجمع ما يستحق كل ثناء . ويخرج القارىء من هذا السفر وهو ملم بأبواب النقد الحديث وأصوله وأركانه كما هو اليوم في قلب أوربة ، واقف على ما في الشرق العربي من نزعات جديدة وتجديدية عرض لها الباحث واستعرض من شعرها فأصبح الكتاب مجموعة مختارة من الشعر الحديث لمختلف الشباب في أعمار متفاوتة ، وأساليب متباعدة ، وهو على ذلك يضرب الأمثال من الشعر الأوربي ويترجم مقاطع منه ليقرنها إلى شعرنا الشاب ويوازن بينه وبينه .

واسلوب الكتاب رصين قوي في عبارة مشرقة فصيحة وحجة هادئة طبعها صاحبها بطابع العلم ومقاييسه حيناً ، والشعر وأساليبه حيناً آخر . وكم نتمنى أن يصب هذه المعرفة بالشعر الحديث ، بعد هذا الكتاب ، في كتاب يؤرخ فيه للشعر الحديث المعاصر عاماً فعاماً وشهراً فشهراً ، على عادة الغربيين . فالدواوين مؤرخة والمجلات والصحف معروفة مشهورة ، يستطيع أن يؤرخ منها هذه النزعات والمذاهب ، مما نحتاج اليه في أدبنا العربي ومما نتلفت باحثين عنه فلا نجده ولعله فاعل إن شاء الله .

والأستاذ السحرتي في كتابه اليوم يستحق شكر الأدباء على ما قدم لهم من حسن صنيع وكريم يد .

الدكتور سامي الدهان

آراء وانباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في الجلسة التي عقدها في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ خمسة أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

١ – المستشرق البريطاني الأستاذ الفرد غليوم (لندن)

٢ – المستشرق البريطاني الأستاذ ا ٠ ج ٠ اربري (كمبردج)

٣ – المستشرق الأندلسي الأستاذ اميليو غراسيا غومز (مدريد)

٤ – المستشرق الايطالي الأستاذ ف ٠ جبريللي (روما)

٥ – المستشرق الألماني الأستاذ ه ٠ ريتر (استانبول)

وقد صدرت مراسيم تعيينهم في ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٤٨

النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية

قرأت كلمة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار في العدد الأخير من مجلة المجمع الزاهرة عن الجزء الأول من كتابي «النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية» فشكرت له جهوده الطيبة الموفقة واني افتخر بما تفضل به من كلمات الثناء التي لا أستحقها والتي ستكون لي بلا شك من أهم عوامل التشجيع في المستقبل ان شاء الله ٠

ثم اني ارجو ايضاح ما تساءل عنه حضرة صاحب الفضيلة في ذلك المعرض ، اذ اني أوافقه تماماً على ما قاله من أن في الكتاب العزيز وفي السنة الشريفة نصوصاً تعد أصولاً كافية للنظرية العامة للموجبات والعقود وان ابن قيم الجوزية

وغيره من فقهاء المسلمين رحمهم الله قد تعرضوا باسهاب للقواعد الكلية والمبادئ العامة المشتملة على المصالح والمطالب الشرعية . ولقد استشهدت بابن القيم وبغيره في الجزء الثاني من كتابي .

غير اني أصر على القول بان الفقهاء المسلمين لم يتطرقوا من حيث الأسلوب الى نظرية عامة تشبه النظرية الرومانية اذ ان الفقه الاسلامي لم يتأثر بفقه الرومان . وان قولي هذا يتعلق بالأسلوب فقط ، أما فيما عدا الأسلوب الشكلي فان الفقهاء المسلمين توصلوا من حيث الجوهر والمبادئ الأساسية الى ما يماثل النظرية العامة الحديثة والى ما يفوقها في التعمق والتدقيق في بعض الأحيان . ولعلي قد توفقت لاثبات هذه المسألة في الجزء الثاني من كتابي (الذي طبع مع الجزء الأول) حيث نوهت فيه بأهمية النظرية العامة الاسلامية . وان ما استشهد به العلامة الشيخ البيطار عن ابن قيم الجوزية يوافق ما قلته من حيث الاساس . أما من حيث الشكل فهو لا يشبه الأسلوب الحديث وما يستتبعه من تفصيلات تتعلق بتقسيم الالتزام ومصادره وترتيب نظرية العقد ودرسها على النمط المعروف عند الرومان وعند من اقتبس عنهم . وعلى كل فان هذا الاختلاف في الترتيب لا يقلل من قيمة ما كتبه ابن القيم وغيره بشيء .

ثم اني أرجو أن أوضح ما أقصد بالمذهب الظاهري البائد اذ لا يخفى على القارئ الكريم ان هذا المذهب هو أحد المذاهب السنية التي اصطلح المؤرخون على تسميتها بالبائدة ، بسبب انقراض اتباعها اليوم وان المذهب الظاهري هو مذهب ابي سليمان داود بن علي وقد كان مذهبه متبعاً الى القرن الخامس ثم اضمحل شيئاً فشيئاً . وان اشتهار من اتبع هذا المذهب بالعلم كابن حزم لم يمنع المؤرخين من عده من المذاهب البائدة (مثلا تاريخ التشريع الاسلامي للخضري ص ١٦٦ ، وتاريخ القضاء في الاسلام لعرنوس ص ٦٣) .

واني ختاماً أكرر شكري لحضرة العلامة الشيخ البيطار على ما تفضل به من ملاحظات قيمة ، جزاه الله كل خير .

(بيروت) صبحي المحمصاني

الجزء الأول من الدارس في تاريخ المدارس

هذا الكتاب مثل تاريخ الآداب العربية في الشام مدة ثلاثة قرون وأكثر على أن لي عليه بعض ملاحظات أذكرها فيما يلي :

ص ٢٠ ح ٦ هو محمد بن يونس الموصلي المتوفى سنة ٦٠٨

« ٢٢ « ٤ هو بركات بن ابراهيم المتوفى سنة ٥٩٨

« « « ٥ هو القاسم بن علي بن هبة الله المتوفى سنة ٦٠٠

ص ٢٣ س ١٤ الصواب ابو القاسم محمد بن عبد الرحمن

« ٢٤ « ١٣ يحيي بن شرف بن مِرى ومومى تصحيف مِري

« ٢٨ « ٢ الامين الاربلي

« ٣٤ « ٣ هو احمد بن محمد بن محمد بن نصر الله المتوفى سنة ٧٣٦ الدرر ١/٣٠٠

« ٤٧ « ١٦ ابو المكارم هو احمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٥٩٦

« ٤٧ ح ١ توفي سنة ٦٩٨

« ٤٧ س ٢ المعجم المختصر

« ٥١ « ١٠ قُمَيرة تصغير قمرة

« ٦٦ « ١٥ احمد بن حامد الارتاحي

« ٦٩ « ١١ الكمال بن فارس هو ابراهيم بن احمد بن فارس المتوفى سنة ٦٧٦

« ٦٩ « ١١ زهير الزرعي هو زهير بن عمر بن زهير المتوفى سنة ٦٧٣

ص ٧ س ٣ عبد الحافظ بن بدران توفي سنة ٦٩٨

« ٧٨ « ١١ زينب بنت عمر بن كندي توفيت سنة ٦٩٩

« ٧٨ « ٣ : ابن الطلابة بالمثناة كثر ذكره في الدرر وفي نسخة جيدة من ذيل ابن الدبيثي

« ٨٧ س ١٢ شمس الدين ابو محمد بن سلار [السلار أيضاً] هو عبد الوهاب ابن يوسف بن كرم توفي سنة ٧٨٢

ص ٨٧ س ١٣ ها هنا اضطراب فان الأسدي ذكر شخصاً توفي بالطاعون الخميس ١٩ صفر سنة ٨٢٦ قرأ صحيح البخاري على جمال الدين الشرائحي (وله ترجمة في الذيول ٢٦١ والضوء ٧/٢ وهو عبد الله بن ابراهيم بن خليل سنة ٨١٩) وكان صاحباً للشيخ بن قُدَيدار الضوء (٣٢٧/٦) ولم أتثبت من معرفته أهو شمس الدين محمد بن عبد الله بن عمر ٠٠ المقدسي المعروف بابن المكي والذي كان رئيس المؤذنين بالجامع الأموي المتوفى في جمادى الأولى من السنة ، أم ابن حجي المتوفى في صفر من سنة ٨٢٦ فقد كان صديقاً لابن قديدار أيضاً ٠

ص ٨٩ س ٧ ابو نصر محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٥٣٠ له ترجمة في المنتظم لابن الجوزي

ص ٨٩ ح ٦ هو يوسف بن رافع بن تميم صاحب سيرة صلاح الدين توفي سنة ٦٣٢

ص ٦٧ س ٢ ابو بكر بن مكارم هو ابو بكر علي بن مكارم بن فتيان المتوفى سنة ٦٦٠

〃 ٦٧ ح ٤ ابن عبدالدائم هذا هوابو العباس احمد بن عبد الدائم المتوفى سنة ٦٦٨

〃 ٩١س ٢ ابو محمد العثماني هو عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى المتوفى سنة ٥٧٦ ذكره السيوطي في حسن المحاضرة الطبعة الأولى ج ١/ ١٧٢

ص ٩١ ح ٤ ابن شادي (والأفضل شاذي بالذال المعجمة اذ أن هذا اسم فارسي وكانوا يلفظون في ذلك الزمان الذال بعد الالف في الاسماء)

ص ٩٤ س ٩ ابو الفتح بن سيد الناس هو محمد بن محمد بن محمد المتوفى سنة ٧٣٤

〃 ١٠٥ 〃 ٣ ابو المظفر سعيد بن سهل الفلكي الوزير توفي سنة ٥٦٠ انظر أيضاً ص ١٠٤ س ٣

ص ١٠٤ س ٣ لعله عبد الرحمن بن سالم التنوخي المتوفى سنة ٥٥٧

〃 ١٠٥ 〃 ٦ الزكي المنذري مشهور بعبد العظيم وعبد القوي توفي سنة ٦٥٦

ص ١٠٥ س ٣ ابو المكارم عبد الواحد بن محمد بن المسلم توفي سنة ٥٦٠ (شذرات)
« ١٠٧ « ١ ابن شُنَيْف (مصغراً)
« ١٠٨ « ١٨ القطب اليونيني المؤرخ
« ١١٠ « ٣ ابو الفضل عبد السلام الداهري توفي سنة ٦٣٨
« ١١٠ « ١٥ ابن ابي لقمة هو محمد بن السيد بن فارس توفي سنة ٦٢٣
« ١١١ « ٣ الدخميسي هو احمد بن الفضل بن ابي المجد ولد سنة ٦١٢

(معجم البلدان لياقوت)
ص ١١٧ س ٢ اسمه في النجوم بيدرا وعند القطب اليونيني بيدرة (كلاهما صحيح)
ص ٣٢٣ س ١٥ بضحان والصحيح بصخان بالصاد المهملة والخاء المعجمة
ص ٦٤٩ س ١١ الياروقي بالياء المثناة توفي سنة ٦٦٣
« ١٢١ ح ٤ ابن رُوزَبِه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي هو ابو الحسن علي ابن ابي بكر بن روزبه توفي سنة ٦٣٣ (عميان والشذرات)
ص ١٢١ س ٦ القطيعي ابو الحسن محمد بن احمد بن عمر توفي سنة ٦٣٤ لسان الميزان ٤٦/٥ : شذرات
ص ١٢٠ س ٣ شمس الدين بن ابي الفتح ابو عبد الله البعلبكي توفي سنة ٧٠٩
« ١٢٣ ح ٣ لا يلبس محرّماً صحيح أي لم يلبس الا ما هو مباح من قماش القطن ولم يلبس الحرير وما يشبهه
« ١٣١ س ١٥ السراج الارموي هو محمود بن ابي بكر بن احمد توفي سنة ٦٨٢
« ١٣١ ح ٣ ابن المرحل لعله محمد بن مالك بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧١٠ وهو الأشهر
ص ١٣٣ س ٢٠ ابن المجد
« ١٥٤ « ١١ عمر بن عبد العزيز
« ١٦٢ « ١٠ الروذراوري كذا ص ١٦٧ س ٥

ص ١٣٩ س ١٣ التقي سليمان بن حمزة القدسي توفي سنة ٧١٥
« ١٤٠ « ١٤ صلاح الدين العلائي هو خليل بن كيكلدي المتوفى سنة ٧٦١
« ١٦٧ « ١ ابن ابي الخير هو ابو العباس المتوفى سنة ٦٧٨
« ١٦٧ « ٥ مجد الدين بن الروذراوري عبد المجيد بن ابي الفرج بن محمد ابو محمد توفي سنة ٦٦٧ (اليونيني)

ص ١٦٧ س ١٢ ابو سعد بن أبي عصرون هو عبد الله بن محمد بن هبة الله توفي سنة ٥٨٣
« ١٦٧ « ١٤ ابو حامد بن الصابوني هو محمد بن علي بن محمود توفي سنة ٦٧٠
« ١٦٧ هامش ٨٨٦ صوابه ٧٨٦
« ١٦٨ « ٤ الجرائدي هو عماد الدين محمد بن يعقوب بن بدران توفي سنة ٧٢٠
« ١٧٨ « ٤ لعل الصواب أبي موسى محمد بن عبد الله اللامشي
« ١٧٩ « ١٤ بدر الدين ابو المحاسن يوسف بن الحسن السنجاري توفي سنة ٦٦٣
« ١٨٠ « ٤ قطب الدين بن ابي عصرون هو احمد بن عبد السلام بن المطهر توفي سنة ٦٧٥ (شذرات ٥/٣٤٥)

ص ١٨٠ س ١٧ بركات بن ابراهيم الخشوعي توفي سنة ٥٩٨ (شذرات)
« ١٨٢ « ١٦ شرف الدين علي بن محمد بن علي بن المسلم أرخ ابن الدبيثي (نسخة كامبرج) وفاته سنة ٦٠١ وسماه ابن الشهرزوري

ص ١٨٣ س ٦ ابو الوحش سبيع بن المسلم بن علي توفي سنه ٥٠٨
« ١٨٣ « ٣ ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين السلمي الموازيني توفي سنة ٥١٤
« ١٨٤ « ١١ ضياء الدين ابن عقيل عند السبكي ٥/١٢٥ علي بن عقيل بن علي بن هبة الله ... أبو الحسن الحبوبي الثعلبي وهو الصواب . وربما كان ابو يعلى ابن الحبوبي الذي ورد ذكره ص ١٨٢ سطر ٦ جده ولحفيده محمد بن محمد بن علي ترجمة في الدرر الكامنة

ض ١٨٤ س ١٣ ابو المكارم عبد الواحد بن هلال الازدي توفي سنة ٥٦٥

ص ١٨٤ س ١٤ الشهاب القوصي اسمعيل بن حامد توفي سنة ٦٥٢

« ١٩٠ ح ١ اللورقي نسبة الى لورقة مدينة في الأندلس

« ١٩٠ « ٤ بهاء الدين بن حناء هو الوزير علي بن محمد بن سليم بن حناء توفي سنة ٦٧٧

ص ١٩٢ س ٤ المؤيد بن محمد بن علي بن الحسن رضي الدين الطوسي توفي سنة ٦١٧

« ١٩٣ « ٢٢ الرشيد العطار هو ابو الحسين يحيى بن علي بن عبد الله توفي سنة ٦٦٢

« ١٩٥ « ١٤ جلال الدين القزويني هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر توفي سنة ٧٣٩

« ١٩٦ « ١٦ جمال الدين الزرعي هو سليمان بن عمر بن سالم توفي سنة ٧٣٤

« ١٩٩ « ١٨ نجم الدين القحفازي هو ابو الحسن بن داود توفي سنة ٧٤٥

« ٢٠٣ « ١٣ جمال الأئمة في غاية النهاية لابن الجزري ـ علي بن الحسن بن الحسن ابن الماسح وهو الصواب

ص ٢٠٧ س ٦ عبد العزيز بن منينا هو عبد العزيز بن معالي بن غنيمة المتوفى سنة ٦١٢

« ٢٠٧ « ١٤ كمال الدين ابو الفضائل سلار بن الحسن بن عمر بن سعيد الاربلي توفي سنة ٦٧٠ (لعله تصحيف ٦٩٠) السبكي وابن كثير

ص ٢٢١ س ٧ محي الدين محمد بن الزكي ـ محمد بن محمد بن يحيى توفي سنة ٥٩٨

« ٢٢٨ « ٧ لعله نجم الدين عبد الرحيم بن ابراهيم البارزي المتوفى سنة ٦٨٣

« « ٨ الروذراوري

« « ١٢ عز الدين الفاروثي ابو العباس احمد بن ابراهيم بن عمر المتوفى سنة ٦٩٤

« ٢٣٩ « ٧ نور الدين ابن الصائغ محمد بن محمد بن محمد توفي سنة ٧٤٩

« « ١٨ شمس الدين ابن النقيب محمد بن ابي بكر بن ابراهيم توفي سنة ٧٤٥

« « ١٥ الزنكلوني مجد الدين ابو بكر بن اسماعيل بن عبد العزيز توفي سنة ٧٤٠ (ورد في الدرر الكامنة السنكلوني)

ص ٢٤٠ س ١١ شمس الدين الاصفهاني محمود بن عبد الرحمن بن احمد توفي سنة ٧٤٩

ص ٢٤١ س ٣ شمس الدين الغزي ـ محمد بن خلف بن كامل توفي سنة ٧٧٠
〃 ٢٤٥ 〃 ٦ جمال الدين ابن جملة يوسف بن ابراهيم توفي سنة ٧٣٨
(مر ص ١١٩)
〃 ٢٤٧ 〃 ١٨ رضي الدين المنطقي ابراهيم بن سليمان توفي سنة ٧٣٢
〃 ٢٥٣ 〃 ١١ علاء الدين ابن نحلة ـ علي بن يحيى بن عثمان توفي سنة ٧٢٣
〃 〃 〃 ١٩ قطب الدين السنباطي ـ محمد بن عبد الصمد توفي سنة ٧٢٢
〃 ٣٠٤ 〃 ٣ رُوزَبه فارسية معناها اليوم السعيد
〃 ٣٠٥ 〃 ١١ الصواب اسندمر بالنون كذا سطر ١٣ كذا ورد في الدرر الكامنة عن نسختين جيدتين كانتا عندي حين حققت الكتاب وقد ورد بعد تراجم من اسمه اسماعيل كذا أيضاً في ترتيب الضوء اللامع وهو اسم تركي قديم معناه الحديد الصالح .

ص ٣٢٤ س ٢ في الدرر الكامنه ٤٧٥/٤ ابو الفضل يوسف بن محمد بن منصور بغير لقب المتوفى سنة ٧١٠ ولكن كان في النسخ الخطية الكُنَيري (مصغرا) ثم طبع الكفري . وذكر الذهبي (الطبعة الأولى) في تذكرة الحفاظ ٤/ ٢٥٢ سطر ٦ في شيوخ أبي شامة شهاب الدين الكفري ولعله هو . ثم رأيت أنه ذكر في سطر ١٣ وهو مشهور له ترجمة في العميان والدرر والجواهر المضيئة وعند ابن الجزري .

ص ٣٢٥ س ٣ شمس الدين ابن اللبان مات قبل شهاب الدين ابن النقيب ولعل الذي عني هو محمد بن احمد بن علي المتوفي سنة ٧٧٦ وله ترجمة في الدرر

ص ٣٣١ س ٧ زنكي بن آق سنقر
〃 ٣٤٩ 〃 ١ دار ايوب
〃 ٣٥٨ ح ٣ جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المتوفى سنة ٧٧١ له ترجمة في الدرر
〃 ٣٦٣ هامش ٦٠٢ -- ٦٧٢
〃 ٣٧٧ س ٣ اسندمر بالنون

ص ٤٠٠ س ١ المزرفي بالفاء

« ٤٠٠ « ٥ الحصين بالصاد

« ٤٠٠ « ٦ ابو الحسن بن دبين ـ هو علي بن دبيس (بالسين) الموصلي ذكره السيوطي في البغية ص ٣٢٧

ص ٤٠١ س ١٠ ابو نصر بن الشيرازي محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٦٣٥

ص ٤٠١ س ١١ ابو بكر عبد الله بن الحسن بن الحسين عماد الدين بن النحاس توفي سنة ٦٥٤

ص ٤٠٧ س ١٦ ابو القاسم النسيب هو علي بن ابراهيم بن العباس الدمشقي توفي سنة ٥٠٨

« ٤٠٧ « ١٧ ابو الحسن بن قيس أنا أشك في اسم جده قيس اذ ورد ثلاث مرات في مرآة الزمان ابو قبيس بباء موحدة قبل الياء

ص ٤٢١ س ٧ أنا أشك في ابن ماسويه وقد ورد ذكره في الدرر الكامنة ٤ مرات مرتين بابن باسويه مثل ترجمة ٣٨١ (في المجلد الرابع) ومرتين بابن ماسويه بالميم

ص ٤٣١ س ١٣ ابن أبي الاصبغ بالغين المعجمة

« ٤٥٧ « ٦ حسام الدين القرمي بالراء

« ٤٧٥ « ٩ جمال الدين الحصيري محمود بن احمد بن عبد السيد البخاري توفي سنة ٦٣٦

ص ٤٨١ س ٨ برهان الدين البلخي هو ابو الحسن علي بن محمد له ترجمة في مرآة الزمان

ص ٤٨٤ س ٣ و ٥ ابن الطبر بالباء الموحدة

« « ١٣ الكديمي بالدال ـ هو محمد بن يونس بن موسى المتوفى سنة ٢٨٦

« ٤٨٥ « ٥ عبد الله نجيب الدين

« ٤٨٧ « ٧ محمد بن الحسين بن احمد بن النعالي توفي سنة ٧٨٠

ص ٥٠٤ ح ١ البُرْسقي أرخ ابن الجوزي قتله في سنة ٥١٩ وكذا تبعه سبطه في مرآة الزمان

ص ٥٠٧ س ١٣ فاستعاد أبراجًا (اي فتحها)

« ٥٢٢ « ٦ محمد بن وثاب ... النخيلي كذا في ذيل مرآة الزمان لقطب الدين رواية البرزالي عن نسخة في غاية الصحة

ص ٥٢٥ « ٢ ابن روزبه بالهاء غير منقوطة والباء الموحدة من تحت

« ٥٣٧ « ١٦ ابو الحسن علي بن الحسن البلخي توفي سنة ٥٤٩

« ٥٣٩ « ٧ نور الهدى الزيني : ابو طالب الحسين بن نظام بن الخضر توفي سنة ٥١٠ (جواهر)

ص ٥٥٩ س ١ تاج الدين النخيلي : محمد بن وثاب بن رافع توفي سنة ٦٦٧

« ٥٧١ « ٤ رُوزَبِه بالهاء غير منقوطة اسم فارسي

« ٥٧١ ح ٥ عبد العزيز بن دُلَق باللام

« ٥٨١ س ١٣ الصواب مجير الدين كما في ابن كثير وعند قطب الدين اليونيني

(كمبردج) سالم الكرنكوي

استدراك

جاء عن الذرة الصفراء والذرة الشامية في الصفحة ٢٤٩ الملاحظة الآتية : «الأولى من كلمة إيطالية ، والثانية تمت الى لغة الأزتيك في المكسيك» .

والصحيح ان هذه الملاحظة ترجع الى الكلمتين السابقتين ، أي الى البنادوري والطماطم فلينتبه الى ذلك .

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

الصفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء